مفكرة المزيد على كتاب التوحيد

بقلم

أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل

يغفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

راجعها وصححها وعلق عليها

فضيلة الشيخ سعد الحصين رحمه الله

طبع على نفقة

علي السليم وزوجه

رحمهما الله تعالى

مفكرة المريد

على

كتاب التوحيد

بقلم

أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين



الكتاب: مفكرة المريد على كتاب التوحيد

المؤلف : أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل

الناشـر: مكتبة دار الشروق للنشر والتوزيع -الكويت

الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



الكويت ـ حولي ـ شارع المثنى ـ مجمع البدري محل رقم (٢٧)

ص . ب: ٧٠٥٩ حولي ـ ر. ب: ٣٢٠٩١ الكويت

تلفاكس : ٢٢٦١٣٨٨٥ (٠٠٩٦٥) ـ نقال : ٩٩٨٣٦٣٧٢ (٠٠٩٦٥)

Email: al_shorouk@hotmail.com

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٥٥٩٥م

ISBN: 978-977-5179-23-4



بقلم

أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

راجعها وصححها وعلق عليها

فضيلة الشيخ سعد الحصين رحمه الله




بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لجنة الدعوة والإرشاد
جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت

الحمد الله الذي وعد الموحّدين بالجنة ، وتوعّد المشركين بالنار ، نحمده سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، حمى جناب التوحيد عن كل ما يخل به ويشينه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا.

فأما بعد:

فإن عقيدة التوحيد هي أساس الإسلام والذي لا يقبل الله عملًا إلا بها ، وهي أول ما أمر الله جل وعلا به عباده وبيَّن سبحانه إنما خلقهم لها قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات : ٦٥] ، وبها أرسل الله الرسل ، ولم يأت نبي من الأنبياء إلا وأمر قومه بإخلاص التوحيد لله قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] ، فإن لم يتحقق التوحيد فلا فائدة في بقية الأعمال مهما كثرت لأن كل شيء يبنى على غير أساس فإنه ينهار ، وإن مما يخل بهذه العقيدة هو الشرك ، فإما أن يبطلها إن كان شركًا أكبر ، وإما أن ينقصها إن كان شركًا أصغر ، فالمشرك لا يقبل له عمل ولو عبد الله الليل والنهار ما دام خلط العبادة بشرك ، ولا يستقيم توحيد عبدٍ إلا بمعرفة الشرك ثم الحذر منه ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

ومن هذا المنطلق فإن مؤلف الكتاب الشيخ/ أحمد بن عطية الوكيل ، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين ، قد شرح المبادئ الأساسية ، وقام بعمل شروحات مبسطة ميسرة لكل موضوع من الموضوعات التي تصل إلى تسعة وأربعين بعد المائتين ، حتى يسهل على القارئ فهمها واستيعابها في«كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والمؤلف حفظه الله تعالى حكم على أحاديث وآثار ليكون طلبة العلم على الحجة والبرهان ، فلذلك قامت لجنة الدعوة والإرشاد –فرع الأندلس– التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي– دولة الكويت – بإعادة طباعة ونشر هذا الكتاب القيم ؛ إيمانًا منها بضرورة نشر العلم الصالح وعلى رأسه التوحيد بين المسلمين وهدايتهم للعقيدة الصحيحة.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



لجنة الدعوة والإرشاد

جمعية إحياء التراث الإسلامي

(الأندلس – الكويت)

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُهُ ونستعينُ به ونستغفرُهُ ، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنَا ومِن سيئاتِ أعمالنَا ، إنَّه مَن يهدِهِ الله فلا مُضلَّ له ومَن يُضلِل فلا هادِيَ له ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، أمَّا بعدُ : فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله ، وخيرَ الهُدى هُدى محمد ﷺ ، وشرَ الأمُورِ محدثاتُهَا ، وكلَّ مُحْدثةٍ بِدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة .

فهذه هي الطبعة الثانية مِن تَعلِيقَتِي على (كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العَبيد) لشيخ الإسلام محمد بنِ عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ .

وكانت في طبعتها الأولى طُبعت مُجرَّدةً عن أصلها ، باسم : (**مُفكرة المُريد بما جاء في كتاب التوحيد مِنَ المُصطلحات والمَعاني والتجْريد**) .

وكان شيخُنا العلامة سعد الحُصين رَحِمَهُ اللهُ راجعها ، وصحَّحها وعلَّق عليها ، وطلب منِّي أنْ ألحقَها بأصلها ؛ ولقد امتنَّ الله - تبارك وتعالى - عليّ ، فقمتُ بمراجعتِها وألحقتُها بأصلها وفاءً لطلب شيخنا ، وبعد أنْ استوجبت الفوزَ بمسابقةٍ أجريت في (فرع الأندلس للدعوة والإرشاد بجمعية إحياء التراث بدولة الكويت حماها الله) أمرُوا بطباعتها في ثوبِهَا الجديد .

وشُكْر الناس سُنَّةٌ ومُستحب ، صحَّ به الحديثُ ، وأرشدتْ إليه الآياتُ الكريمات ؛ فالشكرُ كلُّ الشكر للقائمين على (فرع الأندلس) ، لِمَا قدَّموا مِن مجهودات في تيسير نشر العلم النافع ، وتصحيح عقيدة جماهير المسلمين .

ومما تجدُر الإشارةُ إليه في هذه الطبعة أمورٌ :

الأول : أنِّي اعتمدتُ متنَ (كتاب التوحيد) والذي صدر باعتناء وتحقيق صاحبنا الدكتور دَغَش بنِ شَبِيبٍ العجميّ - حفظه الله - ، وإنْ خالفتُهُ في تشكيل بعض الكلمات الواردة في المتن ، فهو عندي أفضلُ طبعَةٍ ظهرت حتى الآن ، وقد قابلها على نسخ خطيِّة رائقة ، وبذل في خدمتها غاية جَهده فجزاه الله خيرًا .

والثاني : أنِّي ذيَّلتُها مِن مروياتي بالإسناد المتصل عن الإمام أحمد بن حنبل بعقيدته التي علَّمها تلميذَه مُسدَّد بنَ مُسَرْهَد رحمهما الله ؛ وحسبي هنا روايتُهَا فقط ، فلم أرها مطبوعةً مِن قبل ، فضلا عن أنْ تكون مشروحةً ومبسوطةً .

الثالث : أنِّي سمَّيتُهَا : (مُفكرةُ المُريد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب) تيمُنًا باسم كتاب (القولُ المُفيد على كتاب التوحيد) للعلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله .

والله تعالى أسأل أنْ ينفعَ به كاتِبَه وطابِعَه وقارِئَه وكلَّ مَن أعان على نشره ، إنَّهُ سبحانه وتعالى بالإجابة جدير وبكل جميل كفيل ، هو حسبُنا ونعم الوكيل ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارك على محمد النبيّ الأُمِّي وعلى آله وصحبه .

أبوعَمرو أحمد بن عطية الوكيل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وجميع المسلمين

الجمعة الرابع من شعبان سنة ١٤٣٦هـ

مقدمة الطبعة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أما بعد : فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى ، وخير الهُدى هُدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فإن توحيد الله - تبارك وتعالى - هو إفراده سبحانه بالعبادة ، وإثبات اتصافه بما وصفه به نفسُه سبحانه وتعالى ووصفه به رسوله محمد ﷺ ، وتنزيه الله تبارك وتعالى عن النقائص والحدوث ومشابهة المخلوقات .(١)

والآيات الكريمة تواترت على أنَّ الله تعالى واحدٌ ، وقد شهد الله سبحانه وتعالى بنفسه على ذلك ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] و[آل عمران : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [النحل : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾ [النساء : ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴾ [الحج : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] ،

(١) راجع فيما يأتي تعريف التوحيد وأنواعه .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل : ٥١] .

والله ﷻ أنزل ملائكته بوحيه إلى رسله لينذروا العباد سطوته على كُفرهم وإشراكهم معه أحدًا من خلقه ، فلا تنبغي الألوهية إلا له ، فقال : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢] .

وأمر الله به نبيه محمدًا ﷺ فقال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [الكهف : ١١٠] و [فصلت : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقد حذرنا الله – تبارك وتعالى – من الشرك ونهانا عنه[1] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨] ، وقال تعالى ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] ، وقال تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان : ١٣] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ [الحج : ٢٦] .

وأهلَّ النبيُّ ﷺ بالتوحيد في حجة الوداع ، كما قال جابر رضي الله عنه فكان ينفي الشرك بالله في تلبيته ، ويقول : « **لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك** » . ولم يزل يلبي ﷺ من إحرامه

(١) رَاجع أيضًا فيما يأتي تعريف الشرك وأقسامه .

حتى بلغ جمرة العقبة .

وتوحيد الله هو أوجب الواجبات على المرء المسلم ، وهو أهم ما ينبغي أن يحرص عليه ويحققه في حياته ، لأن الله تبارك وتعالى لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ؛ والآياتُ الدالة على هذا كثيرة جدًّا :

قال الله تعالى ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود : ١-٢] ، وقال تعالى ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [فصلت : ١٤] ، وقال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢١] وقال تعالى ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [النساء : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

والذي يرضى بالشرك ، أو يفعله ، أو لا يبرأ منه ، يكون له حكمُ أهله والعياذ بالله ؛ فمهما عمل الإنسان مِن أعمال صالحة من صلوات ومن صيام ومن زكاة وصدقة وتطوع ومن حج لا ينفعه شيءٌ من هذه الأعمال إنْ هو لقي الله وهو

يشرك به شيئا بأن يدعو غير الله أو يركع أو يسجد لغير الله ؛ بل يحبط عمله ويلقى في النار خالدًا فيها - جزاء شِرْكه بالله تعالى - ، والدليلُ عليه من القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

والدليل عليه من السنة ما أخرجه البخاريُّ (٧٣٧٣) ، ومسلمٌ (٣٠ / ٥٠-٥١) رحمهما الله ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : كنت رديف النبيّ ﷺ على حِمار ، فقال لي : « **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟** » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا** » .

وإن لقيَ العبدُ ربَّه بالتوحيد الخالص - توحيد العبادة لله - غُفِرت ذنوبُه على كثرتها وذلك ، لما أخرجه مسلمٌ رحمه الله (٢٦٨٧ / ٢٢) وغيره ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : « **من لقيني بقراب الأرض خطيئة ، لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة** » .

وأخرجه الترمذيُّ رحمه الله (٣٥٤٠) وغيره ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : قال الله تبارك وتعالى : « **يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة** » .

فقوله : « **ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا** » شرط في الوعد بحصول المغفرة ، وهو السلامة من الشرك - كثيره وقليله صغيره وكبيره - ، ولا يسلم من ذلك إلا من

سلمه الله وذلك هو القلب السليم ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .(١)

من أجل ذلك كان التوحيد أصلَ دين الإسلام ؛ وكانت (لا إله إلا الله) أساسَ دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٢] ، وقال تعالى ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

والنبيُّ ﷺ قد أرشد الصحابة رضي الله عنهم إلى أولوية التوحيد الأولى ، لما رواه البخاريُّ رحمه الله في صحيحه (١٣٩٥ - ومواضع أخرى) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما بعث النبيُّ ﷺ معاذ بنَ جبل نحو اليمن قال له : « **إنك تقدَمُ على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إلى أن يُوَحِّدوا الله تعالى . فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمسَ صلوات في يومهم وليلتهم . فإذا صلَّوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غَنِيِّهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوَقَّ كرائِمَ أموال الناس . وأخرجه مرة أخرى ، بلفظ : ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوه لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات** »(٢) .

---

(١) رَاجع (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) ص٤٨ ، طبعة جمعية إحياء التراث .

(٢) فعلى الداعية الواعي والملتزم هدي النبيّ - ﷺ - أن يبدأ - أول ما يبدأ - بدعوة الناس إلى توحيد العبادة لله وإصلاح عقيدة المسلمين وتنقيتها من الشركيات . ولن تنجح الدعوة ما لم تبدأ - أول ما تبدأ - بتصحيح العقيدة وتخليص التوحيد لله تعالى .

وبايع النبيُّ ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، أول ما بايعهم، على عدم الإشراك بالله .
فأخرج البخاريُّ في « صحيحه » من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال : بايعت رسول الله ﷺ في رهط، فقال : « **أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم** » .

وكتاب (التوحيد حقُّ الله على العبيد) لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد ابن عبدالوهاب بن سليمان بن عليّ التميمي الحنبليّ (١١١٥ - ١٢٠٦هـ) - عليه رحمة الله تعالى - كتاب عظيم القدر، جليل النفع، عمدةٌ في بابه ؛ فيه بيان ما بعث الله تعالى به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من توحيد العبادة لله تعالى، وفيه بيان أدلة ذلك من الأصلين والأساسين العظيمين : الكتاب والسنة، وأيضًا فيه ذكر ما ينافي التوحيد من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، وذكر ما يقرب من ذلك أو يوصل إليه .

ولأهمية مضمون كتاب (التوحيد)[(١)] ولنقاوة أبحاثه ونفاستها شرحه جمعٌ من العلماء منهم حفيد مؤلفه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٠-١٢٣٣هـ) رحمه الله في كتاب سماه (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد)، ونظر في هذا الشرح حفيده الآخر : الشيخ عبدالرحمن ابن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١١٩٦-١٢٨٥هـ) رحمه الله، فقرأه وشرع في تهذيبه وتقريبه وأتم فائدته بإدخال بعض النقول المستحسنة، وسماه (فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد) ؛ واطلع على هذا الشرح : الشيخ محمد حامد الفقي (١٣١٠-١٣٧٨هـ) رحمه الله، فقام بتحقيقه خير قيام، ووضع له بعض الحواشي المفيدة نقل أكثرها من كتاب (قرة عيون الموحدين في تحقيق

---

(١) رَاجع أهمية الكتاب ومنهجه وشروحه بشيء من التفصيل في تقديم الشيخ أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم لتعليقه المفيد في تحقيق (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، ط مؤسسة قرطبة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

دعوة الأنبياء والمرسلين)[١] الذي هو حاشية على كتاب (التوحيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن صاحب كتاب (فتح المجيد) ؛ ثم جاء دور العلامة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاطلع على هذه الحواشي ، فصحح ما كان بها من أخطاء قليلة ، رحم الله تعالى الجميع وأجزل لهم المثوبة بفضله وكرمه اللهم آمين[٢] .

وبعد ، فهذه تعليقة[٣] على كتاب (التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، لمَّا طلبها مني صاحبنا الكريم أبوقتيبة محمد بنُ راشد - من دولة الكويت سلمها الله - ، أحسستُ بمهمة عظيمة وأمانةٍ كبيرة ألقيت على عاتقي ، واستخرت الله العظيم ، فقرأت كتاب (التوحيد) مع شرحه (فتح المجيد) أكثر من مرة ، وجعلتُ الشرح قاعدةً لي ، وفي كل مرة كنت أضعُ خطًا على أفراد المعاني وبعض المصطلحات التي أرى أنها تحتاج إلى إفراد بتوضيح الدليل أو بذكر الشرح والبيان والتفصيل ، حتى اجتمع عندي قريبٌ من خمسين ومائتين موضع ، فانكشف لي الطريق حينئذٍ ، ووضحت لي الفكرة ، فجعلتُ هذه المصطلحات كالعناوين ، مَتلوَّة بشروحها ، عنوان بشرحه يتلوه عنوان آخر بشرحه وهكذا .

وراجعتُ من أجل جمع هذه الشروح مجموعة كثيرة من كتب العقيدة المسندة وغيرها والتفاسير المسندة وغيرها ، من كتب أهل العلم المتقدمين والمتأخرين ، ومن شروح وكتب وفتاوى ودروس العلماء المعاصرين من

(١) صححه وعلَّق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري ، وطبع مرارًا .
(٢) رَاجع تقديم الشيخ ابن باز لـ(فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) نشرة جمعية إحياء التراث ، الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ .
(٣) التعليقة : ما عُلِّق على حاشية الكتاب من شرح ونحوه ، قاموس المعتمد مادة : علق - دار صادر - الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م .

أعلام منهج السلف أصحاب الحديث ، فمن أولئك :

الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ) صاحب : (تفسير السعدي) وكتاب (القول السديد في مقاصد التوحيد) ، والشيخ حافظ بن أحمد الحَكمي (١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ) ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم (١٣١٢-١٣٩٢هـ) ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، والشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني (١٣٣٢ - ١٤٢٠هـ) ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧-١٤٢١هـ) ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمهم الله ، والشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان (ولد ١٣٥٤هـ) ، والشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ولد ١٣٧٨هـ) ، وغيرهم رضي الله عنهم كثير.

وسميتها : (مُفكرة المُريد بما جاء في كتاب التوحيد مِنَ المُصطلحات والمَعاني والتجْريد) . وقصدتُ بكلمة (التجريد) تنقية التوحيد مِن كثير مِن الشركيات والبدعيات التي هبَّت عواصفها حتى ملأت حياة كثير مِن الناس ، ورجوت بهذه المفكرة أنْ تكون إسهامًا مني في نشر العلم النافع الصحيح ، وفي تصحيح عقيدة كثير من المسلمين من خلال التعريف بعقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة .

واجتهدت في ضبط وتصحيح الأدلة التي جاءت بمتن كتاب (التوحيد) بمقابلتها على مصادرها الأصلية ، فكان المصنف رحمه الله أحيانًا يذكر المتن من غير إسناده ولا يعزوه لمصدر ، وبذلت في ذلك جهدًا قدر طاقتي . وعرضتُ هذا العمل على صاحبنا وشيخنا وحيد بن عبد السلام بالي فاستحسنه وأشار عليّ بمراجعة ما ورد فيها من أحاديث وآثار ، فقمت على الفور وخرَّجتُ

الأحاديث والآثار تخريجًا وسطًا ، ولم أضمنها إلا أثرًا صحيحًا أو حديثًا حسنًا أو صحيحًا، وراعيتُ أن تطبع هذه (التعليقة) أو (مفكرة المريد) على هامش كتاب (التوحيد) ، أو أن تطبع مستقلة عنه ، يسهل على الطالب حملها .

ثم دفعها صاحبنا أبوقتيبة[1] - وأحسن ما صنع - إلى الشيخ سعد الحصين والذي قام فضيلته - جزاه الله خيرًا - بمراجعتها وتصحيحها والتعليق عليها ؛ فزدتُ ما زاد ، وحذفتُ ما أشار بحذفه ، وأصلحت ما بيَّنه من خطأ . والله تبارك وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يغفر لي ما قد أخطأت فيه ، وأن يتقبل مني ما قد أصبت فيه ، فمنه التوفيق والرشاد سبحانه ، وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه .

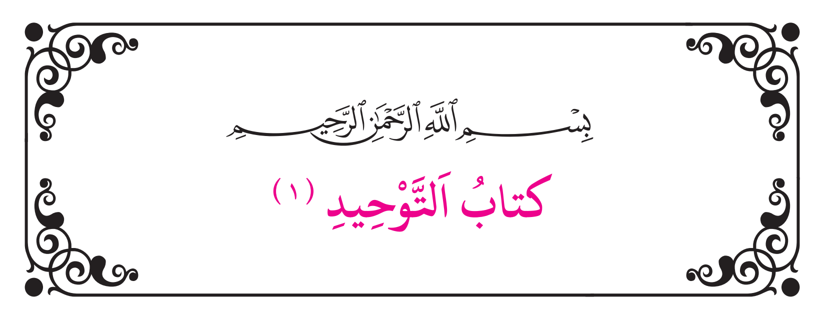
أبوعَمرو أحمد بن عطية الوكيل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ١٤٣٢هـ

---

(١) وعندما جاء أبوقتيبة إلى مصر ، وشرفتُ بزيارته لي ، أخبرني أنه سيدفعها لسماحة الشيخ / صالح ابن عبدالعزيز آل الشيخ - حفظه الله - لتقريظها .



---

(١) التوحيد :

هو إفراد الله بالخلق والتدبر ، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، وإثبات ما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وتنزيهه عن النقص والعيب ؛ فهو بهذا التعريف يشمل أنواع التوحيد الثلاثة .

قال الإمام أبوجعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره ، في تفسير قوله تعالى : ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البقرة : ١٣٣] : أي نخلص له العبادة ، ونوحد له الربوبية ، فلا نشرك به شيئًا ، ولا نتخذ دونه ربًّا .

❊ توحيد الربوبية :

النوع الأول من أنواع التوحيد الثلاثة : هو توحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بأفعاله ؛ بأن يُعتقد أنه وحده الخالق لجميع المخلوقات : قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢] ، وأنه الرزاق لجميع الدواب والآدميين وغيرهم : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود : ٦] ، وأنه مالك الملك ، والمدبر لشئون العالم كله ؛ يولِّي ويعزل ، ويُعز ويُذل ، قادر على كل شيء ، يُصرِّف الليل والنهار ، يحي ويميت : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ

....

مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] .

* توحيد الألوهية :

النوع الثاني من أنواع التوحيد الثلاثة : هو توحيد الألوهية وهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع ، كالدعاء والنذر والنحر ، والرجاء والخوف ، والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة ، وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] .

* توحيد الأسماء والصفات :

النوع الثالث من أنواع التوحيد الثلاثة : هو توحيد الأسماء والصفات . وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين :

١- تنزيه الله - جلَّ وعلا - عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم ، كما قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

٢- الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف ، قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه : ١١٠] .

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] [الذاريات: ٥٦].

وعرفه الشيخ عبدالرحمن بنُ ناصر السعديُّ فقال : توحيد الأسماء والصفات : هو اعتقاد انفراد الرب - جل جلاله - بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة ، والجلال ، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه . وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله من جميع الأسماء ، والصفات ، ومعانيها ، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله ، من غير نفي لشيء منها ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، ولا تمثيل . ونفي ما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله .

(٢) العبادة ولماذا خلقنا الله ؟

العبادة هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ومنها الدعاء .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] .

وهي : طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل .

وأصل العبادة : التذلل والخضوع . والعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغبًا ورَهبًا ، وهذا كله لا يستحقه إلا الله سبحانه وتعالى فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله سبحانه وتعالى فقد جعل لله ندًا ؛ فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٣] [النحل : ٣٦] الآية .

لماذا خلقنا الله عَزَّ وَجَلَّ ؟

خلقنا الله – تبارك وتعالى – لنعبده ولا نشرك به شيئًا .

ودليله قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦].

(٣) الطاغوت :

الطاغوت كلمة مشتقة من الطغيان وهو مجاوزة الحد . قال عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الطاغوت : الشيطان . اهـ .

والطاغوت : عام في كل ما عبد دون الله . والغالب المجذوم به هو الشيطان . وكذا الطاغوت هو الكهانة والمنجم ومن يحكم بغير ما أنزل الله وكل متبوع مطاع على غير الحق .

قال ابنُ القيم : الطاغوت : ما يجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . اهـ .

وأول ما فرض الله على عباده : الكفر بالطاغوت والإيمان بالله قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

والكفر بالطاغوت ركن التوحيد ، كما في آية البقرة فإن لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدًا .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] الآية .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٣٦] الآية .

وَقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام : ١٥١] الآيات .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ[٤] : ....

والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] ، قال الحافظ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ : الآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هاهنا . اهـ .

وكلُّ من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به .

(٤) الإملاق :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] . الإملاق : الفقر . وخشية إملاق أي لا تقتلوا بناتكم خشية العيلة والفقر .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾[٥] [الأنعام : ١٥٣] الْآيَةَ .

---

* **الفواحش :**

هي المعاصي . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

وأخرج البخاريُّ (٤٦٣٤، ٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣) ومسلمٌ (٢٧٦٠/ ٣٢-٣٤) من طُرقٍ عن أبي وائل شقيق ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : « **لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » .

وفي الصحيحين البخاري (٣٥٥٩ ، ٣٧٥٩ ، ٦٠٢٩ ، ٦٠٣٥) ومسلم (٢٣٢١/ ٦٨) وهذا لفظه : قال مسروق : دخلنا على عبدالله بن عَمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ؛ وقال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا** » .

قال النووي في شرح مسلم : قال القاضي : أصل الفحش الزيادة والخروج عن الحد . قال الطبري : الفاحش البذيء . قال ابن عرفة : الفواحش عند العرب القبائح . قال الهروي : الفاحش ذو الفحش والمتفحش الذي يتكلف الفحش ويعتمده لفساد حاله قال وقد يكون المتفحش الذي يأتي الفاحشة .

(٥) الصراط المستقيم ، والسبيل ، والطريق :

الصراط المستقيم : طريق الله الذي نصبه لعباده موصلًا لهم إليه ؛ ولا طريق إليه سواه .

وهو دين الإسلام الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، ولم يقبل من أحد سواه ولا ينجو إلا من سلكه، ومن سلك غيره تشعبت عليه الطرق وتفرقت به السبل، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والسبيل: الطريق والدعوة. والسبل: هي البدع والشهوات.

وفي الحديث الذي أخرجه النسائيُّ في التفسير من الكبرى (١١١٧٤) عن أبي وائل شقيق بن سلمة، و(١١١٧٥) عن زر بن حُبَيش كليهما، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، فقال: هذا سبيل الله مستقيمًا، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم تلا: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾»
[الأنعام: ١٥٣].

وأخرجه البخاريُّ (٦٤١٧)، والنسائيُّ في كتاب الرقائق من الكبرى (ج٣ رقم ١١٧٦٤ - نشرة الرشد / الدار العثمانية)، والترمذيُّ (٢٤٥٤)، وابنُ ماجه (٤٢٣١) جميعًا عن أبي يزيد الكوفي الربيع بن خُثيم، عن ابن مسعود به من غير ذكر الآية.

ومن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جَنبَتَي الصراط سُوران فيهما أبوابٌ مُفتحة، وعلى الأبواب سُتورٌ مُرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا ولا تفرقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد**

فَقَالَ لِي : « **يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ ، وَمَا حَقُّ ٱلْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ ؟** »(٦) .

فَقُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!

قَالَ : « **فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقَّ**

الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » . وأخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٨٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له عِلَّة . وقال الذهبيُّ في التلخيص : على شرط مسلم ولا عِلَّة له .

(٦) حق الله على العباد وحق العباد على الله :

حق الله على العباد : هو ما يستحقه عليهم ، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا .

وحق العباد على الله : معناه أنه متحقق لا محالة ، وهو ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا .

وفي الصحيحين : البخاري رقم (٧٣٧٣) ، ومسلم رقم (٣٠/ ٥٠-٥١) من حديث الأسود بن هلال المحاربي ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟** » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « **أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئًا . أتدري ما حقهم عليه ؟** » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « **أن لا يعذبهم** » .

اَلْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟

قَالَ : « لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا » . أَخْرَجَاهُ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : اَلْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ اَلْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ اَلْعِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ ؛ لِأَنَّ اَلْخُصُومَةَ فِيهِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ ، فَفِيهِ مَعْنَىٰ : ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون : ٥] .

اَلرَّابِعَةُ : اَلْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ اَلرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ- .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ اَلرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ دِينَ اَلْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ .

اَلسَّابِعَةُ : اَلْمَسْأَلَةُ اَلْكَبِيرَةُ : أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ ؛ فَفِيهِ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّ اَلطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ .

اَلتَّاسِعَةُ : عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ الآيَاتِ اَلْمُحْكَمَاتِ فِي « سُورَةِ اَلْأَنْعَامِ » عِنْدَ اَلسَّلَفِ .

وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ ، أَوَّلُهَا : اَلنَّهْيُ عَنْ اَلشِّرْكِ .

اَلْعَاشِرَةُ : اَلْآيَاتُ اَلْمُحْكَمَاتُ فِي « سُورَةِ اَلْإِسْرَاءِ » ، وَفِيهَا ثَمَانِيَ

عَشْرَةَ مَسْأَلَةً ، بَدَأَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ .

وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .

وَنَبَّهَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ ٱلْمَسَائِلِ بِقَوْلِهِ : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ .

ٱلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : آيَةُ « سُورَةِ ٱلنِّسَاءِ » ٱلَّتِي تُسَمَّىٰ آيَةَ ٱلْحُقُوقِ ٱلْعَشْرَةِ(٧) ، بَدَأَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٣٦] .

ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : ٱلتَّنْبِيهُ عَلَىٰ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ .

ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ حَقِّ اللهِ عَلَيْنَا .

---

(٧) الحقوق العشرة :

أي الوصايا العشر . قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء : ٣٦] ، وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة .(١)

---

(١) قال مصححه رحمه الله : عدُّ الوصايا بعشر أو عشرة للحقوق لا أعرف مَن حدّدها غير اليهود والنصارى ، ثم حسنُ البنا في المسلمين . وإذا كان لابد من العدد هنا ، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه ثلاث ، بعدد الآيات في سورة الأنعام ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ حَقِّ اَلْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ اَلصَّحَابَةِ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : جَوَازُ كِتْمَانِ اَلْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : اِسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ اَلْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : اَلْخَوْفُ مِنَ اَلِاتِّكَالِ عَلَىٰ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ .

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُ اَلْمَسْؤولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

اَلْعِشْرُونَ : جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ اَلنَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ .

اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ اَلْحِمَارِ مَعَ اَلْإِرْدَافِ عَلَيْهِ .

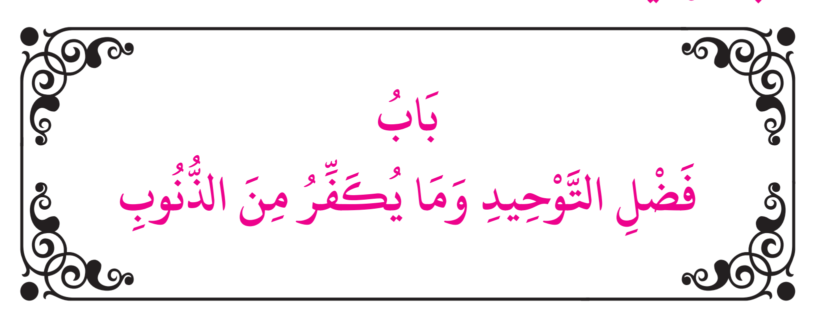
اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : جَوَازُ اَلْإِرْدَافِ عَلَىٰ اَلدَّابَّةِ .

اَلثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ : فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه .

اَلرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةِ .

* * *

الباب الأول



بَابُ
فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ (٨) أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٩) وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، ....

---

(٨) الظلـــم :

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] .

هو : وضع الشيء في غير موضعه ، فمن وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها فذلك أعظم الظلم .

وهو الشرك بالله سبحانه وتعالي .

وعند مسلم وغيره من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيّ ﷺ عن الله عَزَّ وَجَلَّ : « **يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا** » .

(٩) معنى (لا إله إلا الله) وشروطها :

لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله وحده .

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (١٠) ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

المقصود بـ (لا إله) : نفي جميع ما يعبد من دون الله .

المقصود بـ (إلا الله) : إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه ليس له شريك في ملكه .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٨] .

وجعلها كلمة باقية : هي كلمة (لا إله إلا الله) . وهي : عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

العروة الوثقى هي : لا إله إلا الله .

شروط لا إله إلا الله :

١- العلم المنافي للجهل .
٢- اليقين المنافي للشك .
٣- القبول المنافي للرد .
٤- الانقياد المنافي للترك .
٥- الإخلاص المنافي للشرك .
٦- الصدق المنافي للكذب .
٧- المحبة المنافية لضدها .

(١٠) معنى شهادة (محمد رسول الله) ومعرفة نبينا محمد ﷺ والأنبياء والرسل والصحابة الكرام :

معنى شهادة أن محمدًا رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما

أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع .

نبينا : محمد بنُ عبدالله بنِ عبدالمطلب بنِ هاشم . وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - .

اصطفاه الله تعالى من قريش وهم صفوة ولد إسماعيل ، وبعثه إلى الأحمر والأسود ، وأنزل عليه الكتاب والحكمة ، فدعا الناس إلى ترك الشرك وقاتلهم عليه ، وأن يخلصوا العبادة لله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠] . وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر : ١٤] . وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد : ٣٦] . وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٤-٦٦] .

وقد بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره ﷺ ، فدعا الناس إلى الإخلاص ، وترك عبادة ما سوى الله نحوًا من عشر سنين ، ثم عُرج به إلى السماء وفرض عليه الصلوات الخمس من غير واسطة بينه وبين الله تعالى في ذلك ، ثم أمر بعد ذلك بالهجرة فهاجر إلى المدينة ، وأُمر بالجهاد ، فجاهد في الله حق جهاده نحوًا من عشر سنين حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا ، فلما تمت ثلاث وستون سنة والحمد لله تم الدينُ وأنجز البَلاغ من إخبار الله تعالى له بقبضه ﷺ .

وأولُ الرسل عليهم السلام : نوح عليه السلام ، وآخرهم : محمد ﷺ .

مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ : « فَإِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَٰهَ (١١) إِلَّا اللّٰهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللّٰهِ » .

قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . وقال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وأفضل الرسل : نبينا محمد ﷺ ، وأفضل البشر بعد الأنبياء – صلى الله عليهم وسلم – : أبوبكر رضي الله عنه ، وعمر رضي الله عنه ، وعثمان رضي الله عنه ، وعليّ رضي الله عنه . وبقية الصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – .

وخير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما أخبر ﷺ .

وعيسى عليه السلام ينزل من السماء ويقتل الدجال .

(١١) الله والإله :

الله : علم على الباري – جلَّ وعلا – من أسمائه الخاصة وهو أعرف المعارف الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العليا ولذا يضاف إليه بقية أسماء الله فيقال : الرحمن ، والرحيم من أسماء الله ولا يقال : (الله) من أسماء الرحمن أو الرحيم ... إلى آخره .

وأصل لفظ الجلالة (الله) هو : الإله ، فأسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى ، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة .

وَعَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَـن رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « قَـالَ مُوسَىٰ : يَا رَبِّ! (١٢) عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ .

الإله : هو الذي يؤله ويعبد . وهو اسم صفة لمن يعبد .

والإله : هو الذي تألهه القلوب ، وهو الذي يطاع فلا يعصى ، هيبةً له وإجلالًا ، ومحبة وخوفًا ، ورجاءًا ، وإنابة ، وإكرامًا وتعظمًا ، وذلًا وخضوعًا ، وتوكلًا عليه ، وسؤالًا منه ، ودعاءً له ، ولا يصلح هذا كله إلا لله عَزَّ وَجَلَّ .

فالله : ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

قـال ابن تيمية : الإلـه هو : المعبود المطـاع . وهـو المألوه ، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد .

وقال ابنُ القيم : الإله هو : الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا .

وأما تأويل (الله) فإنه على معنى ما روى عبدالله بنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : هو الذي يألهه كل شيء ، ويعبده على خلقه .

(١٢) الرب :

في اللغة : صفة مشبهة للموصوف بالربوبية ، فعله : ربَّ يربُّ ربوبية ، أو ربى يربي تربية . والرب هو الذي يربي غيره وينشئه شيئًا فشيئًا ، ويُطْلَقُ على المالِك والسَّيِّد والمدَبّر والمُرَبِّي والقَيِّم والمُنْعِم ، ولا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلا على الله تعالى ، وإذا أُطلِقَ على غَيره أُضِيف ؛ كرب الإبل ورب الدار ، أي مالكها ، ويطلق أيضا على السيد المطاع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا ﴾ [يوسف : ٤١] ، أي سيده المطاع .

قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » .

ويطلق الرب أيضًا على المعبود ومنه قول الشاعر :

أرب يبـول الثعلبـان برأسـه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فوصف الرب من الناحية اللغوية يكون لمن أنشأ الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام أو قام على إصلاح شئونه وتولى أمره بانتظام .

والرب سبحانه وتعالى : هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على هدايتها وإصلاحها وهو الذي نظم معيشتها ودبر أمرها ، ودليل هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] .

فالرب سبحانه : هو المتكفل بالخلائق أجمعين إيجادًا وإمدادًا ورعايةً وقيامًا على كل نفس بما كسبت ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

وحقيقة معنى الربوبية في القرآن تقوم على ركنين اثنين وردا في آيات كثيرة أحدهما : إفراد الله بالخلق ، والثاني : إفراده بالأمر وتدبير ما خلق ، كما قال تعالى عن موسى وهو يبين حقيقة الربوبية لفرعون لما سأله : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٤٩-٥٠] ، فأجاب فرعون عن الربوبية بحصر معانيها في معنيين جامعين :

قَالَ : كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا .

قَالَ : يَا مُوسَى! لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ -غَيْرِي- ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ .

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ** (١٣) ....

الأول : إفراد الله بتخليق الأشياء وتكوينها وإنشائها من العدم حيث أعطى كل شيء خلقه وكمال وجوده ، والثاني : إفراد الله بتدبير الأمر في خلقه كهدايتهم والقيام على شؤونهم وتصريف أحوالهم والعناية بهم فهو سبحانه الذي توكل بالخلائق أجمعين ، قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

(١٣) قراب الأرض خطايا :

قراب بضم القاف وقيل بكسرها والضم أشهر . وهو مِلء الأرض أو يقارب ملؤها ذنوب .

وفي صحيح مسلم (٢٦٨٧/ ٢٢) من حديث المعرور بن سويد ، عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :

« **من جاءَ بالحسنةِ فله عَشرُ أمثالها وأزيدُ ، ومن جاءَ بالسَّيِّئةِ فجزاؤُه سَيِّئةٌ مثلهَا أو أغفِرُ ، ومن تقرَّبَ مِنِّى شبرًا تقرَّبتُ منهُ ذراعًا ، ومن تقرَّبَ مِنِّي ذراعًا**

الْأَرْضِ خَطَايَا (١٤)، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ (١٥) بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الْأُولَى : سَعَةُ فَضْلِ اللهِ .

تقرَّبتُ منهُ باعًا ، ومن أتاني يَمْشِي أتيتُهُ هَرْوَلة ، ومن لقيني بقَرَابِ الأرض خَطِيئةً لا يُشْركُ بي شَيْئًا لقيتُهُ بمثلِهَا مغفرة » .

(١٤) الخطيئة والخطايا :

الخطيئة : من الخطأ ، وهو عدم الإصابة ، وقد تكون عن عمد ، وقد تكون عن غير عمد ؛ إلا أن غير العمد أكثر .. والجمع : الخطيئات والخطايا .

قال الراغب : الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودًا إليه في نفسه ، بل يكون القصد سببًا لتولد ذلك الفعل منه كمن يرمي صيدًا فيصيب إنسانًا ، أو شرب مسكرًا فجني جناية في سكره .

(١٥) الشرك :

الشرك : أن يجعل العبد لله ندًا يدعوه ويرجوه أو يخافه ، أو يتوكل عليه ، أو يرغب إليه من دون الله وغير ذلك من أنواع العبادات . بمعنى أن الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلاهيته . وهو نوعان : الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر . والشرك بالله هو : أكبر الكبائر ، وهضم للربوبية وتَنقُّصٌ للإلهية ، وسوء ظن برب العالمين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، ولهذا لا يغفره إلا بالتوبة منه .

الثَّانِيَةُ : كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللهِ .

الثَّالِثَةُ : تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ .

الرَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي « سُورَةِ الْأَنْعَامِ » .

الْخَامِسَةُ : تَأَمُّلُ الْخَمْسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ .

السَّادِسَةُ : أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَىٰ قَوْلِ « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » ، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ الْمَغْرُورِينَ .

السَّابِعَةُ : التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ .

الثَّامِنَةُ : كَوْنُ الْأَنْبِيَاءِ -عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ- يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَىٰ فَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ !

التَّاسِعَةُ : التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ .

الْعَاشِرَةُ : النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَاوَاتِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ ، خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ : « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ** » أَنَّهُ تَرْكُ الشِّرْكِ ، لَيْسَ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : تَأَمَّلْ الْجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ -عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ- عَبْدَاه وَرَسُولَاهُ .

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَىٰ عليه السلام بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللهِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

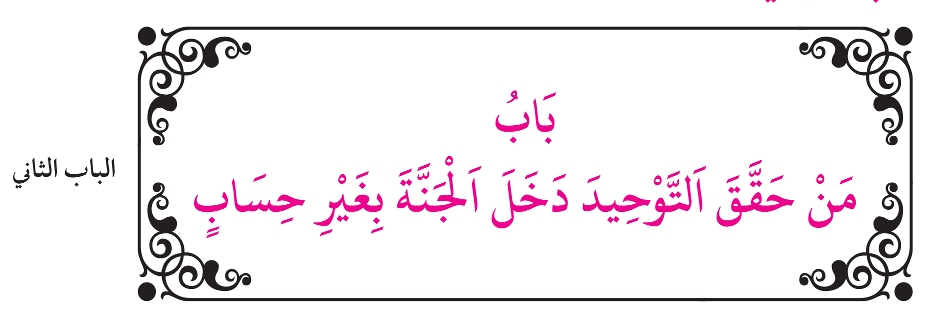
الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : مَعنَىٰ قَوْلِهِ : « **عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ** » .

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ .

الْعِشْرُونَ : مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ .

* * *

الباب الثاني



بَابُ
مَنْ حَقَّقَ ٱلتَّوْحِيدَ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا (١٦) وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

وَقَالَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٩] .

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَىٰ ٱلْكَوْكَبَ ٱلَّذِي انْقَضَّ ٱلْبَارِحَةَ (١٧) ؟

---

(١٦) الأمَّة والقانت والحنيف :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

أمة : قدوة وإمامًا معلمًا للخير . والقانت : الخاشع المطيع والقنوت : دوام الطاعة . والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت . والحنيف : المقبل على الله المعرِض عن كل ما سواه . وهو المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد .

(١٧) الكوكب الذي انقض :

أخرج مسلمٌ في صحيحه (٢٢٠/ ٣٧٤) ، قال : ثنا سعيد بنُ منصور : ثنا هشيم : نا حصين بنُ عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن جبير ، فقال : أيكم

فَقُلْتُ : أَنَا . ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ .

قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ ؟

قُلْتُ : ارْتَقَيْتُ .

قَالَ : فَمَا حَمَلكَ عَلَىٰ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ : حَدِيثٌ حَدَّثنَاهُ ٱلشَّعْبِيُّ .

رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت أنا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت . قال فماذا صنعت ؟ قلت : استرقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، فقال : وما حدثكم الشعبي ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي ، أنه قال : لا رُقيَة إلا من عَين أو حُمَة » .

فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابنُ عباس ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « **عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرهيط والنبيّ ومعه الرجل والرجلان والنبيّ ليس معه أحد إذ رفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي : هذا موسى ﷺ وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب** » .

ثم نهض فدخل منزله فخاض الناسُ في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله ، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « **ما الذي تخوضون فيه ؟** » فأخبروه ، فقال : « **هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون** » .

قَالَ : وَمَا حَدَّثَكُمْ ؟

قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : « **لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ** » (١٨) .

فَقَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ . وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي** » .

فقام عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **أنت منهم** » ، ثم قام رجل آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **سبقك بها عكاشة** » .

انقض : بالقاف والضاد المعجمة ، أي : سقط . البارحة : هي أقرب ليلة مضت . لدغت يقال لدغته العقرب وذوات السموم ، إذا أصابته بسُمِّها وذلك بأن تأبره بشوكتها . العين هي إصابة العائن غيره بعينه ، والعين حق . والحُمَةُ بضم المهملة وتخفيف الميم : سم العقرب وشبهها ، وقيل : فوعة السم وهي حدته وحرارته والمراد أو ذي حمة كالعقرب وشبهها أي لا رقية إلا من لدغ ذي حمة . الرهيط : تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشرة . السواد العظيم الشخص الذي يُرى من بعيد . فخاض : أي تكلموا وتناظروا .

(١٨) الحمّى :

هي عبارة عن انفعال عام يطرأ على الوظائف الحيوية يضاف إليه سرعة غير طبيعية لبعض أعمال الجسد وسرعة غير عادية للنبض وزيادة للحرارة الغريزية

فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ .
فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ .
فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ » .

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ . فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : « **هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ** (١٩) **، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** » .

واضطراب للمجموع العصبي والهضمي ، والحمى في حقيقتها ليست مرضًا قائمًا بنفسه بل هي نتيجة مجهود عظيم يبذله الجسم ليتخلص بسببه من مرض ويرجع التوازن الجسدي لحالته الأولى .

(١٩) لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون :

في صحيح مسلم (٢١٨/ ٣٧٢) من حديث الحكم ابن الأعرج ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ ، قال : « **يدخل الجنة من أمتي سبعونَ ألفًا بغير حساب** » . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون** » .

لا يسترقون : أي لا يطلبون من يرقيهم استسلاما للقضاء وتلذذا بالبلاء . والفرق بين الراقي والمسترقي : المسترقي مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه ، والراقي محسن . وارتقيت يعني : أي طلبت من يرقيني .

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ : اُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ .
قَالَ : « **أَنْتَ مِنْهُمْ** » .

لا يكتوون : لا يسألون غيرهم أن يكويهم كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم .

التطير : التشاؤم بالطيور .

ولا يتطيرون : المراد أنهم لا يتشاءَمون كما كانوا يفعلون في الجاهلية .

وعلى ربهم يتوكلون : أي يعتمدون على الله وحده .

فخلاصة القول : أن الإنسان لا يتوكل إلا على الله ولا يلجأ إلا إلى الله ولا يستعين إلا بالله سبحانه ، فيكون أمره كله لله .

* ذات الجنب وطريقة الشفاء منها :

روى البخاريُّ في صحيحه (٥٧٢١) تعليقًا ، عن أنس رضي الله عنه ، أنه كُوِيَ من ذات الجنب والنبيّ صلى الله عليه وسلم حيٌّ .

قال ابنُ حجر رحمه الله ذات الجنب : هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفافات والعضل التي في الصدر والأضلاع فتحدث وجعًا فالأول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عنه الأطباء ، قالوا ويحدث بسببه خمسة أعراض : الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري . ويقال لذات الجنب أيضا وجع الخاصرة ، وهي من الأمراض المخوفة لأنها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيء الأسقام . اهـ .

وقال في النهاية : ذات الجنب هي الدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ .
فَقَالَ : « **سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ** » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ اَلنَّاسِ فِي اَلتَّوْحِيدِ .

اَلثَّانِيَةُ : مَا مَعْنَىٰ تَحْقِيقِهِ .

اَلثَّالِثَةُ : ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ .

اَلرَّابِعَةُ : ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ سَادَاتِ اَلْأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ اَلشِّرْكِ .

وينفجر إلى داخل ؛ وقلما يسلم صاحبها ولعلها : السل .

طريقة الشفاء : في الصحيحين البخاري (٥٦٩٢، ٥٧١٣، ٥٧١٥، ٥٧١٨) ومسلم (٢٢١٤/ ٨٦-٨٧) من حديث : أم قيس بنت محصن رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قالت : سمعت النبيَّ ﷺ ، يقول : « **عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به من العُذرَة ، ويُلدُّ به من ذات الجنب** » .

العود الهندي : خشب طيب الرائحة يؤتى به من الهند ، قابض فيه مرارة يسيرة ، وقشره كأنه جلد موشى . أشفيه : جمع شفاء أي دواء . العُذرَة : وجع في الحلق يهيج من الدم ، وقيل قرحة تخرج بين الأنف والحلق ولعله ما يسمى الآن بالتهاب اللوزات . يُلد : من اللدود وهو ما يصب في أحد جانبي الفم من الدواء .

❊ الشوكة :

رَوَىَ الترمذيُّ (٢٠٥٠) وغيره أنَّ النبيّ ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة . قال الترمذيُّ : حسنٌ غريبٌ . وفي الباب عن أُبَيّ وجابر . اهـ .

اَلْخَامِسَةُ : كَوْنُ تَرْكِ اَلرُّقْيَةِ وَالْكَيِّ [٢٠] مِنْ تَحْقِيقِ اَلتَّوْحِيدِ .

اَلسَّادِسَةُ : كَوْنُ اَلْجَامِعِ لِتِلْكَ اَلْخِصَالِ هُوَ اَلتَّوَكُّلُ .

اَلسَّابِعَةُ : عُمْقُ عِلْمِ اَلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ .

اَلثَّامِنَةُ : حِرْصُهُمْ عَلَىٰ اَلْخَيْرِ .

اَلتَّاسِعَةُ : فَضِيلَةُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ .

اَلْعَاشِرَةُ : فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى عليه السلام .

اَلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : عَرْضُ اَلْأُمَمِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم .

اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : قِلَّةُ مَن اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ .

والشوكة هي : حمرة تعلو الوجه والجسد .

(٢٠) الكي بالنار :

أخرج البخاريُّ في صحيحه (٥٦٨٠ ، ٥٦٨١) ، وابنُ ماجه (٣٤٩١) ، جميعًا من حديث سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، مرفوعًا : « **الشفاء في ثلاث : شربة عسل وشرطة مِحجم وكيَّة نار. وأنهى أمتي عن الكي** » . وفي لفظ : « **وما أحب أن أكتوي** » .

قال ابنُ القيم : فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع . أحدها فعله . والثاني عدم محبته له . والثالث الثناء على من تركه . والرابع النهي عنه . ولا تعارض بينهما بحمد الله . فإن فعله له يدل على جوازه . وعدم محبته له لا يدل

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : ثَمَرَةُ هَذَا اَلْعِلْمِ ، وَهُوَ عَدَمُ اَلِاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ ، وَعَدَمُ اَلزُّهْدِ فِي اَلْقِلَّةِ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : اَلرُّخْصَةُ فِي اَلرُّقْيَةِ مِنَ اَلْعَيْنِ وَالْحُمَةِ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : عُمْقُ عِلْمِ اَلسَّلَفِ ؛ لِقَوْلِهِ : « **قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا** » . فَعُلِمَ أَنَّ اَلْحَدِيثَ اَلْأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ اَلثَّانِي .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : بُعْدُ اَلسَّلَفِ عَنْ مَدْحِ اَلْإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ .

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُ ﷺ : « **أَنْتَ مِنْهُمْ** » عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ اَلنُّبُوَّةِ .

اَلْعِشْرُونَ : فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : اِسْتِعْمَالُ اَلْمَعَارِيضِ [٢١] .

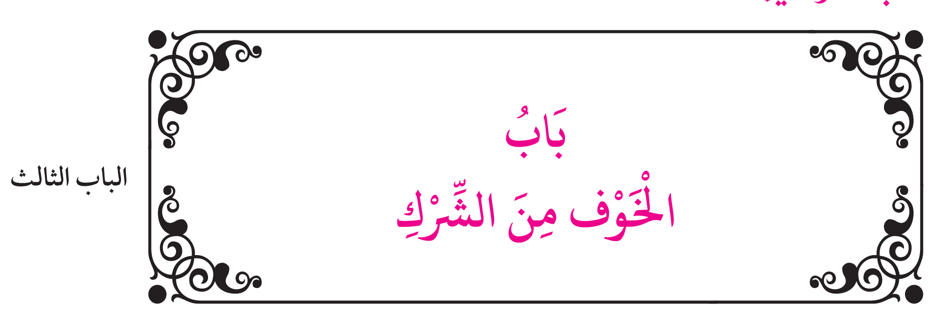
اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ .

* * *

على المنع منه . وأما الثناء على تاركيه فيدل على أن تركه أولى وأفضل . وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهية .

(٢١) المعاريض :

وسيلة لتجنب الكذب بالتورية ، وهي بأن تتكلم بكلام تريد به خلاف ما يفهم المخاطب ، فهي ليست من الكذب المحض .



بَابُ الْخَوْف مِنَ الشِّرْكِ

الباب الثالث

وَقَوْلِ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] الآيَةَ .

وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

وَفِي الحَدِيثِ : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ » (٢٢) .

---

(٢٢) الشرك الأصغر :

هو كقول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، وكيسير الرياء . وهو لا يخرج من الملة ؛ لكنه ينقص التوحيد ، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر .

وهو قسمان : القسم الأول : شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو : ألفاظ وأفعال ، فالألفاظ كالحلف بغير الله ، لقوله ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد كفر – أو أشرك** » . أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ١٢٥) ، وأبوداود (٣٢٥١) ، والترمذيُّ (١٥٣٥) وقال : حديثٌ حسنٌ ، والحاكمُ (١/ ٦٥ ، ١١٧) ، و (٤/ ٣٣٠) وصححه ، من طرق عن الحسن بن عبيدالله النَّخَعِيّ ، عن سعد ابن عبيدة ، قال : سمع ابنُ عُمر رجلًا يحلف : لا والكعبة . فقال له ابنُ عُمر : إنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ... فذكره .

وقول ما شاء الله وشئت ، قال ﷺ لما قال له رجل : ما شاء وشئت ، فقال :

فَسُئِلَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ : « الرِّيَاءُ » .

« **أجعلتني لله ندًا ؟ ! قُل : ما شاء الله وحده** » . أخرجه الإمامُ أحمد (١/ ٢١٤ – ومواضع أخرى) ، والبخاريُّ في كتابه المفرد في الأدب (٧٨٣) ، والنسائيُّ في الكبرى (٦/ ٢٤٥) ، وابنُ ماجه (٢١١٧) ، من طرق عن الأجلح ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس به . وهذا إسنادٌ جيِّدٌ .

وقول : لولا الله وفلان ، والصواب أن يقال : ما شاء الله ثم شاء فلان ؛ ولولا الله ثم فلان ، لأن (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي ، وتجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ، كما قال تعالى :

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير : ٢٩] .

وأما الأفعال : فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه ، ومثل تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها ؛ إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه ، فهذا شرك أصغر ؛ لأن الله لم يجعل هذه أسبابًا ، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها ؛ فهذا شرك أكبر لأنه تعلّق بغير الله .

القسم الثاني من الشرك الأصغر : شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات ، كالرياء والسمعة ، كأن يعمل عملًا مما يتقرب به إلى الله ؛ يريد به ثناء الناس عليه ، كأنه يُحسن صلاته أو يتصدق ؛ لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه ، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه .

والرياء إذا خالط العمل أبطله ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف : ١١٠] .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو لِلّهِ نِدًّا ؛ دَخَلَ النَّارَ** » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .[٢٣]

---

(٢٣) الدعاء :

الدعاء لغة : دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً ، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك .

والدعاء شرعًا : استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ ، واستمدادُه منه المعونةَ . وحقيقته : إظهار الافتقار إلى الله تعالى ، والتبرُّؤ من الحول والقوّة ، وهو سمةُ العبودية ، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة ، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل ، وإضافة الجود والكرم إليه .

الدعاء من العبادة . بل الدعاء من أعظم أنواع العبادات ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

والدليل على أن دعوة غير الله كفر ، قول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

الدعاء نوعان :

١- دعاء عبادة . ٢- دعاء مسألة .

دعاء المسألة هو : طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر .

كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة ، فإذا صرف من تلك العبادة شيئًا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث به رسوله من قوله : ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر : ١٤] .

وَلِمُسْلِم عَنْ جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ** » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : اَلْخَوْفُ مِنَ اَلشِّرْكِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ اَلرِّيَاءَ مِنَ اَلشِّرْكِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهُ مِنَ اَلشِّرْكِ اَلْأَصْغَرِ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى اَلصَّالِحِينَ .

اَلْخَامِسَةُ : قُرْبُ اَلْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

اَلسَّادِسَةُ : اَلْجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ عَلَى عَمَلٍ مُتَقَارِبٍ فِي الصُّورَةِ .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّ مَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلنَّارَ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ اَلنَّاسِ .

اَلثَّامِنَةُ : اَلْمَسْأَلَةُ اَلْعَظِيمَةُ : سُؤَالُ اَلْخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ اَلْأَصْنَامِ!

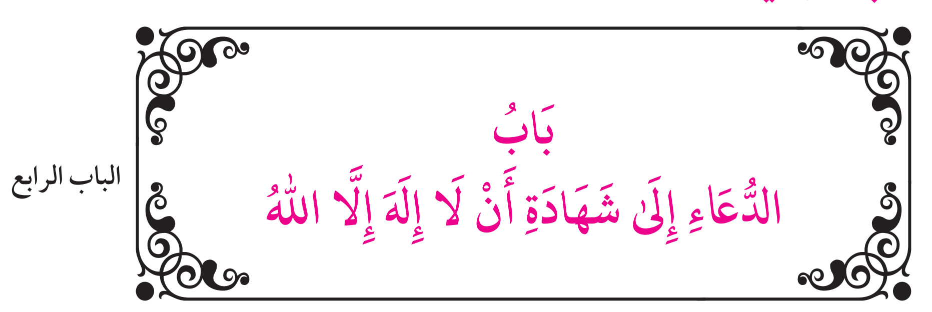
اَلتَّاسِعَةُ : اعْتِبَارُهُ بِحَالِ اَلْأَكْثَرِ لِقَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

اَلعَاشِرَةُ : فِيهِ تَفْسِيرُ « **لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ** » كَمَا ذَكَرَهُ اَلْبُخَارِيُّ .

اَلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ اَلشِّرْكِ .

* * *

الباب الرابع



بَابُ
الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ (٢٤) ﴾ [يوسف : ١٠٨] الآيَةَ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : « **إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** - وَفِي رِوَايَةٍ : « **إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ** » - **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ** (٢٥)

---

(٢٤) على بصيرة :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

البصيرة : هي العلم ، وهي للقلب كالبصر للعين يبصر بها المعلومات والحقائق فكما أنك بالعين تبصر الأجرام والذوات ، فإنك ببصيرة القلب والعقل تدرك المعلومات ، والمعنى : أنه دعا على علم ، وعلى يقين ، وعلى معرفة ، لم يدعُ إلى الله على جهالة .

(٢٥) الدليل على الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد :

قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ (٢٦) ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » أَخْرَجَاهُ .

وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

فبدأ في هذه الآية بالتوحيد والبراءة من الشرك . أعظم ما أمر به التوحيد ، وأكبر ما نهى عنه الشرك ؛ وأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وهذا هو معظم الدين وما بعده من الشرائع تابع له .

* الدليل على فرض الصيام :

قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

* الدليل على فرض الحج :

قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

(٢٦) كرائم أموالهم :

حدَّث ابنُ عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ ، لما بعث معاذا إلى اليمن قال : « **إنك تقدم على قوم أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزَّ وجلَّ ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم**

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : « **لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ** » .

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ؟ فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا .

فَقَالَ : « **أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** » ؟

فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، فَقَالَ : « **انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ** (٢٧) ، ....

فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم » .

أخرجه البخاريُّ (١٣٩٥ ، ١٤٥٨ ، ١٤٩٦ ، ٤٣٤٧ ، ٧٣٧١ ، ٧٣٧٢) ، ومسلمٌ (١٩/ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) ، وأبوداود (١٥٨٤) ، والترمذيُّ (٦٢٥) ، والنسائيُّ في المجتبى (٥/ ٢ ، ٥٥) ، وفي الكبرى (٢/ ٤ ، ٣٠) ، وابنُ ماجه (١٧٨٣) ، من حديث أبي معبد - مولى ابن عباس - ، عن ابن عباس به . قال مسلم في الموضع الأول : عن ابن عباس ، عن معاذ . وعند بعضهم : « **فإن هم أطاعوك فأعلمهم ..** » . وقال الترمذي : « هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ » .

كرائم أموالهم : جمع كريمه ؛ وهي الجامعة للكمال الممكن في حقها : من غزارة لبن وجمال صورة وكثرة لحم وصوف وهي خيار المال وأنفسه وأكثره ثمنًا .

(٢٧) بساحتهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ (٢٨) وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ،

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٧١-١٨٢] .

سبقت كلمتُنا : هي قوله تعالى ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

فتـول عنهم حتـى حيـن : يعني أعـرض عنهم حتى تؤمـر فيهـم بالقتال . **أبصرهـم** : أي أنظرهـم . **فإذا نزل** : أي العذاب . **بسـاحتهم** : أي بفناء أرضهم ودارهم . **فساء صباح المنذرين** : أي بئس الصباح صباحهم ، إنه صباح هلاكهم ودمارهم .

(٢٨) الإسلام : تعريفه وأصله وأركانه :

هو : الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه ؛ ونفي الشرك في العبادة ، والبراءة من الشرك وأهله ، وموالاة المسلمين ومعاداة المشركين .

ودين الإسلام هو الذي ارتضاه الله وبعث به رسله وهو الاستسلام له وحده ، فأصله في القلب .

وأصل الإسلام : هو التوحيد وهو دعوة جميع المرسلين ، وهو كما تقدم الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسنة رسله .

فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » (٢٩) .

« يَدُوكُونَ » أَيْ : يَخُوضُونَ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

ٱلْأُولَى : ٱلدَّعْوَةَ إِلَى ٱللهِ طَرِيقُ مَن اتَّبَعَهُ ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَٰخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

أركان الإسلام خمسة :

روى البخاريُّ (٨) ، ومسلمٌ (١٦/ ٢٢) عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما ، قَال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « **بُنِيَ الإسلامُ على خمس : شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ ، وإقَامِ الصَّلاةِ ، وإيتَاءِ الزَّكاةِ ، والحَجِّ ، وَصَومِ رمضَانَ** » . لفظ البخاري .

(٢٩) حُمْر النَّعَمِ :

روى البخاريُّ (٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلمٌ (٢٤٠٦/ ٣٤)، من حديث أبي حازم سلمة بن دينار المدني ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ ، قال : « **لأنْ يَهدي اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرُ لك من حُمْر النَّعَم** » .

حمر بضم المهملة وسكون الميم ، جمع أحمر .

والنعم : بفتح النون والعين المهملة أي خير لك من الإبل الحمر ؛ وهي أنفس أموال العرب . يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه .

اَلثَّانِيَةُ : اَلتَّنْبِيهُ عَلَى اَلْإِخْلَاصِ ؛ لأَنَّ كَثِيرًا لَوْ دَعَا إِلَىٰ اَلْحَقِّ فَهُوَ يَدْعُو إِلَىٰ نَفْسِهِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ الْبَصِيرَةَ مِنَ اَلْفَرَائِضِ .

اَلرَّابِعَةُ : مِنْ حُسْنِ اَلتَّوْحِيدِ : أَنَّهُ تَنْزِيهٌ لهُ تَعَالَىٰ عَنِ اَلْمَسَبَّةِ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ مِنْ قُبْحِ اَلشِّرْكِ كَوْنُهُ مَسَبَّةً للّٰهِ .

اَلسَّادِسَةُ : -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا- إِبْعَادُ اَلْمُسْلِمِ عَنْ اَلْمُشْرِكِينَ لَا يَصِيرُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ .

اَلسَّابِعَةُ : كَوْنُ اَلتَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى اَلصَّلَاةِ .

اَلتَّاسِعَةُ : أَنَّ مَعْنَى « **يُوَحِّدُوا اللّٰهَ** » ، هو مَعْنَىٰ شَهَادَةِ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ اَلتَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ .

اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : الْبَدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَصْرِفُ اَلزَّكَاةِ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كَشْفُ اَلْعَالِمِ اَلشُّبْهَةَ عَنِ اَلْمُتَعَلِّمِ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : اَلنَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ اَلْأَمْوَالِ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : اتِّقَاءُ دَعْوَةِ اَلْمَظْلُومِ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : اَلْإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ اَلتَّوْحِيدِ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ﷺ وسَادَاتِ اَلْأَوْلِيَاءِ مِنَ اَلْمَشَقَّةِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ.

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «**لَأُعْطِيَنَّ اَلرَّايَةَ**» إِلَىٰ آخِرِهِ. عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ اَلنُّبُوَّةِ.

اَلْعِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا.

اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضَائِلُ اَلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اَللَّيْلَةَ، وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ اَلْفَتْحِ.

اَلثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: اَلْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ، وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَىٰ.

اَلرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: اَلْأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ**».

اَلْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: اَلدَّعْوَةُ إِلَىٰ اَلْإِسْلَامِ قَبْلَ اَلْقِتَالِ.

اَلسَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

اَلسَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: اَلدَّعْوَةُ بِالْحِكْمَةِ، لِقَوْلِهِ: «**أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ**».

اَلثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: اَلْمَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي اَلْإِسْلَامِ.

اَلتَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

اَلثَّلَاثُونَ: اَلْحَلِفُ عَلَىٰ اَلْفُتْيَا.

* * *

الباب الخامس



بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعالَى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] الآيَةَ .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٧] الآيَةَ .

وَقَوْلِهِ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٠) [التوبة : ٣١] الآيَةَ .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] الآيَةَ .

وَفِي « الصَّحِيحِ » عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** عز وجل » .

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ : مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ .

فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا : وَهِيَ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ ، وَبَيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ :

---

(٣٠) الدين والحلال والحرام :

الدين ما شرعه الله . والحلال ما أحله الله . والحرام ما حرمه الله .

مِنْهَا: آيَةُ الْإِسْرَاءِ، بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ (٣١).

وَمِنْهَا: آيَةُ بَرَاءَةَ بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فِي الْمَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.

---

(٣١) الشرك الأكبر :

هو دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كطلب الشفاعة من الأموات . وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من أصحاب القبور والجن والشياطين والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يمرضوه ، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات ، وتفريج الكُربات ، ومثل ذلك مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين . قال الله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

فمن أنواعه :

١- الاستغاثة بغير الله .

٢- دعاء غير الله .

٣- طلب الحوائج من الموتى ؛ والاستغاثة بهم والتوجه إليهم .

وهو يُخرج من الملة ، ويخلد صاحبه في النار ، إذا مات ولم يتب منه .

وَمِنْهَا : قَوْلُ الْخَلِيلِ عليه السلام لِلْكُفَّارِ : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ فَاسْتَثْنَىٰ مِنَ الْمَعْبُودِينَ رَبَّهُ ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ وَهَذِهِ الْمُوَالَاةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . فَقَالَ : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

وَمِنْهَا : آيَةُ الْبَقَرَةِ فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ حُبًّا عَظِيمًا ، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ حُبًّا أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللهِ ؟!

فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يُحِبَّ اللهَ ؟!

وَمِنْهَا : قَوْلُهُ ﷺ : « **مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ** (٣٢) **بِمَا يُعْبَدُ مِنْ**

---

(٣٢) الكفر :

الكفر في اللغة : التغطية والستر .

والكفر شرعًا : عدم الإيمان بالله ورسله ، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل مجرد شك وريب أو إعراض أو حسد أو كِبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة .

وهو نوعان : كفر أكبر ، وكفر أصغر .

* الكفر الأكبر :

أقسامه كثيرة . **الأول منها** : كفر التكذيب .

ودليله قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ

دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ... » . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَىٰ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالْمَالِ ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ

لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] . كرجل ادعى أن الرسول ﷺ جاء بخلاف الحق ، ورجل ادعى أن الله تعالى حرم شيئًا أو أحله مع علمه بأن ذلك خلاف أمر الله ونهيه فقد كفر كفر تكذيب .

الثاني : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق .

ودليله قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] . كرجل يقر أن ما جاء به الرسول ﷺ حق من ربه لكنه يرفض إتباعه أشرًا وبطرًا واحتقارًا للحق وأهله .

الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن .

ودليله قول الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٣٥-٣٨] . كرجل لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا كذبه ؛ بل يشك في أمره ، ويتردد في اتباعه ؛ فمن شك في الاتباع لما جاء به الرسول ، أو جوَّز أن يكون الحق خلافه ؛ فقد كفر كفر شك .

الرابع : كفر الإعراض .

ودليله قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣] . كرجل يعرض بسمعه وقلبه عما جاء به الرسول ﷺ فلا يصدق ذلك ولا يكذبه ، ولا يوالي الرسول ﷺ ولا يعاديه ، ولا يصغي إلى ما جاء به ، ويترك

مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا ، بَلْ وَلَا الْإِقْرَارَ بِذَلِكَ ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ

الحق لا يتعلمه ولا يعمل به ، ويهرب من الأماكن التي يذكر فيها الحق فقد كفر كفر إعراض .

الخامس : كفر النفاق .

ودليله قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣] . وهو إظهار الإسلام ، وإبطان الكفر . وهو مخالفة الباطن للظاهر ، وإظهار القول باللسان أو الفعل ، بخلاف ما في القلب من الاعتقاد .

السادس : كفر السب والاستهزاء . ودليله قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥-٦٦] . وهو استهزاء ، أو سخرية أو انتقاص ، أو سب بشيء من دين الإسلام مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، سواء كان هازلًا ، أو لاعبًا ، أو مجاملًا لكفار ، أو في حال مشاجرة ، أو في حال غضب ونحوها فقد أجمع الأئمة على كفر فاعله .

السابع : كفر البغض ، وهو كره دين الإسلام ، أو شيئًا من أحكامه ، أو شيئًا من شرع الله تعالى ، أو مما أنزل ، أو كره النبي ﷺ أو ما جاء به من الشرع ، أو شيئًا من ذلك ، وتمنى أنه لم يكن ، أو كره شيئًا مما أجمع أهل العلم عليه أنه من الدين لأن من تعظيم هذا الدين العظيم محبته ومحبة الله تعالى ورسوله الأمين ﷺ وما أنزل الله من الشرع من أوامره ونواهيه ، ومحبة أوليائه ، والمحبة : شرط من شروط (لا إله إلا الله) . فالبغض يناقض المحبة والقبول والانقياد والتسليم ، ويريد العداوة والكراهية للحق ولأوليائه وهذا النوع من الكفر يؤدي إلى كفر الإعراض .

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّىٰ يُضِيفَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْكُفْرَ

يترتب على الكفر الأكبر : أنه يخرج من الملة ويحبط الأعمال ، ويخلد صاحبُه في النار ، ويبيح الدم والمال ؛ ومن لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له ، ولا تنفعه الشفاعة يوم القيامة .

الواجب تجاه الكفر الأكبر : يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب .

❊ الكفر الأصغر :

هو ما لا يناقض أصل الإيمان بل يُنقص الإيمان ويُضعفه وهو المشهور عند العلماء بقولهم : (كفر دون كفر) .

فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفرًا ، ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر ، أو النفاق الأكبر ، أو الشرك الأكبر ، أو الفسق الأكبر ، أو الظلم الأكبر فهو كفر أصغر وقد أطلقه الشارع على سبيل الزجر والتهديد .

أنواعه كثيرة . الأول منها : كفر النعمة ، بنسبتها إلى غير الله تعالى بلسانه دون اعتقاده ، ودليله قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣] . كقول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي . أو كقول الرجل : لولا عمرو لم أنجح ، فهذان الرجلان ينسبان النعمة إلى غير الله مع علمهم أن ذلك بتوفيق الله تعالى .

ومنه أيضًا : الرجل يسمي أولاده بعبد الحارث ، وعبد الرسول ، وعبد الحسين لأنه عبّده لغير الله مع أنه هو خالقه والمنعم عليه .

الثاني : كفران العشير والإحسان ، ودليله ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « **أُريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء . يكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟**

بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ .

قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا ، قالت : ما رأيت خيرًا قط » .

وقد أخرجه البخاريُّ (٢٩ ، ٤٣١ ، ٧٤٨ ، ١٠٥٢ ، ٥١٩٧) ، ومسلمٌ (٩٠٧/ ٣٣-٣٤) ، وأبوداود (١١٨٩) ، والنسائيُّ (٣/ ١٤٦) ، جميعًا من حديث مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس به مختصرًا ومطولًا في حديث صلاة الخسوف .

الثالث : الحلف بغير الله ودليله قوله ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك** » .

أجمع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى .

الرابع : قتال المسلم ، ودليله قوله ﷺ : « **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر** » . وقوله ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة ؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان ، لقول الله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩] .

الخامس والسادس : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ، ودليلهما قول النبي ﷺ : اثنتان في الناس هُما بِهم كُفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت .

أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ٤٩٦) ، ومسلمٌ (٦٧/ ١٢١) من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَجَلَّهَا ، وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ ، وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ .

* * *

السابع : الانتساب إلى غير الأب ، ودليله قول النبي ﷺ : « **لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فهو كفر** » .

أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٢٦) ، والبخاريُّ (٦٧٦٨) ، ومسلمٌ (٦٢/ ١١٣) ، جميعًا من حديث عراك بن مالك ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.

يترتب علي الكفر الأصغر : أنه لا يُخرج من الملة ، ولا يُسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته ، ولا يُحبط الأعمال ؛ لكن ينقصها بحسبه ، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله عز وجل إذا لم يتب منها ، وإذا دخل صاحبه النار ؛ فإنه لا يخلد فيها ، وقد يتوب الله على صاحبه ؛ فلا يدخله النار أصلًا ، وهو لا يبيح الدم والمال ، ولا يمنع الموالاة مطلقًا ، وصاحب هذا الكفر ممن تنالهم شفاعة الشافعين .

الواجب تجاه الكفر الأصغر : صاحبه يُحَب ويُوالى بقدر ما فيه من الإيمان ، ويُبَغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان .

الباب السادس



بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ (٣٣) وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ [الزمر : ٣٨] الآيَةَ .

---

(٣٣) لبس الحلقة والخيط والتمائم ونحوهما :

التمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين وهذا في زعمهم فأبطلها الإسلام .

والحلقة : إما أن تكون من صُفر - يعني : من نحاس - ، وإما أن تكون من حديد ، أو تكون من أي معدن . والخيط : معروف ، والمراد عَقْدُهُ في اليد على وجه الاعتقاد ، وليس المراد خيطًا بعينه .

لبس الحلقة أو الخيط ونحوهما أحد أنواع الشرك وهو الشرك الأصغر ، وهو أيضا أحد أفراد الشرك بعمومه لأنها صورة من صور الإشراك .

قوله ونحوهما : معناه ما يكون نحو الحلقة والخيط مثل : الخرز والتمائم والحديد ونحو ذلك مما قد يُلبس ، ومثله أيضا ما يعلّق في البيوت ، أو في السيارات ، أو يعلّق على الصغار ونحو ذلك مما فيه لبس أو تعليق ، فكل ذلك يدخل في هذا الباب ، وأنه من الشرك .

وكانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العين ، قال تعالى ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ

هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤] ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٥٦] .

فكان للعرب اعتقاد في الحلقة والخيط ونحوهما كالتمائم وغيرها إذ كانوا يعتقدون أن من تعلّق شيئا من ذلك : أثر فيه ونفع ، إما من جهة دفع البلاء قبل وقوعه ، وإما من جهة رفع البلاء أو المرض بعد وقوعه .

فمن يعلّق الحلق والخيوط ونحوهما قبل وقوع البلاء لدفعه ، لا شك أن هذا أعظم إثمًا وذنبًا من الذي يعلّق هذه الأشياء لرفع البلاء بعد حصوله لأنه يعتقد أن هذه الأشياء الخسيسة الوضعية تدفع قدر الله جلَّ وعلا .

ومن الناس من يلبس تلك الأشياء ، ويعلّقها لرفع البلاء بعد حصوله ، كمن مرض فلبس خيطًا ، ليرفع ذلك المرض ، أو أصابته عين فلبس الخيط ليرفع تلك العين .

لماذا كان لُبس الحلقة أو الخيط من الشرك الأصغر ؟ الجواب : لأنه تعلق قلبه بها ، وجعلها سببًا لرفع البلاء ، أو سببًا لدفعه .

وهنا تنبيه : وهو أن كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركًا أكبر بحسب حال من فعلها : فالأصل : أن لبس الحلقة أو الخيط وتعليق التمائم والحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك من الأعمال ، أو الاعتقادات أو الأقوال الأصل فيها : أنها من الشرك الأصغر ، لكن قد تكون

صُفْرٍ ، فَقَالَ : « **مَا هَذِهِ** » ؟ قَالَ : مِنَ الْوَاهِنَةِ [٣٤] .

فَقَالَ : « **انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا** » . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ .

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : « **مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ** [٣٥] » .

شركًا أكبر بحسب حال صاحبها ، يعني : إن اعتقد في الحلقة والخيط مثلًا أنها تؤثر بنفسها : فهذا شرك أكبر ، وإذا اعتقد أنها ليست سببا لكن تؤثر بنفسها وتدفع الضرر بنفسها ، فتدفع المرض بنفسها ، وتدفع العين بنفسها ، أو ترفع المرض بنفسها ، أو ترفع العين بنفسها . فإذا اعتقد أنها ليست أسبابا بل هي مؤثرة بنفسها : فقد وقع في الشرك الأكبر ؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله جل وعلا ، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية ، فيكون ذلك شركًا في الربوبية فعماد هذا الباب على تعلّق القلب بهذه الأشياء كالحلقة والخيط ونحوهما ؛ لدفع ما يسوؤه ، أو لرفع ما حل به من مصائب .

(٣٤) الواهنة :

الواهنة : عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها ، فيُرقي منها ، وقيل : هو مرض يأخذ في العضد ، وهي تأخذ الرجال دون النساء .

(٣٥) من تعلق ودعة فلا ودع الله له :

في الحديث الحسن الذي أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٥٤) وغيره ، عن خالد بن عبيد المعافري ، قال سمعتُ مِشرَح بن هَاعَان يقول : سمعت عقبة

وَفِي رِوَايَةٍ : « **مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ** » .

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّىٰ ، فَقَطَعَهُ ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ ، فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ : أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالْجَهَالَةِ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ بَلْ تَضُرُّ ، لِقَوْلِهِ : « **لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا** » .

ابنَ عامر رضي الله عنه ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له** » .

الودعة : بفتح الواو وسكون المهملة ، شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يُعلّق في حلوق الصبيان وغيرهم يتقون به العين .

فلا ودع الله له : بتخفيف الدال ، أي لا جعله في دعة وسكون ، وهذا دعاء عليه . بمعنى لا خفف الله عنه ما يخافه . وفي الحديث وعيد شديد لمن فعل ذلك .

اَلْخَامِسَةُ : الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَىٰ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ .

اَلسَّادِسَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ .

اَلسَّابِعَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّ تَعْلِيقَ الْخَيْطِ مِنَ الْحُمَّىٰ مِنْ ذَلِكَ .

اَلتَّاسِعَةُ : تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الْأَكْبَرِ عَلَىٰ الْأَصْغَرِ ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّ تَعْلِيقَ الْوَدَعِ عَنِ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : الدُّعَاءُ عَلَىٰ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمُّ لَهُ ، « **وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ** » ، أَيْ : تَرَكَ اللهُ لَهُ .

* * *



الباب السابع

بَابُ
مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي « الصَّحِيحِ » عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بعضِ أسفارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا : « **أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ** (٣٦) **أَوْ قِلَادَةٌ** (٣٧) **إِلَّا قُطِعَتْ** » .

---

(٣٦) الوَتَر :

الوَتَر : بفتحتين ، واحد أوتار القوس ؛ وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره ، وقلدوا به الدواب اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدابة العين . ويتقلد وترًا : أي يجعله قلادة في عنق أو عنق دابته .

(٣٧) القِلَادة :

ما يوضع في العنق من الحُلِيّ والزينة للنساء ؛ والحبل يوضع في عنق الدابة لتقاد به .. ومثل ذلك ما يعلقه بعض الناس اليوم على السيارات من صورة قرد ونحوه وما يضعه بعضهم على أبواب البيوت والحوانيت من حدوة حمار أو حصان وتعليق سنابل من الحنطة أو غير ذلك كله من عمل الجاهلية المنهي عنه أشد النهي وقد يصل إلى الشرك الأكبر عند بعضهم حين يعتقد فيه أنه هو الذي يدفع حقيقة الشر والسوء .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ** [٣٨] **وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ** [٣٩] **شِرْكٌ**» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا : « **مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ** » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

« **التَّمَائِمُ** » : شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَىٰ الأَوْلَادِ عَن الْعَيْنِ ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ ، وَيَجْعَلْهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ، مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وَ « **الرُّقَىٰ** » : هِيَ الَّتِي تُسَمَّىٰ الْعَزَائِمَ ، وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ .

وَ « **التِّوَلَةُ** » : شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَىٰ زَوْجِهَا ، وَالرَّجُلَ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ .

---

(٣٨) الرُّقَى :

هي التي تسمى العزائم والرقى الموصوفة بكونها شرك : هي التي يستعان فيها بغير الله ، وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبيّ ﷺ فهذا حسن جائز أو مستحب .

(٣٩) التِّوَلَة :

شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وهو ضرب من السحر .

وَرَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يَا رُوَيْفِعُ! لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ** (٤٠) ، **أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا ، أَو اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ** (٤١) ، **فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ** » .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : « مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ » . رَوَاهُ وَكِيعٌ .

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : « كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا ، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ الرُّقَى وَتَفْسِيرُ التَّمَائِمِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ .

---

(٤٠) يعقد اللحية :

بكسر اللام ؛ والجمع لحى بالكسر والضم ، والمقصود : ما كانوا يفعلونه في الحرب من عقد اللحية .

(٤١) الاستنجاء برجيع الدابة أو بالعظم :

الاستنجاء : مأخوذ من النجو ، وهو إزالة أثر الخارج من السبيلين ، لأن الإنسان الذي يستجمر بعد الخلاء يزيل أثره .

ورجيع الدابة : هو روثها . وإنما تبرأ النبيّ ﷺ ممن استنجى بهما ، لأن : الروث علف بهائم الجن ؛ والعظم طعامهم ، يجدونه أو ما يكون لحمًا . وكل ذنب قرن بالبراءة من فاعله ، فهو من كبائر الذنوب .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذِهِ الثَّلاثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الْحَقِّ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا ؟

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَىٰ الدَّوَابِّ عَنْ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ .

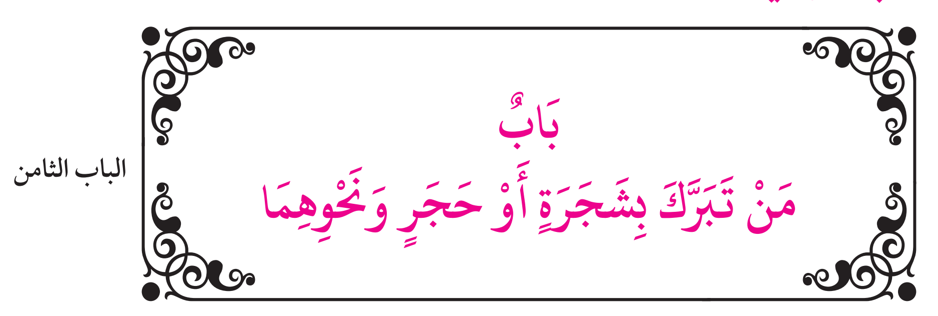
اَلسَّابِعَةُ : الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ مَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا .

اَلثَّامِنَةُ : فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ .

اَلتَّاسِعَةُ : كَلَامُ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ .

* * *

الباب الثامن



بَابٌ
مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ (٤٢) وَٱلْعُزَّىٰ (٤٣) ﴾ [النجم : ١٩] الآيَاتِ .

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ

---

(٤٢) اللات :

سموا اللات من الإله وهي : كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معَظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

(٤٣) العُزّى :

كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة - بين مكة والطائف - كانت قريش يعظمونها .

❊ منــاة :

كانت بالمشلّل عند قُديد - بين مكة والمدينة - وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج ، وأصل اشتقاقها : من اسم المنان ، وقيل : لكثرة ما يُمنى - أي يُراق - عندها من الدماء للتبرك بها .

عَهْدٍ بِكُفْرٍ [٤٤] ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ [٤٥] عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ [٤٦] بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ [٤٧] ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ** [٤٨] ، **قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ**

*** قسمة ضِيزَى :**

أي جائرة وباطلة .

(٤٤) حدثاء عهد بكفر :

أي قريب عهدنا بالكفر .

(٤٥) يعكفون :

العكوف هو الإقامة على الشيء في مكان .

(٤٦) يَنُوطُون :

أي يعلقون عليها للبركة .

(٤٧) ذات أنواط :

أنواط جمع نوط وهو مصدر سمى بها المنوط .

(٤٨) السُّنن :

بالضم وبالفتح : أي الطرق .

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، « **لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ اَلنَّجْمِ .

اَلثَّانِيَةُ : مَعْرِفَةُ صُورَةِ اَلْأَمْرِ اَلَّذِي طَلَبُوا .

اَلثَّالِثَةُ : كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا .

اَلرَّابِعَةُ : كَوْنُهُمْ قَصَدُوا اَلتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ لَهُمْ مِنَ اَلْحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ ، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : « **اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا اَلسُّنَنُ ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** » فَغَلَّظَ اَلْأَمْرَ بِهَذِهِ اَلثَّلَاثِ .

اَلثَّامِنَةُ : أنَّ اَلْأَمْرَ اَلْكَبِيرَ - وَهُوَ اَلْمَقْصُودُ - أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طِلْبَتَهُمْ كَطِلْبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

اَلتَّاسِعَةُ : أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَىٰ « لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ » ، مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَىٰ أُولَئِكَ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّهُ حَلَفَ عَلَىٰ اَلْفُتْيَا ، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهذَا .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُمْ : « وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ » فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُهُ ذَلِكَ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : ذِكْرُ اَلتَّكْبِيرِ عِنْدَ اَلتَّعَجُّبِ ، خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : سَدُّ اَلذَّرَائِعِ [٤٩] .

(٤٩) سد الذرائع :

سدًّا للذريعة : أن يكون الفعل غير محرَّم ، ولكنه يوصِل إلى المحرَّم ، فهي : حسمُ مادة وسائل الفساد دفعًا لها ؛ فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة منع مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ من ذلك الفعل في كثير من الصور .

الاستدلال لمسألة سد الذرائع : من الأدلة على العمل بسد الذرائع قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، فسبُّ آلهة المشركين ليس محرمًا في ذاته ، وإنما هو محرم لما يفضي إليه ، وما روته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه : « **لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » . قالت : فلولا ذاك أبرز قبره ؛ غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مسجدًا » .

الذريعة تنقسم إلى أقسام :

١- الذريعة التي توصل إلى المحرَّم قطعًا ؛ فهذه محرَّمة قطعًا ، كحفر بئر أو حفرة في الطريق العام ، أو وضع المواد السامة في مياه المسلمين .

٢- الذريعة التي لا تفضي إلى المحرَّم إلا نادرًا كزراعة العنب ؛ فمع أنه قد يُتَّخذ خمرًا ، لكن ليس هذا الغالب في استعماله ، وعلى ذلك فلا يقال بحرمته ، وكذلك لا يمنع من المجاورة في البيوت خوف الوقوع في الزنا ، وهذه غير محرَّمة بالإجماع .

٣- الذريعة التي بين القسمين ، كالحِيَل الربوية في البيوع ، وهذه محل النزاع ؛ فمالك رَحِمَهُ اللهُ كثر عنده المنع منها ، حتى اشتُهِر بسد الذرائع ، ولهذا

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : اَلنَّهْيُ عَنْ اَلتَّشَبُّهِ بِأَهْلِ اَلْجَاهِلِيَّةِ .

يقول القرافي بعد أن قسَّم الذرائع إلى مُجْمَع على سده، ومُجْمَع على عدم سده، ومُخْتَلَف فيه : وليس سد الذرائع خاصًا بمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل قال بها هو أكثر من غيره، وأصل سدها مجمع عليه . اهـ .

آراء العلماء في مسألة سد الذرائع : اشتهر العمل بقاعدة سد الذرائع عن الإمام مالك والإمام أحمد، وعمل بها أصحابهما، وكذلك اشتهر عن الإمام الشافعي أنه لا يعمل بسد الذرائع، وكذلك الحنفية اشتهر عنهم العمل بالحِيَل، وظاهر ذلك أنهم لا يقولون بسد الذرائع ؛ فهل الحنفية والشافعية لا يعملون بسد الذرائع ؟

الحقيقة أن الحنفية عند هم في فروع عدة تعليل بعض الأحكام بسد الذرائع، منها : البدء بقتال البغاة ؛ فالبغاة مسلمون ؛ والأصل ألا يقاتل المسلم ابتداء بل لا يقاتل إلا دفعًا، لكن المذهب عند الحنفية البدء بقتالهم إذا تحيَّزوا وتهيؤوا للقتال ؛ وذلك لئلا يكون عدم قتالهم ذريعة لتقويتهم، ولعلهم إذا قووا لا يمكن دفعهم، وعندهم يُكرَه لمن خاف الحَيْف أن يتولى القضاء لئلا يكون ذلك ذريعة إلى الظلم ومرادهم بالكراهة هنا كراهة التحريم ؛ لأن الغالب الوقوع في المحظور، وعللوا تركَ المعتدَّةِ الطيبَ والزينةَ والكحل والدهن المطيب وغير المطيب بأن هذه الأشياء دواعي الرغبة فيها وهي ممنوعة من النكاح فتجتنبها كي لا تصير ذريعة على الوقوع في المحرم .

وأما الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو الذي اشتهر عنه عدم العمل بسد الذرائع، ولكن عند النظر في بعض المسائل التي ذكرها نجد أنه يعمل بسد الذرائع، مثل ما ذكره في مسألة منع فضل الماء ؛ حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : منعُ الماء

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : اَلْغَضَبُ عِنْدَ اَلتَّعْلِيمِ .

ليمنع به الكلأ الذي هو من رحمة الله عامٌّ يحتمل معنيين ، أحدهما : أن ما كان ذريعة إلى منع ما أحل الله لم يحل ، وكذلك ما كان ذريعة إلى إحلال ما حرم الله تعالى ، ثم قال : فإن كان هذا هكذا ؛ ففي هذا ما يثبت أن الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام ، ويحتمل أن يكون منع الماء إنما يُحَرَّم ؛ لأنه في معنى تلف على ما لا غنى به لذوي الأرواح والآدميين وغيرهم ، فإذا منعوا فضل الماء منعوا فضل الكلأ ، والمعنى الأول أشبه . فهل الشافعي لا يراعي الذريعة إلى المحرم مطلقًا ، وهل مراعاته للذريعة في بعض المسائل يعدّ تناقضًا منه ؟

قال تقي الدين السبكي بعد أن قرر مذهب الشافعي في مسألة العِينة ، وبعد أن ذكر كلام الشافعي السابق في مسألة منع فضل الماء : قد تأملته أي النص السابق فلم أجد فيه متعلقًا قويًا لإثبات قول سد الذرائع ، بل لأن الذريعة تعطى حكم الشيء المتوصَّل بها إليه ، وذلك إذا كانت مستلزمة له كمنع الماء ؛ فإنه مستلزم لمنع الكلأ ، ومنع الكلأ حرام ، ووسيلة الحرام حرام . والذريعة هي الوسيلة ، فهذا القسم وهو ما كان من الوسائل مستلزمًا لا نزاع فيه ، والعقد الأول (أي في بيع العِينة) ليس مستلزمًا للعقد الثاني ؛ لأنه قد لا يسمح له المشتري بالبيع أو ببذلهما ، أو يمنع مانع آخر ؛ فكل عقد منفصل عن الآخر لا تلازم بينهما ؛ فسدُّ الذرائع - الذي هو محل الخلاف بيننا وبين المالكية أمرٌ زائد على مطلق الذرائع وليس في لفظ الشافعي تعرُّض لهما ، والذرائع التي تضمنها كلام لفظه لا نزاع في اعتبارها ، ثم ذكر كلام القرافي السابق ثم قال : فالذرائع هي الوسائل وهي مضطربة اضطرابًا شديدًا : قد تكون

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : اَلْقَاعِدَةُ اَلْكُلِّيَّةُ ، لِقَوْلِهِ : « إِنَّهَا اَلسُّنَنُ » .

واجبة ، وقد تكون حرامًا ، وقد تكون مكروهة ومندوبة ومباحة . وتختلف أيضًا مع مقاصدها ، بحسب قوة المصالح والمفاسد وضعفها وانغمار الوسيلة فيها وظهورها ، فلا يمكن دعوى كلية باعتبارها ولا بإلغائها ، ومن تتبع فروعها الفقهية ظهر له هذا ، ويكفي الإجماع على المراتب الثلاث المذكورة في كلام القرافي ... إذن الإمام الشافعي يوافق الإمام مالك والإمام أحمد في المنع من الذرائع المستلزمة للمحرم . وإذا تقرر ما سبق فإن الذرائع المستلزِمة للمحرَّم محرَّمة إجماعًا ، والذرائع التي لا توصِل إلى المحرم إلا نادرًا مجمَع على عدم المنع منها ، وما بين هاتين المرتبتين وقع الخلاف فيه بين أهل العلم . لكن إذا كان يغلب على الظن إفضاء الذريعة إلى المحرَّم ؛ فهل نقول بأن المنع منها محل إجماع بين أهل العلم ؛ لأنه كثيرًا ما يلحق العلماء الظن الغالب بالقطع في الأحكام ؟ لا أستطيع القطع بذلك ، لكن المظنون بأهل العلم القول بالمنع منها ، وقد قال العز بنُ عبدالسلام الشافعي : ما يغلب ترتُّب مسبَّبِه عليه وقد ينفك عنه نادرًا فهذا أيضًا لا يجوز الإقدام عليه ؛ لأن الشرع أقام الظن مقام العلم في أكثر الأحوال . اهـ .

فإذا كان هذا هو رأي إمام من أئمة الشافعية في كتاب ألفه في مصالح الأنام فغيره من باب أوْلى أن يقول به .

والخلاف الذي يقع بين أهل العلم في بعض المسائل التي مردّها إلى مسألة سد الذرائع ، إما أنه خلاف راجع إلى خلافهم في بعض شروط العمل بسد الذرائع ، وإما أنه خلاف راجع إلى اختلاف نظرهم وفهمهم للمسألة أو للأمور الـمُحْتَفَّة بها ، كما نجد الخلاف عند علماء أهل السنة الذين يوجبون

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَامِ اَلنُّبُوَّةِ ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ .

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ اَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ فِي اَلْقُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا .

اَلْعِشْرُونَ : أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ اَلْعِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَىٰ اَلْأَمْرِ ، فَصَارَ فِيهِ اَلتَّنْبِيهُ عَلَىٰ مَسَائِلِ اَلْقَبْرِ ، أَمَّا « **مَنْ رَبُّكَ** » ؟ فَوَاضِحٌ ، وَأَمَّا « **مَنْ نَبِيُّكَ** » ؟ فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ اَلْغَيْبِ ، وَأَمَّا « **مَا دِينُكَ** » ؟ فَمِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ **ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا** ﴾ إِلَىٰ آخِرِهِ .

اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ اَلْكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ اَلْمُشْرِكِينَ.

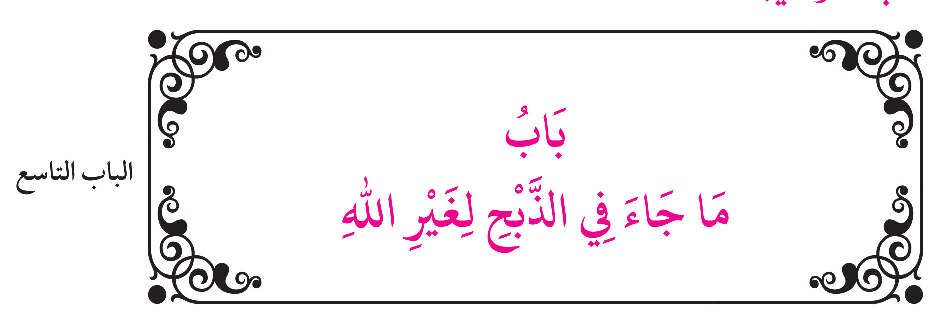
اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ اَلْمُنْتَقِلَ مِنَ اَلْبَاطِلِ اَلَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ اَلْعَادَةِ لِقَوْلِهِم : « وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ » .

* * *

العمل بما صح من الأحاديث في الأحكام الشرعية ؛ ومع ذلك نجد الخلاف عندهم في بعض المسائل التي اطَّلعوا كلهم على دليلها وذلك لاختلافهم في بعض شروط الحديث الصحيح فمنهم من يقبل زيادة الثقة إذا لم تخالف رواية من هو أوثق ، ومنهم من لا يرى ذلك بل له تقعيد آخر في مسألة زيادة الثقة ، أو أن خلافهم راجع إلى فهمهم أو طريقة استنباطهم الحكم من الحديث ، مع أن الحديث واحد ، والحديث قد اطلع عليه كلا الطرفين .

تنبيه ذكره القرافي : اعلم أن الذريعة كما يجب سدها يجب فتحها وتكره وتندب وتباح ؛ فإن الذريعة هي الوسيلة ؛ فكما أن وسيلة المحرم محرمة فوسيلة الواجب واجبة . اهـ .

الباب التاسع



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي (٥٠) لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام] الآيَةَ .

وَقَوْلِهُ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] .

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : « **لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا** (٥١) ، **لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ** » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

---

(٥٠) صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي :

الصلاة تشمل : الفرائض . والصلوات كلها عبادة وقد اشتملت على نوعي الدعاء ؛ دعاء المسألة ودعاء العبادة ، فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة ، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة .

ونسكي : النسك الذبح في الحج والعمرة .

ومحياي : ما آتيه في حياتي .

ومماتي : ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح .

(٥١) لَعَنَ اللهُ من آوى محدثا ومن غيَّر منار الأرض :

في الحديث الصحيح الذي رواه مسلمٌ (١٩٧٨ / ٤٣) وغيرُهُ ، عن عليّ رضي الله عنه ،

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ : « **دَخَلَ الْجَـنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ** » .

قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ ؟!

قَالَ : « **مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ**

قال : حدثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلمات : « **لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض** » .

اللعن : البعد عن مظان الرحمة ومواطنها ، واللعين والملعون : من حقّت عليه اللعنة ؛ أو دُعي عليه بها . وأصل اللعن : الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق : السب والدعاء .

آوى محدثًا : آوى : بفتح الهمزة ممدوة أي ضمه إليه وحماه . محدثًا : بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول ، فمعنى الكسر : من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خصمه ، وحال بينه وبين أن يُقتص منه . وبالفتح : هو الأمر المبتدع نفسه ، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به ، والصبر عليه ؛ فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه .

وإنَّ كل من أحدث أمرًا يضر بالمسلمين ، ويهدد أمنهم واستقرارهم فالنبيّ ﷺ لعن من آوى هؤلاء ومن شابههم في معنى الإحداث ، ومن إيواء المحدثين التستر عليهم ، وتغطية آثار الجريمة .

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم . اهـ .

من غيَّر منار الأرض بفتح الميم : يعني غيَّر علامات حدودها . وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور .

شَيْئًا ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ .

قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ .

قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَقَرَّبَ ذُبَابًا ؛ فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ .

وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ .

فَقَالَ : مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ ﷻ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ : ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ .

اَلثَّالِثَةُ : الْبَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ .

اَلرَّابِعَةُ : لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي اَلرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ .

اَلْخَامِسَةُ : لَعْنُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا : وَهُوَ اَلرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللهِ فَيَلْتَجِئُ إِلَىٰ مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ .

اَلسَّادِسَةُ : لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ اَلْأَرْضِ ، وَهِيَ اَلْمَرَاسِيمُ اَلَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ مِنَ اَلْأَرْضِ وَحَقِّ جَارِكَ ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ .

اَلسَّابِعَةُ : اَلْفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ اَلْمُعَيَّنِ ، وَلَعْنِ أَهْلِ اَلْمَعْصِيَةِ عَلَىٰ سَبِيلِ اَلْعُمُومِ .

اَلثَّامِنَةُ : هَذِهِ اَلْقِصَّةُ اَلْعَظِيمَةُ ، وَهِيَ قِصَّةُ اَلذُّبَابِ .

اَلتَّاسِعَةُ : كَوْنُهُ دَخَلَ اَلنَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ اَلذُّبَابِ اَلَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ ، بَلْ

فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ .

الْعَاشِرَةُ : مَعْرِفَةُ قَدْرِ اَلشِّرْكِ فِي قُلُوبِ اَلْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ اَلْقَتْلِ ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَىٰ طِلْبَتِهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا اَلْعَمَلَ اَلظَّاهِرَ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ اَلَّذِي دَخَلَ اَلنَّارَ مُسْلِمٌ ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا لَمْ يَقُلْ : « **دَخَلَ اَلنَّارَ فِي ذُبَابٍ** » .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ اَلصَّحِيحِ : « **اَلْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ** [٥٢] ، **وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ** » .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ اَلْقَلْبِ هُوَ اَلْمَقْصُودُ اَلْأَعْظَمُ حَتَّىٰ عِنْدَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ .

* * *

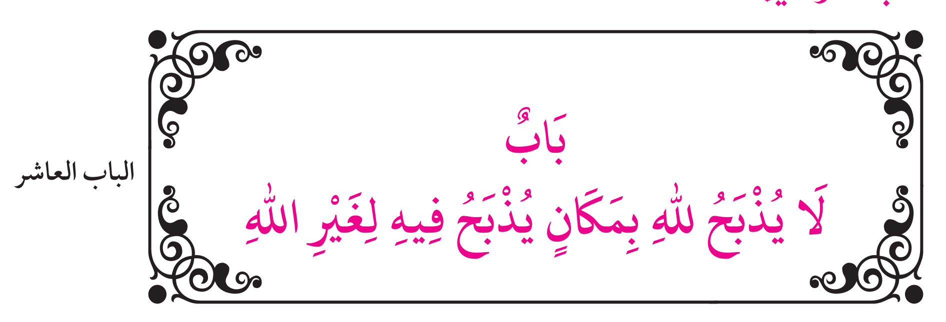
---

(٥٢) شراك نعله :

روى البخاريُّ (٦٤٨٨)، والإمام أحمد (١/ ٣٨٧)، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، قال : « **الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك** » .

الشراك : أحد السيور من الجلد والتي تمسك بالنعل على ظهر القدم . شراك النعل : يضرب به المثل في القرب ؛ لأن الإنسان لابس نعله ، فالجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله ؛ لأنها ربما تحصل للإنسان بكلمة واحدة ، والنار مثل ذلك ، ربما تحدث النار بسبب كلمة يقولها القائل ، مثل الرجل الذي كان يمر على صاحب معصية فينهاه ويزجره فلما تعب قال : والله لا يغفر الله لفلان .

الباب العاشر



بَابُ
لَا يُذْبَحُ للهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا ﴾ (٥٣) [التوبة : ١٠٨] الآيَةَ .

---

(٥٣) المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، ومسجد الضرار :

قيل هو : مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **هو مسجدي هذا** » . رواه مسلم .

وقيل : هو مسجد قباء كما دلت عليه الآية الكريمة : ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

قال ابنُ كثير : وهذا صحيح . ولا منافاة بين الآية والحديث ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم ، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق أولى ، وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٧] فلهذه الأمور نهى الله نبيه عن القيام فيه للصلاة ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا ﴾ [التوبة : ١٠٨] . اهـ .

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ [٥٤] ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « **هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ** »؟

مسجد الضرار : مسجد أسس على معصية الله .[1]

(٥٤) بُوانة ، والوفاء بالنذر :

في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبوداود (٣٣١٣) ، والطبرانيُّ في الكبير (٢/ رقم١٣٤١) ، من حديث أبي قلابة ، عن ثابت بن الضحاك الأنصاري الأوسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : نذر رجل على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينحر إبلًا ببوانة ، فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد ؟** » قالوا : لا ، قال : « **هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟** » قالوا : لا . قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم** » .

بُوانة : بضم الباء وقيل بفتحها ؛ هي اسم موضع في أسفل مكة دون يلملم ، وقيل : أنها هضبة من وراء ينبع .

الوفاء بالنذر : وأما ما نذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك ، فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات .

والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات . فإن كلاهما شرك .

والشرك ليس له حرمة ، بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **من حلف وقال في حلفه : واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله** ». رواه البخاريُّ (٤٨٦٠ ، ٦١٠٧ ، ٦٣٠١ ، ٦٦٥٠) ، ومسلمٌ (١٦٤٧) ،

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللهُ : الأولى التنبيه على دلالة الآية على أن المسجد الذي يبنى على القبر لا تجوز الصلاة فيه لأنه لم يبن على تقوى بل على شرك ؟

قَالُوا : لَا .

قَالَ : « **فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ** (٥٥) **مِنْ أَعْيَادِهِمْ** » ؟

وأبوداود (٣٢٤٧) ، والنسائيُّ (٧/٧) ، والترمذيُّ (١٥٤٥) ، وابنُ ماجه (٢٠٩٦) ، جميعًا من حديث الزهري ، عن حميد بن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

(٥٥) العيد :

الأصل : عيد الفطر وعيد الأضحى . والعيد : اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد ؛ عائدًا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك .

وصرفه العوام إلى ما يسمّيه الناس اليوم الموالد والذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء ؛ وهي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم . ولذلك لا يذكر الناس ويعرفون إلا من أقيمت له هذه الذكريات ولو كان أجهل خلق الله وأسقمهم . فكلما كسدت سوق طاغوت من هؤلاء قام السدنة بهذا العيد لتحيا في نفوس العامة عبادته وتكثر الهدايا والقرابين باسمه ، وقد امتلأت البلاد الإسلامية بهذه الذكريات ، وعمت بها المصيبة وعادت بها الجاهلية إلى بلاد الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولم ينج منها إلا نجد والحجاز فيما نعلم بفضل الله ثم بفضل آل سعود الذين قاموا بحماية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

والمراد به هنا : الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية . فالعيد يجمع أمورًا عديدة منها : يوم عائد ، كيوم الفطر ويوم الجمعة ، ومنها اجتماع

قَالُوا : لَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَإِسْنَادُهُ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا .

فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه ، وقد يكون مطلقًا ، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيدًا .

فالزمان كقول النبيّ ﷺ في يوم الجمعة : « **إن هذا يوم قد جعله الله للمسلمين عيدًا** » . أخرجه ابنُ ماجه (١٠٩٨) بسند حسن ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنهما : « شهدت العيد مع رسول الله ﷺ » . أخرجه البخاريُّ (٤٨٩٥) ، ومسلمٌ (١/٨٨٤) ، وأبوداود (١١٤٧) ، وابنُ ماجه (١٢٧٤) جميعًا من حديث الحسن بن مسلم بن يَنَّاق ، عن طاووس عنه .

والمكان كقول النبي ﷺ : « **لا تتخذوا قبري عيدًا** » . أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ٣٦٧) ، وأبوداود (٢٠٤٢) ، عن عبدالله بن نافع الصائغ ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبُري ، عن أبي هريرة به . وهذا إسنادٌ صحيحٌ .

وقد يكون لفظ العيد اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبيّ ﷺ : دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدًا .

*** مولد البدوي في مدينة طنطا بمصر :**

السيد البدوي بطنطا : لا يُعرف له تاريخ صحيح ، واضطربت الأقوال

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ اَلْمَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي اَلْأَرْضِ ، وَكَذَلِكَ اَلطَّاعَةُ .

اَلثَّالِثَةُ : رَدُّ اَلْمَسْأَلَةِ اَلْمُشْكِلَةِ إِلَىٰ اَلْمَسْأَلَةِ اَلْبَيِّنَةِ لِيَزُولَ اَلْإِشْكَالُ .

اَلرَّابِعَةُ : اسْتِفْصَالُ اَلْمُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَىٰ ذَلِكَ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ تَخْصِيصَ اَلْبُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ اَلْمَوَانِعِ .

فيه والمشهور : أنه كان جاسوسًا لدولة الملثمين ، وكان داهية في المكر والخديعة ، وقبره أكبر الأصنام في الديار المصرية ؛ مثل هبل الأكبر أو اللات في الجاهلية ؛ يؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر ، وتقدم له النذور ويجعل له الفلاحون النصف والربع في أنعامهم وفي زروعهم ، بل وأولادهم ؛ فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ويضعه في الصندوق قائلًا : هذا نصيبك يا بدوي ، ويقام له كل عام ثلاثة موالد يشد الرحال إليها الناس من أقصى القطر المصري ، ويجتمع في المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلى هذا الصنم الأكبر - عجل الله بهدمه وحرقه هو وغيره من كل صنم في مصر وغيرها - .

اَلسَّادِسَةُ : اَلْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ اَلْجَاهِلِيَّةِ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ .

اَلسَّابِعَةُ : اَلْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اَلْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ اَلْبُقْعَةِ لأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ .

اَلتَّاسِعَةُ : اَلْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ اَلْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ .

الْعَاشِرَةُ : لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : لَا نَذْرَ لابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ .

* * *


الباب الحادي عشر

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ (٥٦)

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ [الإنسان : ٧] .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

وَفِي « الصَّحِيحِ » عَنْ عَائِشَةَ (٥٧) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ » .

---

(٥٦) النذر المحرم :

والنذر المحرم كالذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد ، كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة ، فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه ستره ، ويقول : يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا ، أو من الفضة كذا ، أو من الطعام كذا ، أو من الماء كذا ، أو من الشمع والزيت .

(٥٧) فضل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

لا يقال خديجة أفضل ، ولا عائشة أفضل . والتحقيق : أن لعائشة من العلم والأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة لعلمها بأحوال النبيّ ﷺ ونزول القرآن وبيان الحلال والحرام ، وكان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم بعد وفاته ﷺ يرجعون

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : وُجُوبُ اَلْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ .

اَلثَّانِيَةُ : إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً لِلهِ فَصَرْفُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ شِرْكٌ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ نَذْرَ اَلْمَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ اَلْوَفَاءُ بِهِ .

* * *

إليها فيما أُشكل عليهم من أحوال النبيّ ﷺ وحديثه - صلوات الله وسلامه عليه - ورضي عن أصحابه وأزواجه .

*** فضل خديجة رضي الله عنها :**

لا يقال : خديجة أفضل ، ولا عائشة أفضل . والتحقيق : أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الإيمان بالنبيّ ﷺ وتأييده في تلك الحال التي بدئ بالوحي فيها ، فما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة .

الباب الثاني عشر



بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاِسْتِعَاذَةُ (٥٨) بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ (٥٩) فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

---

(٥٨) الاستعاذة :

الاستعاذة لغة : الالتجاء والاعتصام . وشرعًا : هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر .

ويسمى المستعاذ به : معاذًا وملجأ ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه ، إلى ربه ومالكه ، واعتصم واستجار به والتجأ إليه .

وهي من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده كما قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق : ١] ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١] .

(٥٩) يعوذون برجال من الجن :

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] ، أي كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أي : إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ** (٦٠) **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ** ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد مخافة لهم وأكثر تعوذًا بهم، وذاك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن، وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

* استمتع بعضنا ببعض:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

استمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك. واستمتاع الجني بالإنسي: تعظيمه إياه، واستعاذته به وخضوعه له، ونحو ذلك.

(٦٠) أعوذ بكلمات الله التامات:

في الحديث عند مسلم (٢٧٠٨/ ٥٤-٥٥)، والترمذيّ (٣٤٣٧)، والنسائيّ في اليوم والليلة (٥٦٠، ٥٦١) - وهو في الكبرى (١٠٣٩٤، ١٠٣٩٥) -،

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ الآيَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ .

اَلثَّالِثَةُ : : الِاسْتِدْلالُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ ؛ لأَنَّ الْعُلَمَاءَ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَىٰ أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ ، قَالُوا : لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ .

اَلرَّابِعَةُ : فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ ، لَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ .

* * *

وابن ماجه (٣٥٤٧) عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه ، عن خَوْلةَ بنتِ حكيم رضي الله عنها ، أنَّها سمعت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يقولُ : « **إذا نزلَ أحَدُكُم منزِلا فليقل أعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خلق فإنهُ لا يَضُرُّهُ شيءٌ حتى يرتحلَ منهُ** » .

التامات هي : الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب ، كما يلحق كلام البشر . وهي : الشافية الكافية . والكلمات هنا هي : القرآن ، لقوله تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت : ٤٤] .



الباب الثالث عشر

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ (٦١)

(٦١) ادعاء أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم :

وقد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم يطلبون منهم المدد ، وينادونهم في قضاء الحاجات ، بحجة أن ذلك منهم كرامات وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء ، والقطب هو الغوث للناس ، وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا فيهما الأجور ، وهذا كلام فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من شرك محقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

* الأبدال :

يقولون زورًا : هم سبعة ، على قلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

* النقباء :

يقولون زورًا : هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة .

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٦٢) ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ (٦٣) وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [العنكبوت : ١٧] الآيَة .

*** الأوتاد :**

يقولون زورًا : عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم : شرق وغرب وشمال وجنوب ، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة .

*** النجباء :**

يقولون زورًا : أربعون ، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق .

*** الأقطاب :**

يقولون زورًا : القطب هو : الغوث للناس .

(٦٢) الظالم نفسه :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] يكون من المشركين بالله الظالم لنفسه .

فالشرك أظلم الظلم وهو أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك ، لأنه حق الألوهية من العبادة والدعاء والنذر وصرفه للعبد الذي لا يستحقه . وهو وضع للعبادة في غير موضعها الصحيح .

(٦٣) الدين الخالص :

الدين هو : طاعة الله فيما أمر به وشرعه ، ونهى عنه وحرمه .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأحقاف : ٥] الآيَتَيْنِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ (٦٤) إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ (٦٥) يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ** ﷻ ».

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : أَنَّ عَطْفَ اَلدُّعَاءِ عَلَىٰ اَلِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ اَلْعَامِّ عَلَىٰ اَلْخَاصِّ.

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ .

وأعظم ما أمر به : التوحيد والإخلاص ، وأن لا يقصد العبدُ بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته ، وأرسل بذلك رسله ، وأنزل به كتبه ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] ، وأعظم ما نهى عنه : الشرك به في ربوبيته وإلهيته.

(٦٤) يُجيب المضطر :

أي أنَّ الله تعالى المنفرد بإجابة المضطرين ، وأنه المستغاث لذلك كله ، وأنه القادر على دفع الضر ، القادر على إيصال الخير ؛ فهو المنفرد بذلك ، وبانفراد الله جلَّ ذكرُه يخرج غيره من ملك ونبيّ ووليّ وكل مخلوق .

(٦٥) المنافق :

من يخالف قوله في الدين فعله ، وسره علانيته ؛ فهو يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، ويدخل في الإيمان ظاهرًا ، ويخرج منه باطنًا ؛ فهذا هو النفاق الأكبر .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذَا هُوَ اَلشِّرْكُ اَلْأَكْبَرُ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ أَصْلَحَ اَلنَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ صَارَ مِنَ اَلظَّالِمِينَ .

اَلْخَامِسَةُ : تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلَّتِي بَعْدَهَا .

اَلسَّادِسَةُ : كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي اَلدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا .

اَلسَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلثَّالِثَةِ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّ طَلَبَ اَلرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ ، كَمَا أَنَّ اَلْجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ .

اَلتَّاسِعَةُ : تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلرَّابِعَةِ .

الْعَاشِرَةُ : ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اَللهِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ اَلدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ تِلْكَ اَلدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ اَلْمَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : تَسْمِيَةُ تِلْكَ اَلدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُو .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كُفْرُ اَلْمَدْعُوِّ بِتِلْكَ اَلْعِبَادَةِ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ اَلنَّاسِ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ اَلْخَامِسَةِ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : اَلْأَمْرُ اَلْعَجِيبُ : وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ اَلْأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ اَلْمُضْطَرَّ إِلَّا اَللهُ ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي اَلشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : حِمَايَةُ اَلْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اَللهِ عز وجل .

* * *



بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآيَةَ

الباب الرابع عشر

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ (٦٦) مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (٦٧) ﴾ [فاطر : ١٣] الآيَةَ .

وَفِي « الصَّحِيحِ » عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : شُجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦٨) ....

---

(٦٦) الوسائط :

من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعًا .

(٦٧) قطمير :

قيل : اللفافة التي تكون على نواة التمر .

(٦٨) شج النبي صلى الله عليه وسلم :

ومعنى قوله تعالى : ليس لك من الأمر شيء

في صحيح مسلم (١٧٩١/ ١٠٤) وغيره ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد وكسرت رباعيته . فقال : « **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟** » فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

الشج هو : أن يضربه بشيء فيجرحه ويشقه ، وهو في الرأس خاصة ثم استعمل في غيره من الأعضاء .

يَوْمَ أُحُدٍ (٦٩) وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ (٧٠) ، فَقَالَ : « **كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ** » ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

وشج النبي : وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب ، ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم ، وليعلموا أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون ، ولا يفتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

المقصود : أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئًا من العبادة قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

فالذي ليس له من الأمر شيء - وهو خيرة الله من خلقه - ، ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله ، وهو الله تعالى .

(٦٩) يوم أحد :

قال رسول الله ﷺ : « **أحد جبل يحبنا ونحبه** » . أخرجه البخاريُّ (٤٠٨٣) ، ومسلمٌ (١٣٩٣) ، من حديث قرة بن خالد السدوسيّ البصري ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه به .

يوم أحد هو : شرقي المدينة . وهو : جبل معروف كانت عنده واقعة أحد المشهورة فأضيفت إليه .

(٧٠) كسرت رباعيته :

الرباعية : بفتح الراء وتخفيف الياء ، هي : كل سن بعد ثنية .

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ : « **اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا** » بَعْدَ مَا يَقُولُ : « **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ** » (٧١) ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وَفِي رِوَايَةٍ : « **يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَالْحَارِثِ ابْنِ هِشَامٍ** » . فَنَزَلَتْ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ :

وكسرت رباعيته : المراد أنه ذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها .

(٧١) الحمد والمدح :

الحمدُ ضد الذم والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له ، أما الذم : يكون على مساويه مع البغض له .

الفرق بين الحمد والمدح : أن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارًا مجردًا عن حب وإرادة ، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته . فإن كان الأول فهو المدح ، وإن كان الثاني فهو الحمد . فالحمد : إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه . ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح ، فإنه خبر مجرد . فالقائل إذا قال : الحمد لله ، أو قال : ربنا ولك الحمد تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الجملة المحققة والمقدرة ، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى ، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد . ربنا لك الحمد : أي ربنا استجب ولك الحمد .

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ (٧٢) ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . قَالَ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا .

يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا .

يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا .

وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ اَلْآيَتَيْنِ .

اَلثَّانِيَةُ : قِصَّةُ أُحُدٍ .

اَلثَّالِثَةُ : قُنُوتُ سَيِّدِ اَلْمُرْسَلِينَ وَخَلْفَهُ سَادَاتُ اَلْأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي اَلصَّلَاةِ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ اَلْمَدْعُو عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ لَا يَفْعَلُهَا غَالِبُ اَلْكُفَّارِ :

مِنْهَا : شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ ، وَحِرْصُهُمْ عَلَىٰ قَتْلِهِ .

وَمِنْهَا : اَلتَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَىٰ ، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ! .

اَلسَّادِسَةُ : أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

اَلسَّابِعَةُ : قَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَآمَنُوا .

---

(٧٢) عشيرتك :

عشيرة الرجل : هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته .

اَلثَّامِنَةُ : الْقُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ .

اَلتَّاسِعَةُ : تَسْمِيَةُ اَلْمَدْعُو عَلَيْهِمْ فِي اَلصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ .

الْعَاشِرَةُ : لَعْنُهُ اَلْمُعَيَّنَ فِي اَلْقُنُوتِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا اَلْأَمْرِ ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى اَلْجُنُونِ ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ اَلْآنَ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُ ﷺ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ : « **لَا أُغْنِي عَنْكُم مِنَ اللهِ شَيْئًا** » (٧٣) حَتَّى قَالَ : « **يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا** » . فَإِذَا صَرَّحَ ﷺ أَنَّهُ -وَهُوَ سَيِّدُ اَلْمُرْسَلِينَ- لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ اَلْعَالَمِينَ ، وَآمَنَ اَلْإِنْسَانُ أَنَّهُ ﷺ لَا يَقُولُ إِلَّا اَلْحَقَّ ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ اَلنَّاسِ الآنَ ؛ تَبَيَّنَ لَهُ اَلتَّوْحِيدُ وَغُرْبَةُ اَلدِّينِ .

* * *

---

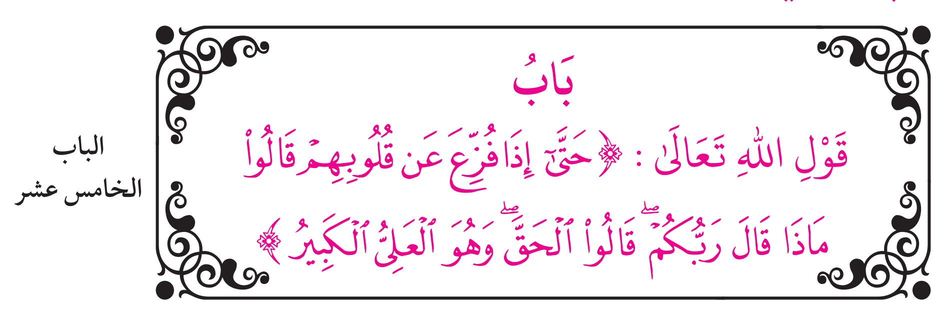
(٧٣) الحجة البالغة :

والحجة كما قال الراغب في مفرداته هي : الدلالة المبيّنة للمحجّة أي المقصد المستقيم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] .

الحجّة البيّنة الواضحة التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزيل كل لبس وشبهة عمّن نظر فيها واستدل بها . فحجته البالغة على هذا : تبيينه أنه الواحد ، وإرساله الرسل والأنبياء ، فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات ، وأيد الرسل بالمعجزات ، ولزم أمْرُه كُلَّ مكلَّف .

الباب الخامس عشر



فِي « الصَّحِيحِ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا (٧٤) ....

---

(٧٤) الخضعان ، والسلسلة على صفوان ، وينفذهم ، وفزع عن قلوبهم ، ومسترقو السمع ، والشهاب :

أخرج البخاري (٤٧٠١ ، ٤٨٠٠ ، ٧٤٨١) ، وأبوداود (٣٩٨٩) ، والترمذيُّ (٣٢٢٣) ، وابنُ ماجه (١٩٤) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « **إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان** – قال عليّ : وقال غيره : **صفوان ينفذهم ذلك** – ، **فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق الآخر** – ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض – **فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه ، وربما لم يدركه حتى يرمي بها الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض** – وربما قال سفيان : **حتى تنتهي إلى الأرض** – **فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدنا حقا ؟ للكلمة التي سمعت من السماء** » .

لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّى يُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ ، فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ » .

خضعانًا : بفتحتين من الخضوع وهو مصدر بمعني خاضعين أي طاعة وانقيادًا .

كالسلسلة على صفوان : أي لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس .

ينفذهم ذلك : أي ينفذ الله إلى الملائكة الأمر الذي قضاه .

فزع عن قلوبهم : زال عنها الخوف والفزع . مسترق السمع : أي يسمع الكلمة التي قضاها الله ، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا .

الشهاب : النجم الذي يرم به أي ربما أدرك الشهاب مسترق السمع .

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ (٧٥)

---

(٧٥) تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن :

قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء : ٤٤] . أعاد على السماوات والأرض ضمير[1] من يعقل ، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح ، وقوله : ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ الملائكة والإنس والجن . ثم عم بعد ذلك الأشياء كلها في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] . [2]

اختلف في هذا العموم ، هل هو مخصص أم لا ؟

١ – قالت فرقة : ليس مخصّصًا ، والمراد به : تسبيح الدلالة ، وكل محدث يشهد عليه نفسه بأن الله عزَّ وجلَّ هو الخالق المالك وحده .

٢– وقالت طائفة : هذا التسبيح حقيقة ، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحًا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ، ولقد كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمرا مفهوما ، والآية تنطق بأن التسبيح لا يفقهه البشر وأجيبوا بأن المراد بقوله : ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ ﴾ الكفار الذين يعرضون على الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء .

٣– وقالت فرقة ، قوله : ﴿ مِّن شَيْءٍ ﴾ عموم ، ومعناه : الخصوص في كل حي ونام ، وليس ذلك في الجمادات .

ومن هذا قول عكرمة : الشجرة تسبح والأسطوان لا يسبح .

وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان : أيسبح هذا

---

(١) قال مصححه رحمه الله : الضمير لمن فيهما لا لهما .

(٢) قال مصححه رحمه الله : إذًا فالتسبيح لا يخص العاقل ؟ .

-أَوْ قَالَ : رَعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ ، خَوْفًا مِنَ اللهِ ﷻ . فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ (٧٦) عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟

الخوان يا أبا سعيد ؟ فقال : قد كان يسبح مرة ، يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح ، وأما الآن فقد صار خوان مدهونا .

ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على قبرين ، فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير . أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة . وأما الآخر فكان لا يستبريء من البول** » ، قال : فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين ، ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ، ثم قال : « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » . أخرجه البخاريُّ (٢١٨ ، ١٣٦١ ، ١٣٧٨ ، ٦٠٥٢) ، ومسلمٌ (٢٩٢) ، وأبوداود (٢٠) ، والنسائيُّ (١/ ٢٨ ، ٤/ ١٠٦) وفي الكبرى (٢٧ ، ٢١٩٦ ، ١١٦١٣) ، والترمذيُّ (٧٠) ، وابنُ ماجه (٣٤٧) ، جميعًا من حديث مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس به .

فقوله عليه الصلاة والسلام : (ما لم ييبسا) إشارة إلى أنهما ما داما رطبين يسبحان فإذا يبسا صارا جمادًا .

(٧٦) جبريل والملائكة :

قال السيوطيُّ رحمه الله (١) : وأخرج ابنُ أبي حاتم عن ابنِ عباس ، قال : جبريلُ

---

(١) في « الدر المنثور » (١ / ٢٢٥) ، طبعة دار الفكر ، بيروت في ١٩٩٣ .

فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ .

كقولِك : عبد الله ؛ جبر : عبد ، وإيل : الله .

وأخرج ابنُ أبي حاتم والبيهقيُّ في شعب الإيمان والخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباسٍ ، قال : جبريل عبدُ الله ، وميكائيل عبيدُ الله ؛ وكلُّ اسمٍ فيه إيل فهو معبدٌ لله .

وأخرج ابنُ جرير وأبوالشيخ في العظمة عن عليّ بنِ الحسين ، قال : اسمُ جبريل عبدُ الله ، واسمُ ميكائيل عبيدُ الله ، واسمُ إسرافيل عبدُ الرحمن ؛ وكلُّ شيءٍ راجع إلى إيل فهو معبدٌ لله عَزَّ وَجَلَّ . انتهى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ [التكوير : ١٩-٢١] ، الآيات فيها فضيلة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وفي الحديث عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : « رأى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل وله ستمائة جناح » . أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩٨) ، والبخاريُّ (٣٢٣٢ ، ٤٨٥٦ ، ٤٨٥٧) ، ومسلمٌ (١٧٤/ ٢٨٠-٢٨٢) ، والترمذيُّ (٣٢٧٧) من حديث أبي إسحاق الشيباني سليمان بنِ أبي سليمان ، عن زر بن حبيش عنه .

وفي رواية عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : « رأى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في حُلَّةٍ من رَفرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض » . أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩٤) ، والترمذيُّ (٣٢٨٣) وقال : حسنٌ صحيحٌ ، والنسائيُّ في الكبرى (١١٥٣١ ، ١١٥٤١) من حديث أبي إسحاق السبيعي عَمرو بن عبدالله ، عن عبدالرحمن ابن يزيد ، عنه .

فإذا كان هذا عظم هذه المخلوقات فخالقها أعظم وأجل وأكبر . فكيف

قَالَ : **فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ . فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ » .

فيه مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : مَا فِيهَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَىٰ إِبْطَالِ اَلشِّرْكِ ، خُصُوصًا مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ ، وَهِيَ اَلْآيَةُ الَّتِي قِيلَ : إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ اَلشِّرْكِ مِنَ اَلْقَلْبِ .

اَلثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ .

اَلرَّابِعَةُ : سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ : « **قَالَ كَذَا وَكَذَا** » .

اَلسَّادِسَةُ : ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ اَلسَّمَاوَاتِ كُلِّهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّ الْغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ اَلسَّمَاوَاتِ كُلِّهِمْ .

يسوى به غيره في العبادة : دعاءً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره ؟

قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦-٢٩] . الآيات فيها فضيلة الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى .

اَلتَّاسِعَةُ : ارْتِجَافُ اَلسَّمَاوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ اَلَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : سَبَبُ إِرْسَالِ الشُّهُبِ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا ، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ اَلْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : كَوْنُ اَلْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ اَلْأَحْيَانِ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنَ اَلسَّمَاءِ .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : قَبُولُ النُّفُوسِ لِلْبَاطِلِ ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِئَة كَذْبَةٍ ؟!

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : كَوْنُهُمْ يُلْقِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ تِلْكَ اَلْكَلِمَةَ ، وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا .

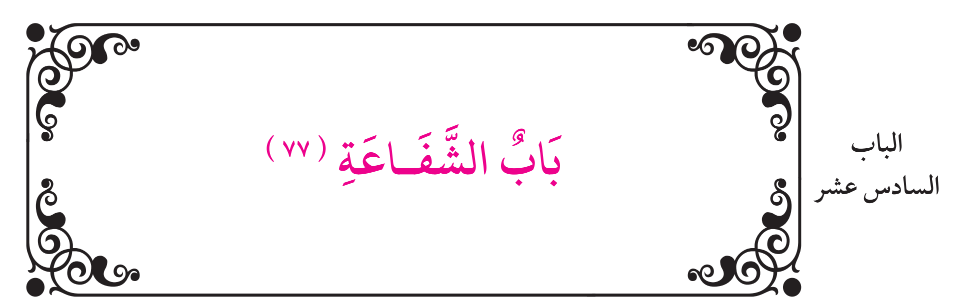
اَلْعِشْرُونَ : إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْمُعَطِّلَةِ .

اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ اَلرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا .

* * *

الباب السادس عشر



بَابُ الشَّفَـاعَةِ (٧٧)

وَقَوْلِ اللهِ ﷻ : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١] .

وَقَوْلِهِ : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر : ٤٤] .

وَقَوْلِهِ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وَقَوْلِهِ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦] .

وَقَوْلِهِ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٢٢] الآيَتَيْنِ .

---

(٧٧) الشفاعة :

الشفاعة قسمان : شفاعة مثبتة في القرآن وهي لأهل التوحيد .
وشفاعة منفية في القرآن وهي للكافرين وأهل الشرك .
الشفاعة المثبتة وهي لأهل التوحيد شفاعة لا تكون إلا للموحدين . من مات على التوحيد فله الشفاعة .
والشفاعة المنفية وهي لأهل الشرك –الشرك الأصلي– كما قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : « نَفَىٰ اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ ، أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ ، هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ ، لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : « **ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** » .

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ : « مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟

قَالَ : « **مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ** » .

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ .

وَحَقِيقَتُهُ : أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهْلِ الإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ ؛ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ .

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ . وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ » . انْتَهَىٰ كَلَامُهُ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

الْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ الْآيَاتِ .

اَلثَّانِيَةُ : صِفَةُ الشَّفَاعَةِ اَلْمَنْفِيَّةِ .

اَلثَّالِثَةُ : صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُثْبَتَةِ .

اَلرَّابِعَةُ : ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَىٰ ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ .

اَلْخَامِسَةُ : صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ ، أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا ، بَلْ يَسْجُدُ ، فَإِذَا أَذِنَ اللهُ لَهُ شَفَعَ .

اَلسَّادِسَةُ : مَنْ أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِهَا ؟

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ .

اَلثَّامِنَةُ : بَيَانُ حَقِيقَتِهَا .

* * *

الباب السابع عشر



بَابُ
قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية

فِي « الصَّحِيحِ » عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ لَهُ : « **يَا عَمِّ! قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ** » .

فَقَالَا لَهُ : أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟

فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَعَادَا ، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ : هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ** » فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣] .

وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الْآيَةَ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الْآيَةَ .

اَلثَّالِثَةُ : -وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ- تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ﷺ : «**قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ اَلنَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ : « **قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » . فَقَبَّحَ اللهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ .

اَلْخَامِسَةُ : جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ .

اَلسَّادِسَةُ : اَلرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ .

اَلسَّابِعَةُ : كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ .

اَلثَّامِنَةُ : مَضَرَّةُ أَصْحَابِ اَلسُّوءِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ .

اَلتَّاسِعَةُ : مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ .

الْعَاشِرَةُ : الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : اَلشَّاهِدُ بِكَوْنِ اَلْأَعْمَالِ بِالْخَوَاتِيمِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : اَلتَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ اَلشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ اَلضَّالِّينَ ؛ لِأَنَّ فِي اَلْقِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا ، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ ، فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ ، اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا .

* * *

الباب الثامن عشر



بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ (٧٨) فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء : ١٧١] .

---

(٧٨) الغُلو والمبالغة في التعظيم :

الغلو في المشايخ بل الغلو في الخلفاء وآل البيت وبقية الصحابة ، بل الغلو في النبيّ والمسيح : معصية وباب إلى الشرك ، فكل من غلا في نبيّ أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول : يا فلان انصرني أو أغثني ، أو ارزقني ، أو أنا في حسبك . فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل . فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليُعبد وحده لا شريك له ، ولا يدعى معه إله آخر . والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام ، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم ، أو يعبدون قبورهم ، أو يعبدون صورهم ، يقولون : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] ، وقول الله تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يُدعى أحدٌ من دونه ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة .

أمَّا المبالغة في تعظيمه – أي الرسول ﷺ – بدعائه ، إن أريد به المبالغة

فِي « الصَّحِيحِ » عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٧٩) ﴾ [نوح : ٢٣] .

بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا ، والحج إلى قبره والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وأنه يعطى النفع ويمنع الضر من استغاث به ، وأنه يقضى حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن يشاء ، ويدخل الجنة من يشاء - فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين .

(٧٩) ود وسُواع ويَغُوث ويَعُوق ونَسْر والأنصاب :

أخرج البخاري (٤٩٢٠) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : صارت الأوثانُ التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ : أمّا وَدٌّ فكانت لكلبٍ بدُوْمَةِ الجنْدَل ، وأمّا سُوَاعٌ فكانت لِهُذَيْل ، وأمّا يَغوْثُ فكانت لِمُرَادٍ ، ثمّ لِبَني غطيْفٍ بالجرْفِ عندَ سَبَإٍ ، وأمّا يَعُوْقُ فكانتْ لِهَمْدَانَ ، وأمّا نسْرٌ فكانت لِحِمْيَرَ ، لآل ذِي الكلاع . اهـ .

ود : اسم رجل صالح من قوم نوح ، لما هلك أوحى الشيطان إلى قومه : أن انصبوا إلى مجلسه التي كان يجلس فيها نصبا وسموه باسمه ، ففعلوا ولم يعبد ، حتى إذا هلك ونُسي العلم عُبد ، فكان لكلب بدومة الجندل .

وأما سواع فكان لهذيل . ويغوث فكان لمراد ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ . ويعوق فكان لهمدان . ونسر فكان لحمير لآل ذي الكلاع . كما ذكره ابنُ عباس رضي الله عنهما .

والأنصاب : جمع نصب ؛ والمراد به هنا : الأصنام المصورة على صور

قَالَ : « هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ : أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمْ تُعْبَدْ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ ، عُبِدَتْ » .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : « قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ : لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِمْ ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ » .

أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم ، وسموها بأسمائهم .

طال عليهم الأمد : أي طال عليهم الزمن .

قال ابن قيِّم الجوزية في إغاثة اللهفان : ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثرَ الناس ، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تَعالى فتنتهُ : ما أوحاهُ قديمًا وحديثا إلى حزبهِ وأوليائهِ ، من الفتنةِ بالقبور ، حتى آل الأمرُ فيهَا إلى أن عُبِدَ أربابهَا من دون اللهِ ، وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهيَاكلُ وصُوِّرَت صُوَرُ أربابهَا فيهَا ، ثم جُعِلت تلك الصُّور أجسادًا لها ظلٌّ ، ثم جُعِلت أصنامًا وعُبِدَتْ مع اللهِ تَعالى .

وكانَ أول هذا الدّاء العظيم في قوم نوح كما أخبر سبحانه عنهم حيث قال : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [نوح : ٢١-٢٤] .

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لَا تُطْرُونِي** (٨٠) **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** » . أَخْرَجَاهُ .

... قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ** » .

ولِـ « مُسْلِمٍ » عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ** (٨١) » ، قَالَهَا ثَلَاثًا .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : أَنَّ مَـنْ فَهِـمَ هَـذَا اَلْبَـابَ وَبَابَـيْنِ بَعْدَهُ ، تَبَـيَّنَ لَهُ غُرْبَـةُ الْإِسْلَامِ ، وَرَأَىٰ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ اَلْعَجَبَ .

---

(٨٠) تُطرُوني :

أي لا تمدحوني بالباطل ، ولا تجاوزا الحد في مدحي ، والإطراء هو : مجاوزة الحد في المدح والكذب عليه .

(٨١) المتنطعون :

المتنطعون : أي المتعمِّقون الغالون المجاوِزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم . أخرج الإمامُ أحمد (١/ ٣٨٦) ، ومسلمٌ (٧/٢٦٧٠) ، وأبوداود (٤٦٠٨) جميعًا ، من حديث ابن جريج ، قال : حدثني سليمان بنُ عَتيق ، عن طلق بن حَبيب ، عن الأحنف بن قيس ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « **ألا هلكَ المُتنَطِّعون** » . ثلاث مرات .

اَلثَّانِيَةُ : مَعْرِفَـةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَـدَثَ عَلَىٰ وَجْـهِ الْأَرْضِ أَنَّـهُ بِشُـبْهَةِ اَلصَّالِحِينَ .

اَلثَّالِثَةُ : أَوَّلُ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اَللهَ أَرْسَلَهُمْ .

اَلرَّابِعَةُ : سَبَبُ قَبُولِ الْبِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالْفِطَرِ تَرُدُّهَا .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَزْجُ اَلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ، فَالْأَوَّلُ : مَحَبَّةُ اَلصَّالِحِينَ ، وَالثَّانِي : فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّيْنِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا ، فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ .

اَلسَّادِسَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ اَلَّتِي فِي « سُورَةِ نُوحٍ » .

اَلسَّابِعَةُ : جِبِلَّةُ الْآدَمِيِّ (٨٢) فِي كَوْنِ اَلْحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ ، وَالْبَاطِلُ يَزِيدُ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّ فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنْ اَلسَّلَفِ أَنَّ اَلْبِدْعَةَ سَبَبُ الْكُفْرِ .

اَلتَّاسِعَةُ : مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَؤُولُ إِلَيْهِ اَلْبِدْعَةُ ؛ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ اَلْفَاعِلِ .

الْعَاشِرَةُ : مَعْرِفَةُ الْقَاعِدَةِ اَلْكُلِّيَّةِ ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ اَلْغُلُوِّ ، وَمَعْرِفَةُ مَا

---

(٨٢) جبلة الآدمي :

جِبِلَّة : بكسرتين فلام مشددة هي : الخِلقْة والسّجيّة والطّبْع والطبيعة ؛ والمعني : أن الإنسان مجبول على نقصان الحق في قلبه وزيادة الباطل – إلا من رحم الله – ، ومن أنزل في قلوبهم السكينة ، فإن إيمانهم لا يزال يزيد ولا ينقص .

يَؤُولُ إِلَيْهِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : مَضَرَّةُ اَلْعُكُوفِ عَلَىٰ اَلْقَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ اَلنَّهْيِ عَنِ اَلتَّمَاثِيلِ ، وَالْحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ اَلْقِصَّةِ ، وَشِدَّةِ اَلْحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ اَلْغَفْلَةِ عَنْهَا .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : وَهِيَ أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ : قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ اَلتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ ، وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، حَتَّىٰ اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ اَلْعِبَادَاتِ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ نَهْيَ اَللهِ وَرَسُولِهِ عَنْهُ هُوَ اَلْكُفْرُ اَلْمُبِيحُ لِلدَّمِ وَالْمَالِ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : التَّصْرِيحُ أَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا اَلشَّفَاعَةَ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : ظَنُّهُمْ أَنَّ اَلْعُلَمَاءَ اَلَّذِينَ صَوَّرُوا اَلصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : الْبَيَانُ اَلْعَظِيمُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : « **لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ اَلنَّصَارَىٰ ...** » إِلَىٰ آخِره . فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَىٰ مَنْ بَلَّغَ اَلْبَلَاغَ اَلْمُبِينَ .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ اَلْمُتَنَطِّعِينَ .

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : اَلتَّصْرِيحُ أَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّىٰ نُسِيَ اَلْعِلْمُ ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ ، وَمَضَرَّةِ فَقْدِهِ .

اَلْعِشْرُونَ : أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ اَلْعُلَمَاءِ .

* * *



بَابُ
مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ

الباب التاسع عشر

فِي « الصَّحِيحِ » عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ ، فَقَالَ : « **أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ - أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ - بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ** » .

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ : فِتْنَةِ الْقُبُورِ ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ .

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ : « لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ (٨٣) يَطْرَحُ خَمِيصَةً (٨٤) لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا ، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ - : « **لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** » . يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » . أَخْرَجَاهُ .

وَلِـ « مُسْلِمٍ » عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : « **إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ**

---

(٨٣) طَفِقَ :

بكسر الفاء وفتحها والكسر أفصح ومعناه : جعل .

(٨٤) خَمِيصَة :

بفتح المعجمة والصاد المهملة ؛ كساء له أعلام .

خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا ؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ؛ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » .

فَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ ؛ وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهَا : « خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا ، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّىٰ فِيهِ ؛ يُسَمَّىٰ مَسْجِدًا ، كَمَا قَالَ ﷺ : « **جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا** » .

وَلِـ « أَحْمَدَ » بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : « **إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ** » . وَرَوَاهُ أَبُوحَاتِمٍ فِي « صَحِيحِهِ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : مَا ذَكَرَ اَلرَّسُولُ ﷺ فِيمَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا يُعْبَدُ اَللهُ فِيهِ عَلَىٰ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ اَلْفَاعِلِ .

اَلثَّانِيَةُ : النَّهْيُ عَنْ اَلتَّمَاثِيلِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ تَغَلَّظَ اَلْأَمْرُ .

اَلثَّالِثَةُ : الْعِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ . كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا ، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي النَّزْعِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ .

اَلرَّابِعَةُ : نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ اَلْقَبْرُ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ .

اَلسَّادِسَةُ : لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُنَا عَنْ قَبْرِهِ .

اَلثَّامِنَةُ : الْعِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ .

اَلتَّاسِعَةُ : فِي مَعْنَىٰ اِتِّخَاذِهِ مَسْجِدًا .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنِ اتَّخَذَهَا مَسْجِدًا وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمْ اَلسَّاعَةُ ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَىٰ الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ : الرَّدُّ عَلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا شَرُّ أَهْلِ الْبِدَعِ ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ الْسَّلَفِ مِنَ اَلثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً ، وَهُمُ : اَلرَّافِضَةُ ، وَالْجَهْمِيَّةُ .

وَبِسَبَبِ اَلرَّافِضَةِ حَدَثَ اَلشِّرْكُ وَعِبَادَةُ اَلْقُبُورِ ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ اَلنَّزْعِ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَا أُكْرِمَ بِهِ ﷺ مِنَ الْخُلَّةِ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَىٰ مِنْ الْمَحَبَّةِ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ اَلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : الْإِشَارَةُ إِلَىٰ خِلَافَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* * *

الباب العشرون



بَابُ
مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي « الْمُوطَّأ » : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** ».

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] ، قَالَ : « كَانَ يَلُتُّ [٨٥] لَهُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ » .

---

(٨٥) يَلُتّ :

يَلُتُّ : يبل بالماء أو السمن . والسويق : دقيق الحنطة أو الشعير .

روى ابنُ جرير في تفسيره (٢٧/ ٥٨) بسند صحيح على شرط الشيخين ، عن مجاهد ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] ، قال : كان يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاج فعُكِف على قبره .

وكذا قال أبو الجوزاء أوس بن عبدالله الربعي ، عن ابن عباس في تفسيرها ، قال : « اللات رجلا كان يَلُتُّ سَوِيقَ الحاجِّ » . أخرجه البخاريُّ (٤٨٥٩) واللفظ له ، وابنُ جرير (٢٧/ ٥٩) ، من طريق أبي الأشهب جعفر ابن حيَّان السعدي ، عن أبي الجوزاء .

فالجاهليون كانوا يصرفون بعض أنواع العبادة لغير الله عزَّ وجلَّ معتقدين أن

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : « كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ » .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : « **لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ** » . رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ الْأَوْثَانِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يَخَافُ وُقُوعَهُ .

اَلرَّابِعَةُ : قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ .

أولئك الأولياء لهم وجاهة ومنزلة عند الله رفيعة ، وأنهم يقربونهم إلى الله عز وجل ، مثال ذلكم : اللات الذي كان يُدعى من دون الله عز وجل في الطائف ، كان قبل موته رجلًا نافعًا للناس وخاصة الحجاج فقد كان يلت السويق - نوعًا من الطعام تحتسيه العرب - ويقدمه لهم فلما توفي اعتقد الناس فيه الصلاح والخير فأسف عليه أهلُ زمانه فصاروا يترددون إلى ضريحه ثم أقاموا عليه بناء ثم جعلوا يتوسلون به ويطوفون بقبره ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، كما يطلب مثل ذلك من العزى ومناة كما قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم : ١٩-٢٣] ، وكانوا مع هذا يعلمون أن هؤلاء المدعوين

اَلْخَامِسَةُ : ذِكْرُ شِدَّةِ الْغَضَبِ مِنْ اللهِ .

اَلسَّادِسَةُ : - وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا - : مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ اَلَّتِي هِيَ أَكْبَرُ اَلْأَوْثَانِ .

اَلسَّابِعَةُ : مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ اَلْقَبْرِ ، وَذِكْرُ مَعْنَىٰ اَلتَّسْمِيَةِ .

اَلتَّاسِعَةُ : لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ اَلْقُبُورِ .

الْعَاشِرَةُ : لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا .

* * *

لم يخلقوا شيئًا من هذا الكون وأنهم لا يملكون رزقًا ولا حياة ولا موتًا وليس لهم من الأمر شيء .



الباب الحادي والعشرون

بَابُ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ (٨٦) ﴾ [التوبة : ١٢٨] الآيَةَ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو ، فَنَهَاهُ ، وَقَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : ....

---

(٨٦) عَنِتّم :

في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

عزيز عليه : أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها . ما عنتم : أي ما يشق عليكم ويصعب تحمله .

ولهذا جاء في الحديث الصحيح بطرقه وشواهده عنه ﷺ أنه قال : « **بعثت بالحنيفية السمحة** » . علَّقه البخاريُّ في تراجم صحيحه (١/ ١٨) ، ووصله

« لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ » . رَوَاهُ فِي « الْمُخْتَارَةِ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ .

اَلثَّانِيَةُ : إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الْحِمَىٰ غَايَةَ اَلْبُعْدِ .

اَلثَّالِثَةُ : ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

اَلرَّابِعَةُ : نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَىٰ وَجْهٍ مَخْصُوصٍ ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ اَلْأَعْمَالِ .

اَلْخَامِسَةُ : نَهْيُهُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ اَلزِّيَارَةِ .

اَلسَّادِسَةُ : حَثُّهُ عَلَىٰ النَّافِلَةِ فِي اَلْبَيْتِ .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّىٰ فِي اَلْمَقْبَرَةِ .

اَلثَّامِنَةُ : تَعْلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ اَلرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ

في كتابه المفرد في الأدب (٢٨٧) ، والإمام أحمد (١/ ٢٣٦) عن يزيد بن هارون ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال قيل لرسول الله ﷺ : أي الأديان أحب إلى الله ؟ قال : « **الحنيفية السمحة** » .

وفي الصحيح : « **إن هذا الدين يسر** » . أخرجه البخاريُّ (٣٩) من حديث سعيد المقبري ، عن أبي هريرة مرفوعًا .

وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة ، يسيرة على من يسرها الله عليه .

بَعُدَ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ الْقُرْبَ .

اَلتَّاسِعَةُ : كَوْنُهُ ﷺ فِي اَلْبَرْزَخِ (٨٧) تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ .

* * *

---

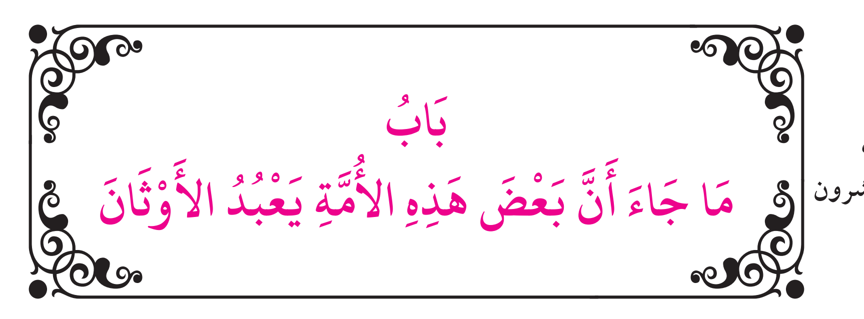
(٨٧) البرزخ :

البرزخ لغة ، هو : الحاجز بين الشيئين ، والمانع من اختلاطهما وامتزاجهما جاء ذكر البرزخ في القرآن الكريم في مواضع ثلاث كلها بالمعنى المتقدم . أولها ، قول الله تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] . وثانيها قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] . وثالثها ، قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

فالقرآن الكريم استعمل هذه اللفظة لبيان أن هناك عالمًا آخرًا يفصل بين الدنيا والآخرة يمرُّ به الإنسان ، إذ قال : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

والأحاديث الشريفة على غرار هذه الآية تؤكد على أن البرزخ هو : الوقت الفاصل بين حياة الإنسان في عالم الدنيا وبين نشأته في عالم الآخرة ، أي من وقت موته إلى حين بعثه في يوم القيامة .

الباب الثاني والعشرون



بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف : ٢١] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ** (٨٨) **مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ** » .

---

(٨٨) القُذَّة والسَّنن والضَّبُّ :

في الصحيحين : البخاري (٣٤٥٦ ، ٧٣٢٠) ، ومسلم (٦/٢٦٦٩) ، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟** » .

السنن : طرق الأولين . وأيضا : هي السبل والمناهج والعادات .

قوله : شبرا بشبر كناية عن شدة الموافقة لهم في عاداتهم رغم ما فيها من سوء وشر ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ! الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ ؟

قَالَ : « **فَمَنْ** » ؟ . أَخْرَجَاهُ .

وَلِـ« مُسْلِمٍ » عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ** (٨٩)

قوله : جحر ضب : ثقبه وحفرته التي يعيش فيها .

والضب : دويبة تشبه الحرذون تأكله العرب . والتشبيه بجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ونتن ريحه وخبثه . وما أروع هذا التشبيه الذي صدق معجزة لرسول الله ﷺ فنحن نشاهد تقليد الأجيال المتأخرة لأمم الكفر في الأرض فيما هي عليه من أخلاق ذميمة وعادات فاسدة تفوح منها رائحة النتن وتمرغ أنف الإنسانية في مستنقع من وحل الرذيلة والإثم وتنذر بشر مستطير . وفي رواية : حذو القذَّة بالقذَّة : بنصب حذو على المصدر ، والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم ، أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى كما أخبر ﷺ .

قال سفيان بن عينية : من فسد من عُلمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارى .

(٨٩) زُوِي ، والكنزين الأحمر والأبيض ، ويستبيح بيضتهم ، ولا أهلكم بِسَنَةٍ عامَّة ، والفِئام :

روى مسلمٌ (١٩/٢٨٨٩) ، وأبوداود (٤٢٥٢) ، والترمذيُّ (٢١٧٦) ، وابنُ ماجه (٣٩٥٢) ، عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « **إن الله زوى لي الأرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِي لي منها ،**

لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ : الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ! إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ : وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا » .

وأعطيت الكنْزين : الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يُهلكَها بِسَنَةٍ عامَّة ، وألا يُسلطَ عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيتُك لأمتك أن لا أهلكهم بِسَنَةٍ عامَّة ، ولا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم ، يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها – أو قال مَنْ بين أقطارها – حتى يكون بعضُهم يُهلكُ بعضًا ، ويسبي بعضُهم بعضًا » .

زويت الشيء جمعته وقبضته ، يريد تقريب البعيد منه حتى أطلع عليه إطلاعه على القريب .

الكنزين : الأحمر والأبيض : أي كنز كسرى ؛ وهو ملك الفرس ، وكنز قيصر ؛ وهو ملك الروم ، وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب ؛ وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة .

من سِوى أنفسهم : أي من غيرهم من الكفار .

فيستبيح بيضتهم : أي جماعتهم وأصلهم . وبيضة كل شيء حوزته ، وبيض القوم ساحتهم .

والبيضة أيضا العز والملك .

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » ، وَزَادَ : « **وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي .**

وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةً ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ اَلنِّسَاءِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ اَلْمَائِدَةِ .

اَلثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ اَلْكَهْفِ .

أن لا أهلكم بِسَنَةٍ عامَّة : أي لا أهلكهم بقحط يعُمّهم . بل إن وقع قحطٌ فيكون في ناحية يسيرة ، بالنسبة إلى باقي بلاد الشام .

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : « **وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى** » .

الفئام بكسر الفاء مهموز : الجماعات الكبيرة .

اَلرَّابِعَةُ : -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا- مَا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا اَلْمَوْضِعِ ؟

هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ ؟

أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانِهَا ؟

اَلْخَامِسَةُ : قَوْلُهُمْ : إِنَّ اَلْكُفَّارَ اَلَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَىٰ سَبِيلًا مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ!

اَلسَّادِسَةُ : -وَهِيَ اَلْمَقْصُودَةُ بِالتَّرْجَمَةِ- : أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ اَلْأُمَّةِ ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ .

اَلسَّابِعَةُ : التَّصْرِيحُ بِوُقُوعِهَا -أَعْنِي : عِبَادَةَ اَلْأَوْثَانِ (٩٠)- فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ .

اَلثَّامِنَةُ : الْعَجَبُ الْعُجَابُ : خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي اَلنُّبُوَّةَ ، مِثْلَ اَلْمُخْتَارِ ، مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَتَصْرِيحِهِ أَنَّهُ مِنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ ، وَأَنَّ اَلرَّسُولَ حَقٌّ ، اَلْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ اَلتَّضَادِّ اَلْوَاضِحِ!

وَقَدْ خَرَجَ اَلْمُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ اَلصَّحَابَةِ ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرٌ .

---

(٩٠) عبدة الأوثان :

الوثن هو : الصنم الصغير ، وسمي وثنًا : لانتصابه وثباته على حالة واحدة ، من وثن بالمكان ، أقام به ، وقيل : ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثن.

الفرق بين الوثن والصنم : أن الوثن ما له جثة من خشب أو حجر أو فضة أو ذهب ينحت ويعبد ، والصنم الصورة بلا جثة ، وقيل : إذا كان معمولًا من خشب أو ذهب أو فضة صورة إنسان فهو صنم وإذا كان من حجارة فهو وثن.

اَلتَّاسِعَةُ : الْبِشَارَةُ بِأَنَّ اَلْحَقَّ لَا يَزُولُ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَىٰ ، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ .

الْعَاشِرَةُ : الْآيَةُ العَظِيمَةُ أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ أَشْرَاطِ اَلسَّاعَةِ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : مَا فِيهِ مِنَ اَلْآيَاتِ اَلْعَظِيمَةِ :

مِنْهَا : إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اَللهَ زَوَىٰ لَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ، بِخِلَافِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ .

وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ اَلْكَنْزَيْنِ .

وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الِاثْنَتَيْنِ .

وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ .

وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ اَلسَّيْفِ ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ .

وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا .

وَخَوْفُهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ اَلْمُضِلِّينَ .

وَإِخْبَارُهُ بِظُهُورِ اَلْمُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ اَلْأُمَّةِ .

وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ اَلْمَنْصُورَةِ .

وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : حَصْرُهُ الْخَوْفَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ اَلْمُضِلِّينَ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

* * *

الباب الثالث والعشرون



بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « الجِبتُ : السِّحْرُ ، وَالطَّاغُوتُ : الشَّيْطَانُ » .

وَقَالَ جَابِرٌ : « الطَّوَاغِيتُ : كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ » .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ (٩١)».

---

(٩١) الموبقات ، السحر ، أكل الربا ، التولي يوم زحف ، المحصنات :

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » . قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » . أخرجه البخاريُّ (٢٧٦٦ ، ٥٧٦٤ ، ٦٨٥٧) ، ومسلمٌ (٨٩) ، وأبوداود (٢٨٧٤) ، والنسائيُّ (٦/ ٢٥٧) وفي الكبرى (٦٤٩٨ ، ١١٣٦١) ، جميعًا من حديث سالم أبي الغيث مولى ابن مطيع ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا به .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هُنَّ ؟

قَالَ : « الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ » .

اجتنبوا : أي ابتعدوا .

الموبقات : أي المهلكات ، وسميت موبقات : لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفي الآخرة من العذاب .

السحر : في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ، وسمي السحر سحرًا : لأنه يقع خفيًّا آخر الليل .

والسحر : عزائم ورقيّ وعقد قد يؤثر في القلوب والأبدان ؛ فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله .

قال الطبري : معنى السحر تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته .

وقال النبيُّ ﷺ : « **إن من البيان لسحرًا** » . أخرجه البخاريُّ (٥١٤٦ ، ٥٧٦٧) ، وأبوداود (٥٠٠٧) ، والترمذيُّ (٢٠٢٨) ، من حديث زيد بن أسلم ، عن ابن عُمر ، قال : جاء رجلان من المشرق فخطبا ، فقال النبي ﷺ فذكره .

البيان : البلاغة والفصاحة .

قال صعصعة بنُ صوحان : صدق نبي الله ، فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق ، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق .

وقال ابنُ عبد البر : تأولته طائفة على الذم لأن السحر مذموم ، وذهب

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**». رَوَاهُ التِّرْمَذِيُّ، وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ». قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ.

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ أَحْمَدُ: «عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

• **فِيهِ مَسَائِلُ:**

اَلْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ.

أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان، قال عُمر بنُ عبدالعزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله، قال: هذا والله السحر الحلال.

أكل الربا: أي تناوله بأي وجه كان. أكل مال اليتيم: يعني التعدي فيه. وعبر بالأكل: لأنه أعم وجوه الانتفاع.

التولي يوم زحف: أي الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال.

المحصنات: بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه.

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ .

اَلثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ اَلطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ اَلْجِنِّ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ اَلْإِنْسِ.

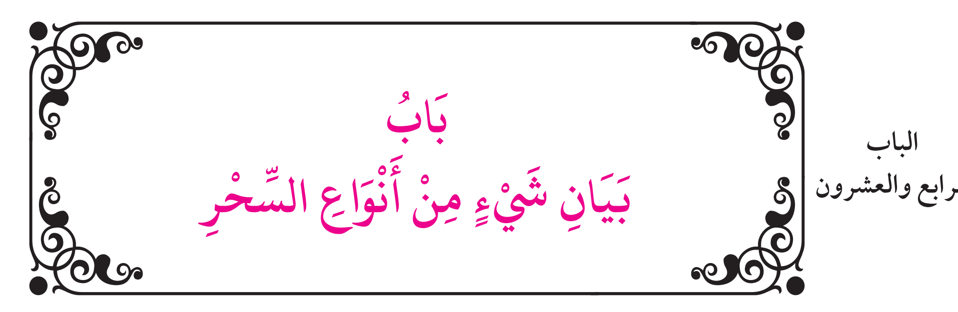
اَلْخَامِسَةُ : مَعْرِفَةُ اَلسَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ الْمَخْصُوصَةِ بِالنَّهْيِ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ اَلسَّاحِرَ يَكْفُرُ .

اَلسَّابِعَةُ : يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ .

اَلثَّامِنَةُ : وُجُودُ هَذَا فِي اَلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ عَهْدِ عُمَرَ ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ ؟!

* * *



الباب الرابع والعشرون

بَابُ
بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنْ حَيَّانَ ابْنِ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْعِيَافَةَ ، وَالطَّرْقَ (٩٢) ، وَالطِّيَرَةَ (٩٣) ....

---

(٩٢) العيافة والطرق :

أخرج الإمامُ أحمد (٣/ ٤٧٧ ، ٥/ ٦٠) ، وأبوداود (٣٩٠٧) ، والنسائيُّ في التفسير من الكبرى (١١١٠٨) ، بإسناد حسن عن قبيصة بن مُخارق عن النبي ﷺ قال : « **العيافة والطرق والطيرة من الجبت** » .

العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ؛ وهو من عادات العرب ، وكثير في أشعارهم ؛ يقال : عاف يعيف عيفًا ، إذا زجر وحدس وظن .

والطرق : الخط يخط الأرض ، وهو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء.

(٩٣) العدوى والطِّيرة :

العدوى : اسم من الإعداء ، كالدعوى ، يقال : أعداه الداء يعديه إعداءً إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء .

والطِّيرة : بكسر الطاء وفتح الياء ؛ وقد تسكن ، وهي : اسم مصدر من تطير طِيرة .

مِنَ الْجِبْتِ (٩٤) » .
قَالَ عَوْفٌ : « الْعِيَافَةُ : زَجْرُ الطَّيْرِ . وَالطَّرْقُ : الْخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ » .

أصل الطِّيرة التشاؤم أو التيمن بحركات الطير وأصواتها ، ثم صار لفظًا عامًا لكل ما تشاءمت به من طائر أو إنسان أو غير ذلك .

والتطير : من عمل أهل الجاهلية والمشركين ، وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير ، وأخبر أنه شرك . عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « **لا عدوى ولا طِيَرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ** » . أخرجه البخاريُّ (٥٧٠٧ ، ٥٧٥٧) من طريقين عنه .

قال النووي : التطير التشاؤم ، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي ، وكانوا يتطيرون بالسوانح ، والبوارح ، فينفرون الظباء والطيور ، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ، ومضوا في سفرهم وحوائجهم ، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم ، وتشاءموا بها ، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم ، فنفى الشرع ذلك ، وأبطله ونهى عنه . اهـ .

والتطير لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الطيرة بأن يكون قد فعل أمرًا متوكلًا على الله ، أو يعزم عليه ، فيسمع كلمة مكروهة مثل ما يتم ، أو ما يفلح ونحو ذلك فيتطير ، ويترك الأمر فهذا منهي عنه . اهـ .

(٩٤) الجِبت والهَامَة والصَفَر :

الجبت : السحر . وهو في الأصل : الفشل الذي لا خير فيه ثم استعير لما يعبد من دون الله وللساحر والسحر .

وَ« الْجِبْتُ » : قَالَ الْحَسَنُ : « رَنَّةُ الشَّيْطَانِ (٩٥) » . إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ .

الهامة : طير من طير الليل كأنه البومة ، كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم ، يقول : نعت إلي نفسي أو أحدًا من أهل داري ، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله .

فما كان أهل الجاهلية يتوهمونه طائرًا أو شبهه تتصور فيه روح المقتول لا تزال تنادي على قبره بالأخذ بثأره ، وهي خرافة من خرافاتهم أبطلها الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : « **لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر** » . أخرجه البخاريُّ (٥٧٠٧ ، ٥٧٥٧) من طريقين عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الصفر من قوله : ولا صفر : بفتح الفاء هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس ، وهي أعدى من الجرب عند العرب ، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى .

وقيل : المراد به شهر صفر ، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ، ويحرمون صفر مكانه .

وقيل : أن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ، ويقولون : إنه مشؤوم ، أي تشاؤم بعض الناس بشهر صفر وظنهم أنه شهر مشؤوم ، وبعضهم ربما ترك السفر فيه أو التجارة أو الزواج أو غير ذلك وقد نهى النبي ﷺ عن التشاؤم بصفر وأبطله . فأبطل النبيّ ﷺ ذلك .

والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها ، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة .

(٩٥) رنة الشيطان :

الرنين هو : الصوت . وفي الحديث بإسناد جيِّدٍ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ،

وَلِأَبِي دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيِّ ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » الْمُسْنَدُ مِنْهُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً** (٩٦) **مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ ؛ زَادَ مَا زَادَ** (٩٧) » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

قال : « لما افْتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ ؛ رَنَّ إبليسُ رنَّةً اجتمعتْ إليه جنودُه ، فقالَ : ايْأَسُوا أن نرى أمّةَ محمّدٍ على الشّركِ بعْدَ يومِكم هذا ! ولكنِ افتنُوهم في دينِهِم ، وأَفْشُوا فيهم النَّوحَ » . أخرجه أبويعلى الموصلي - كما في المطالب العالية (٩/ ٦٢٠رقم٤٧٩١) - ، والطبرانيُّ في الكبير (١٢/ ١١/ ١٢٣١٨) ، والضياء في المختارة (١٠١ ، ١٠٢) من طريق يعقوبِ القمّي ، عن جعفر بنِ أبي المغيرة ، عن سعيد بنِ جبير ، عنه .

(٩٦) شعبة :

أي : الطائفة والجزء من الشيء . وأخرج الإمامُ أحمد (٢/ ٤١٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥) ، والبخاريُّ (٩) ، ومسلمٌ (٣٥/ ٥٧-٥٨) ، وأبوداود (٤٦٧٦) ، والنسائيُّ (٨/ ١١٠) ، وفي الكبرى (١١٧٣٥-١١٧٣٧) ، والترمذيُّ (٢٦١٤) ، وابنُ ماجه (٥٧) ، من حديث عبدالله بنِ دينار ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعًا : « **الإيمان بضعٌ وستون - وفي رواية : بضعٌ وسبعون - شعبة . والحياء شعبة من الإيمان** » .

(٩٧) زاد ما زاد :

أي كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه ، فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل ، كما أن تأثير السحر باطل .

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « **مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ** » .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**[٩٨] » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا** » .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : أَنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ الْعِيَافَةِ وَالطَّرْقِ .

---

(٩٨) العَضْهُ والنَّمَّام والقالةُ بين الناس :

روى مسلم في صحيحه (٢٦٠٦/ ١٠٢) ، من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : إنَّ محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « **ألا هل أنبئكم ما العَضْهُ ؟ هي النميمة : القالة بين الناس** » .

(العَضْهُ) فيها وجهان الأول العِضَة بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة والزنة ، والثاني العَضْه بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه ؛ وهذا الثاني هو أشهر في كتب الحديث وكتب غريبه ، والأول أشهر في كتب اللغة .

وتجمع على عضين ، وهي : النميمة ، القالة بين الناس ، فأطلق عليها العضة لأنها لا تنفك من الكذب والبهتان غالبًا .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ مِنْ أنوَاعِ السِّحْرِ .

اَلرَّابِعَةُ : الْعَقْدُ مَعَ النَّفْثِ (٩٩) مِنْ ذَلِكَ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الْفَصَاحَةِ .

* * *

---

(٩٩) النفث :

النفث هو : النفخ مع الريق ، وهو دون التفل . والنفث : فعل الساحر ، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده المسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقدة نفخًا معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقارن للريق الممازج لذلك ، وقد يتساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور ، فيصيبه بإذن الله الكوني القدري .



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

الباب
الخامس والعشرون

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا** (١٠٠) **فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا** » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

---

(١٠٠) العرّاف :

هو : الذي يدعى معرفة الأمور ويخبر عن الوقائع المغيّبة عنه كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها .

والعراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، كالحارز الذي يدعي علم الغيب أو يدعى الكشف .

والعرافة طرف من السحر ، والساحر أخبث ، العراف المنجم ، والحارز الذي يدعى علم الغيب ، وقد استأثر الله تعالى به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : العراف قد قيل إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق ، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع ، فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي كما قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما . اهـ .

وَلِلأَرْبَعَةِ ، وَالْحَاكِمِ وَقَالَ : « صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا » ، عَن ... :
« **مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ » .

وَلِأَبِي يَعْلَىٰ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ** (١٠١) ، **فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ » . رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ : « **وَمَنْ أَتَىٰ ...** » إِلَىٰ آخِرِهِ .

قال الْبَغَوِيُّ : « الْعَرَّافُ : الذي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَىٰ الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ » .

وَقِيلَ : هُوَ الْكَاهِنُ ، وَالْكَاهِنُ (١٠٢) : هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

---

(١٠١) قول الكاهن والساحر والعرّاف قد يصادف بعض الواقع :

قول الكاهن والساحر والعرّاف قد يصادف بعض الواقع فيغتر الجاهلون المخرفون بذلك ، ويحتجون بهذه المصادفة على تصديق كذبه الذي لا يعد وهو مبني على افتراء الكذب على الله ودعوى معرفة الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

(١٠٢) المنجم والكاهن :

المنجم يدخل في اسم الكاهن وقيل هو : من جنس الكاهن ، وأسوء حالًا منه ، فيلحق به من جهة المعنى .

وَقِيلَ : الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : « الْعَرَّافُ : اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ » .

والكاهن هو : الذي يأخذ عن مسترق السمع ، وكانوا قبل المبعث كثيرًا ، وأما بعد المبعث فإنهم قليل ، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب ، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياء هم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار ، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة ، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن وليًا لله ، وهو من أولياء الشيطان ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

والواقع أن ذلك من تآلف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث فيتناجيان ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر ، وهكذا فإن لكل إنسان قرينًا من الشيطان كما جاء ذلك في القرآن والسنة ، فيخبر شيطان الإنس بما أوحى إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله في منزله وخصوصية نفسه مما ألقاه الشيطان القرين ، فيظن الجهلة أن ذلك عن صلاح وتقوى وكرامات ، وأنه بصلاحه قد كشف الحجاب عنه ، وهذا من أضل الضلال ومن أعظم الخذلان وإن اعتقده وخدع به كثير ممن ينتسب إلى ظاهر العلم والصلاح .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ « أَبَا جَادٍ [(١٠٣)] » وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ- : « **مَا أُرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ** » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ .

---

(١٠٣) علم الحرف :

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، في قوم يكتبون أبا جاد ، وينظرون في النجوم : ما أُرى مَن فَعَل ذلك له عند الله مِن خلاق . اهـ . أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٨٦ رقم ١٩٩٧٤) ، وابنُ أبي شيبة (٨/ ٦٠٢ رقم ٢٦٠٤٠) كلاهما في المصنف ، والبيهقي (٨/ ١٣٩) وفي الشعب (٤/ ٣٠٦) ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عنه . وإسنادُهُ صحيحٌ .

وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعى بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحرف وللدجالين في ذلك كلام كثير في منتهى الكفر ؛ فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به .

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ : قد جاءت النصوص في فناء هذه الدار وأهلها ، ونسف الجبال ، وذلك تواتره قطعيٌّ لا محيد عنه ، ولا يعلم متى ذلك إلا الله ، فمن زعم أنه يعلمه بحساب ، أو بشيء من علم الحرف ، أو بكشف ، أو بنحو ذلك فهو ضال مضل . اهـ .

اَلثَّانِيَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ .

اَلثَّالِثَةُ : ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ .

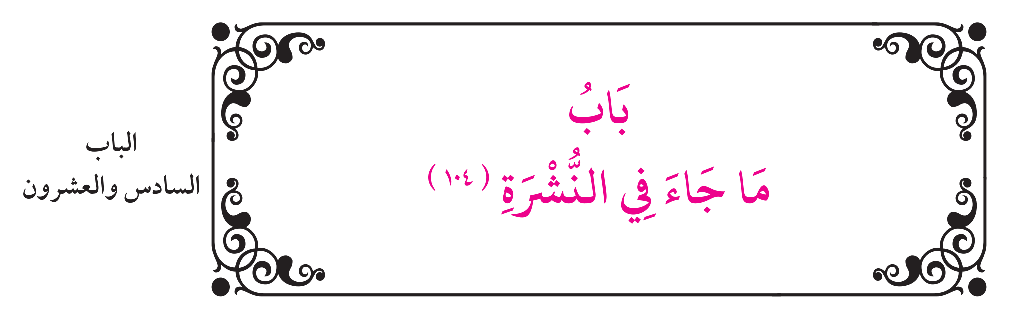
اَلرَّابِعَةُ : ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ .

اَلْخَامِسَةُ : ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ .

اَلسَّادِسَةُ : تَعَلُّمُ « أَبَا جَادٍ » .

اَلسَّابِعَةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ .

* * *



الباب السادس والعشرون

بَابُ
مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ (١٠٤)

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ : « **هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** » . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وَأَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ : « سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ : « ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ » .

وَفِي « الْبُخَارِيِّ » عَنْ قَتَادَةَ : قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيَّبِ : رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ (١٠٥) ،

---

(١٠٤) النُّشرة :

بضم النون وتشديدها ، هي : ضرب من الرقية والعلاج ، يعالج به من يظن أن به مسًا من الجن ، سميت نشرة : لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أي يكشف ويزال .

والنُشرة من السحر . وقد نشرت عنه تنشيرًا ، ومنه الحديث : فلعل طبًا أصابه ، ثم نشره بقل أعوذ برب الناس . أي رقاه . والألف واللام في النشرة للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان .

فهي حل السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر . عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ : سئل عن النشرة ؟ فقال : « **هي من الشيطان** ».

(١٠٥) الطب :

رجل به طب بكسر الطاء . أي سحر ، يقال : طُبّ الرجل - بالضم - إذا سحر . وكنوا عن السحر بالطب تفاؤلًا ، كما يقال للديغ : سليم .

أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ ؟ قَالَ : « لَا بَأْسَ بِهِ ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ » . انْتَهَىٰ .

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ » .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : « النُّشْرَةُ : حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ ، وَهِيَ نَوْعَانِ : حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ .

وَالثَّانِي : النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالدَّعَوَاتِ (١٠٦) ....

وقال ابن الأنباري : الطب من الأضاد . يقال لعلاج الداء طب ، والسحر من الداء : يقال له طب .

(١٠٦) علاج السحر بالطرق الشرعية :

قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان ، حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور ، والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة :

عن ليث بن أبي سليم ، قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور : قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس : ٨١-٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ

وَالأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ ، فَهَذَا جَائِزٌ [١٠٧] » .

ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٨-١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] .

وقيل في علاج السحر ما ذكره ابنُ حجر في الفتح عن ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل - وهي السور التي تبدأ بـ : قل ، وهي سورة الجن ، وسورة الكافرون ، وسورة الإخلاص ، وسورة الفلق ، وسورة الناس - ثم يحسو (يشرب) منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به ، هو جيد للرجل إذا حبس عن أهله . اهـ .

والحاصل : أن ما كان منه بالسحر فيحرم ، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز .

(١٠٧) التداوي بالقرآن :

أخرج البخاريُّ في كتابه المفرد في الأدب (٢٩١) ، وأبوداود (٣٨٥٥) ، والترمذيُّ (٢٠٣٨) وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، والنسائيُّ في الكبرى (٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤ ، ٥٨٧٥ ، ٥٨٨١) ، وابنُ ماجه (٣٤٣٦) وهذا لفظه ، عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، مرفوعًا : « **تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم** » .

وأخرج البخاريُّ تعليقا في كتاب الأشربة / باب شراب الحَلْوَاء والعسل (قبل حديث رقم ٥٦١٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : « **إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم** » . ووصله الطحاويُّ في الشرح (١/ ١٤٠ رقم ٦٢٨) ، والطبرانيُّ (٩/ ٣٤٥ رقم ٩٧١٤ ، ٩٧١٦) ، والحاكم (٤/ ٢٤٢) ، والبيهقيُّ في

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَالْمُرَخَّصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ .

* * *

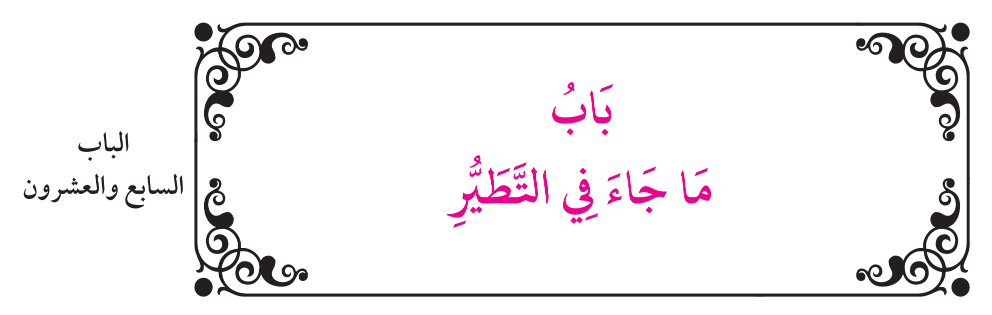
الكبرى (١٠/ ٥) من طرقٍ عن أبي وائل شقيق ابن سلمة عنه .

التداوي بالقرآن الكريم والسدر ونحوه من الأدوية المباحة ليس من باب البدع بل هو من باب التداوي .

فأخرج البخاريُّ (٥٧٣٧) من حديث عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس أنَّ نفرًا من أصحاب النبيّ ﷺ مرُّوا بماء فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق . إنَّ في الماء رجلا لديغًا أو سليما . فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة . فقالوا : يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إنَّ أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله** » .

وثبت في سنن أبي داود في كتاب الطب أن النبيّ ﷺ قرأ في ماء في إناء وصبه على المريض ، وبهذا يعلم أن التداوي بالسدر وبالقراءة في الماء وصبه على المرضى ليس به محذور من جهة الشرع ، إذا كانت القراءة سليمة وكان الدواء مباحًا .

الباب
السابع والعشرون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ (١٠٨) وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣١] .

---

(١٠٨) تفسير قوله تعالى : ألا إنما طائرهم عند الله :

ذكر الله تعالى هذه الآية في سياق قوله : ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣١] .

والمعنى : أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة - أي الخصب والسعة والعافية - قالوا : لنا هذه ، أي نحن الجديرون والحقيقيون به ، ونحن أهله .

وإن تصبهم سيئة - أي بلاء وقحط - تطيروا بموسى ومن معه ، فيقولون : هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم ، فقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي : ما قضى عليهم وقدر لهم أو شؤمهم عند الله ومن قبله أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [يس : ١٩] ، المعنى : حظكم وما نابكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين ، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا ، بل ببغيكم وعدوانكم ، فطائر الباغي الظالم معه ، فما وقع به من الشر فهو سببه الجالب له ، وذلك

وَقَوْلِهِ : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس : ١٩] الآيَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لَا عَدْوَىٰ ، وَلَا طِيَرَةَ ، وَلَا هَامَةَ ، وَلَا صَفَرَ** » . أَخْرَجَاهُ .

زَادَ مُسْلِمٌ : « **وَلَا نَوْءَ ، وَلَا غُولَ** » .

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَا عَدْوَىٰ ، وَلَا طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ** » . قَالُوا : وَمَا الْفَأْلُ ؟ قَالَ : « **الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ** » .

وَلِأَبِي دَاوُدَ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « **أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ؛ فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ** » .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** (١٠٩) ، **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** » . **وَمَا مِنَّا إِلَّا ، وَلَـٰكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ** » .

بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله .

وقول الله تعالى ﴿أَإِن ذُكِّرْتُم﴾ : أي أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا ؟ .

(١٠٩) الطيرة شرك :

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ : « **الطيرة شرك ، الطيرة شرك** » . قال ابن مسعود : وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل . أخرجه الإمامُ أحمد (١/ ٣٨٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠) ، والبخاريُّ في كتابه المفرد في الأدب (٩٠٩) ، وأبوداود (٣٩١٠) ، والترمذيُّ (١٦١٤) ، وابنُ ماجه (٣٥٣٨) عن زر ابن حُبيش ، عنه . قال الترمذيُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . وفي الباب عن أبي هريرة وحابس التميمي وعائشة و ابن عُمر وسعد . اهـ .

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو : « **مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ** » .

قَالُوا : فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟

قَالَ : « **أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ** » .

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنهما : « **إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ** » .

فالطيرة نوع من الشرك . وفي الحديث الحسن الذي أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ٢٢٠) عن عبد الله ابن عَمرو رضي الله عنهما مرفوعًا : « **من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال ، أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك** » .

* الشؤم في ثلاث :

أخرج الإمامُ أحمد (٢/ ٣٦ – ومواضع أخرى) ، والبخاريُّ (٥٠٩٣ ، ٥٧٧٢) ، ومسلم (٢٢٢٥/ ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨) ، وأبوداود (٣٩٢٢) ، والترمذيُّ (٢٨٢٤) ، والنسائيُّ (٦/ ٢٢٠) ، من حديث ابن عُمر رضي الله عنهما مرفوعًا : « **الشؤم في ثلاث : في المرأة ، والدابة ، والدار** » .

إخباره بالشؤم في هذه الثلاث ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها وساكنها ، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها شؤم ولا شر ، وهذا كما

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ، مَعَ قَوْلِهِ : ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ .

اَلثَّانِيَةُ : نَفْيُ الْعَدْوَىٰ .

اَلثَّالِثَةُ : نَفْيُ الطِّيَرَةِ .

اَلرَّابِعَةُ : نَفْيُ الْهَامَةِ .

اَلْخَامِسَةُ : نَفْيُ الصَّفرِ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ الْفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ بَلْ مُسْتَحَبٌّ .

يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة ، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، كما خلق المسك وغيره من الروائح الطيبة ولذَّذ بها مَن قاربها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم مَن قاربها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة الشركية لون .

اَلسَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ الْفَأْلِ .

اَلثَّامِنَةُ : أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ ؛ بَلْ يُذْهِبُهُ التَّوَكُّلُ .

اَلتَّاسِعَةُ : ذِكْرُ مَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهُ .

الْعَاشِرَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ الْمَذْمُومَةِ .

* * *

الباب الثامن والعشرون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ (١١٠)

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » : قَالَ قَتَادَةُ : « خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ : زِينَةً لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا ، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ » . انْتَهَىٰ .

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، وَلَمْ يُرَخِّصْ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا .

---

(١١٠) التنجيم :

هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

علم النجوم المنهي عنه : هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان ، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر ، وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها ، واجتماعها وافتراقها ، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات ، وهذا منهم تحكم على الغيب ، وتعاط لعلم قد استأثر الله به ، ولا يعلم الغيب سواه .

قال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٣] ،

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ** » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

الْأُولَىٰ : الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ .

الثَّانِيَةُ : الرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ .

الثَّالِثَةُ : ذِكْرُ الْخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ .

الرَّابِعَةُ : الْوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ .

* * *

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] .

صدق المنجم : قد يصدق المنجم ، ولكن صدقه كصدق الكاهن ، فيصدق في كلمة ، ويكذب في مائة ، وصدقه ليس عن علم ، بل قد يوافق قدرًا ، فيكون فتنة في حق من صدقه .

وردت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم ، كقوله ﷺ : « **من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد** » . أخرجه الإمامُ أحمد (١/ ٢٢٧ ، ٣١١) ، وأبو داود (٣٩٠٥) ، وابنُ ماجه (٣٧٢٦) بسندٍ صحيحٍ عن ابن عباس مرفوعًا .

الباب التاسع والعشرون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الاِسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ (١١١)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ (١١٢) لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : ....

---

(١١١) الأنواء :

جمع نوء وهي : منازل القمر ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كل ليلة منها قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس : ٣٩] ، يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق ، فتقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر ، وينسبونه إليها ، ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا.

سمى نوءًا لأنه : إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق ، أي نهض وطلع.

(١١٢) الجاهلية :

هي الإعراض عن العلم المنزل من الله على رسله هدى ورحمة والاعتماد على التقاليد والعادات والظنون وما يوحي به الشياطين ، ويحددها قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ (١١٣) ، ....

وقد عادت الجاهلية إلى الناس اليوم[1] مثل الجاهلية الأولى ، وشرًا منها ، ولا يمنع من ذلك وجود القرآن والحديث لأنهم اتخذوهما مهجورين ، فوجودهما حجة عليهم فقط . ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور .

والجاهلية المراد بها أيضًا : ما قبل المبعث ، سموا ذلك لفرط بعدهم عن الهدى وجهلهم .

وكل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو جاهلية ، وقد خالف أكثر المسلمين رسولَ الله ﷺ في كثير من اعتقادهم وعاداتهم ومعاملاتهم ، وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة .

(١١٣) الفخر بالأحساب :

أي : التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم ، وذلك جهل عظيم ، إذ لا خير إلا بالتقوى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « **إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم**

(١) قال مصححه رحمه الله : فلا يكاد بلد من بلاد المسلمين يخلو من مساجد الوثنية التي بُنِيت على المقامات والمزارات والأضرحة . وقد بدأ تعظيمُ المقامات ودعاؤها منذُ قوم نوح بدليل ما رواه البخاريُّ وابنُ جرير في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] .

وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ (١١٤) ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ (١١٥) ، وَالنِّيَاحَةُ » .

وَقَالَ : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ ، عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ ، فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ » .

قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا

جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » . أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ٣٦١ ، ٥٢٣) ، والترمذيُّ (٣٩٥٥) وقال : حديثٌ حسنٌ . وفي الباب عن ابن عُمر وابنِ عباسٍ . اهـ .

(١١٤) الطعن في الأنساب :

أي : الوقوع فيها بالعيب والتنقص ، وهو من الجاهلية ، لما عير أبوذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا بأمه ، قال له النبي ﷺ : « أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » . فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية ، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه.[١]

(١١٥) الاستسقاء بالنجوم :

المراد بالاستسقاء طلب السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء . أي : نسبة

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللَّهُ : كفرٌ دون كفر .

بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا (١١٦) ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » .

المطر إلى النوء وهو سقوط النجم .

حكم الاستسقاء بالأنواء : إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر ، لأنه أشرك في الربوبية . والمشرك كافر . وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر لأنه نسب نعمة الله إلى غيره ، ولأن الله لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه ، وإنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء .

(١١٦) نسبة النعمة إلى غير الله :

عن زيد بن خالد رضي الله عنه ، قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : « **أتدرون ماذا قال ربكم ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : « **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب** » .

أخرجه الإمامُ أحمد (٤/ ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧) ، والبخاريُّ (٨٤٦ ، ١٠٣٨ ، ٤١٤٧ ، ٧٥٠٣) ، ومسلمٌ (٧١/ ١٢٥) ، وأبوداود (٣٩٠٦) ، والنسائيُّ في المجتبى (٣/ ١٦٤) ، وفي الكبرى (١/ ٥٦٢) ، و (٦/ ٢٢٩) ، من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، عنه .

يدل هذا الحديث على أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز ، نسبة النعمة إلى غير الله كفر ، ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه وإن لم يعتقد تأثير النوء بإنزال المطر ، فيكون من كفر النعم ، لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها ، ونسبتها إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣] .

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: « قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ (١١٧): ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

---

(١١٧) الكتاب المكنون:

قال تعالى: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة: ٧٨]: أي في كتاب معظم محفوظ موقر، وقيل هو: اللوح المحفوظ، والصحيح أنه الكتاب الذي في اللوح المحفوظ، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦]، ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه.

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لا يمسه إلا المطهرون. قال: الكتاب الذي في السماء؛ وفي رواية لا يمسه إلا المطهرون يعني الملائكة.

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس؛ واختار هذا القول كثيرون، منهم ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ ورجحه.

وقال ابنُ زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقًا، وأنزله على رسوله

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ الْوَاقِعَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : الْأَرْبَعُ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ .

اَلثَّالِثَةُ : ذِكْرُ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهَا .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ .

اَلْخَامِسَةُ : قَوْلُهُ : « **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ** » بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ!

اَلسَّادِسَةُ : التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

اَلسَّابِعَةُ : التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

اَلثَّامِنَةُ : التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ : « **لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا** » .

اَلتَّاسِعَةُ : إِخْرَاجُ الْعَالِمِ التَّعْلِيمَ لِلْمَسْأَلَةِ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْهَا ؛ لِقَوْلِهِ : « **أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟** » .

اَلْعَاشِرَةُ : وَعِيدُ النَّائِحَةِ .

* * *

وحيًا . لا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه .

وقال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : وخص القرآن بأنه لا يمس مصحفه إلا طاهر ، كما ثبت ذلك عن الصحابة مثل سعد وسلمان وابن عُمر وجماهير السلف والخلف الفقهاء الأربعة وغيرهم . ومضت به سنة رسول الله ﷺ في كتابه الذي كتبه لعمرو بن حزم الذي لا ريب في أنه كتبه له ، ودل على ذلك كتاب الله .

الباب الثلاثون



بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

وَقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَحَبَّ (١١٨) إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٢٤] الآيَةَ .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** » أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (١١٩) : « **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ** ...

---

(١١٨) آية المحبة :

قال بعض السلف : ادعى قوم محبة الله فأنزل الله تعالى آية المحبة ، قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها .

فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ وفائدتها وثمرتها ، محبة المرسل لكم ، فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة ، ومحبته لكم منتفية .

(١١٩) حديثُ المحبة :

روى شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : مَن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومَن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله** عز وجل ، **ومَن كان أن يُلقى في النار أحب إليه مِن أن يرجع**

وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ [١٢٠] ، ....

إلى الكفر بعد ما أنقذه الله ﷻ منه ». أخرجه الإمامُ أحمد (٣/ ١٠٣ ، ١٧٢ - ومواضع أخرى) ، والبخاريُّ (١٦ ، ٢١ ، ٦٠٤١ ، ٦٩٤١) ، ومسلمٌ (٤٣/ ٦٧ ، ٦٨) ، والترمذيُّ (٢٦٢٤) ، والنسائيُّ (٨/ ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧) ، وفي الكبرى (٦/ ٥٢٧-٥٢٨) ، وابنُ ماجه (٤٠٣٣) ، من طرق عن أنس رضي الله عنه به.

ثلاث : أي ثلاث خصال . من كن فيه : أي وجدت فيه تامة . وجد بهن حلاوة الإيمان : الحلاوة هنا هي : التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه ، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم .

وجد حلاوة الإيمان : فيه استعارة تشبيهية ، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو ، وأثبت له لازم ذلك الشيء ، وأضافه إليه .

معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ.

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما : يعني بالسوى : ما يحبه الإنسان بطبعه ، كمحبة الولد والمال والأزواج ، والمراد بالمحبة هنا : حب الاختيار لا حب الطبع .

كما يكره أن يقذف في النار : أي : يستوي عنده الأمران .

(١٢٠) لوازم محبة الله ورسوله :

لوازم محبة الله ورسوله : أن يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله ، ويؤثر مرضاته على ما سواه ، ويسعى في مرضاته ما استطاع ، ويبعد عما حرمه الله

وَأَنْ يَكْرَهَ (١٢١) أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » .

ويكرهه أشد الكراهة ، ويتابع رسوله ويمتثل أمره ويترك نهيه ، قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] ، فمن آثر أمر الله ورسوله على أمره وخالف ما نهيا عنه ، فذلك أحب الله وأطاعه وأحب الرسول وأطاعه ، ومن لا فلا .

ومن لوازم محبة الله أيضًا : محبة أهل طاعته ، كمحبة أنبيائه ، ورسله ، والصالحين من عباده ، فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله ، من كمال الإيمان .

(١٢١) علامات تدل على محبة الله :

منها : أن من أحب الله تعالى ؛ فإنه يقدم ما يحبه الله من الأعمال على ما تحبه نفسه من الشهوات والملذات والأموال والأولاد والأوطان .

ومنها : أن من أحب الله تعالى ؛ فإنه يتبع رسوله ﷺ فيما جاء به ، فيفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ؛ قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣١-٣٢] .

ومن علامات صدق محبة العبد لله : ما ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فذكر في هذه الآية الكريمة لمحبة الله أربع علامات .

العلامة الأولى : أن المحبين لله يكونون أذلة على المؤمنين بمعنى أنهم

وَفِي رِوَايَةٍ : « لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ ... » إِلَىٰ آخِرِهِ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « **مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ** [١٢٢] ، **وَأَبْغَضَ فِي اللهِ** ،

يشفقون عليهم ويرحمونهم ويعطفون عليهم . قال عطاء : يكونون للمؤمنين كالوالد لولده .

العلامة الثانية : أنهم يكونون أعزة على الكافرين أي : يدعونهم إلى الله ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، بيان الحق ورحمة الخلق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يظهرون لهم الخضوع والضعف بل يظهرون عزة الإسلام وقوته .

العلامة الثالثة : أنهم يجاهدون في سبيل الله بالنفس واليد والمال والقلم واللسان لإعزاز دين الله وقمع أعدائه بكل وسيلة .

العلامة الرابعة : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم فلا يؤثر فيهم ازدراء الناس لهم ولومهم إياهم على ما يبذلون من أنفسهم وأموالهم لنصرة الحق ؛ لقناعتهم بصحة ما هم عليه وقوة إيمانهم ويقينهم ، فكل محب يؤثر فيه اللوم فيضعفه عن مناصرة حبيبه فليس بمحب على الحقيقة .

(١٢٢) حقيقة الحب في الله :

قال الحافظ في الفتح : قال يحيى بنُ معاذ : حقيقة الحب في الله : ألا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء .

ومعنى كلمة يحيى بن معاذ : (لا يزيد بالبر) هو أن يحسن إليك الذي أحببته ، ويصلك بأمور الدنيا وغير ذلك ، فلو فعل ذلك ما زاد حبه ؛ لأن الحب ليس لهذا الحب لله . (لا ينقص بالجفاء) ، لو مثلًا جفاك وأصبح لا يزورك

وَوَالَىٰ فِي اللّٰهِ ، وَعَادَىٰ فِي اللّٰهِ ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللّٰهِ بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَىٰ أَهْلِهِ شَيْئًا » . رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، قَالَ : « الْمَوَدَّةُ » .

ولا يكلمك ولا يصلك ، وانقطعت الصلة بينك وبينه ، وليس ذلك عن عداوة ، بل مجرد أنه مشغول أو غير ذلك ، فلا تنقص المحبة من أجل ذلك ، لأنها ليست لأمر نفع دنيوي وإنما هي لشيء قام به وهو طاعة الله ، فهو يحب أخاه المؤمن لله ، وليس لذاته ولا لشيء يقدمه ، وإنما يحبه لأنه يحب الله ، فأنت تحبه لأنه يحب حبيبك ، إذا كانت أمور الدنيا بهذه المثابة لا تزيد ولا تنقص سواء جاءت أو ذهبت ، فالمحبة لله أعظم ، أما المحبة للدنيا وللناس فهذه ما تجدي شيئًا، فهذه تنقطع بسرعة ، لما حصلت مبادلة النفع زادت ، فإذا نقصت أو زالت ذهب ذلك وزال لأنه ليس لله وكل ما لم يكن لله فهو زائل وذاهب ، وإنما يثبت الحق الذي لله جلَّ وعلا .

* الأسباب الجالبة للمحبة :

لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه فبكمالها يكمل ، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان . فمن لأسباب الجالبة لمحبة الله :

أحدهما : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ .

اَلثَّالِثَةُ : وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَىٰ : النَّفْسِ ، وَالْأَهْلِ ، وَالْمَالِ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنْ الْإِسْلَامِ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا .

الثاني : التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض .

الثالث : دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا .

الرابع : إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها .

السادس : مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

السابع : وهو أعجبها انكسار القلب بين يديه .

الثامن : الانفراد بالنفس وقت النزول الإلهي لتلاوة كتاب الل وتدبره والانشغال بذكره بالتسبيح والدعاء وبالاستغفار والتوبة .

التاسع : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم ، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك .

العاشر : مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ .

اَلسَّادِسَةُ : أَعْمَالُ الْقَلْبِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا .

اَلسَّابِعَةُ : فَهمُ الصَّحَابِيِّ (١٢٣) لِلْوَاقِعِ : أَنَّ عَامَّةَ الْمُؤَاخَاةِ عَلَىٰ أَمرِ الدُّنْيَا.

---

(١٢٣) فهم الصحابي للواقع وقول ابن عباس : عامة المؤاخاة على أمر الدنيا :

أخرج محمد بنُ نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٩٦) ، بسند فيه ليث بن أبي سليم - وهو ضعيف الحفظ - عن مجاهد ، قال : قال لي ابن عباس : يا مجاهد! أحب في الله وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ، فإنما تنال ما عند الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ حلاوة الإيمان ، وإن كثر صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم أو عامتهم على أمر الدنيا وذلك لا يجزيء عن أهله شيئًا ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] ، وقرأ : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة : ٢٢] . اهـ.

قال الشيخ عبدالرحمن بنُ حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله : فإذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس خير القرون فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة ، حتى وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان . اهـ .

وقد وقع ما أخبر به النبيّ ﷺ بقوله : « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ** » . أخرجه مسلمٌ (١٤٥) ، وابنُ ماجه (٣٩٨٦) من حديث يزيد بن كيسان ، عن سلمان أبي حازم الأشجعي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

اَلثَّامِنَةُ : تَفْسِيرُ : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ .

اَلتَّاسِعَةُ : أَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا .

وقد كان مِنَ الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار في عهد نبيهم ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مَنْ يؤثر بعضهم بعضًا على نفسه محبة في الله وتقربًا إليه ، قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم** » . ورد بإسناد حسن لغيره عنه . فرواه البخاريُّ في كتابه المفرد في الأدب (١١١) من طريق ليث وهو ابنُ أبي سليم عن نافع عنه . ورواه البزار في المسند (٥٩٢٦ ، ٥٩٢٧) ، والبيهقيُّ في الشعب (٧/ ٤٣٣-٤٣٤) من طريق الأعمش ، عن نافع به . ثم رواه البيهقي (٧/ ٤٣٤) من طريقين آخرين عن ابن عمر بنحوه .

وإذا أصبحت المؤاخاة والمحبة على أمر الدنيا - كما قال ابن عباس - فإن تلك المحبة والمؤاخاة لا تلبث أن تزول بزوال العرض الزائل وحينئذ لا يكون للأمة شوكة ومنعة أمام أعدائها .

وفي عصرنا الحاضر عصر المادة والدنيا قد أصبحت محبة الناس في الأغلب على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا .

ولن تقوم للأمة الإسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله والاجتماع على الحب فيه والبغض فيه والولاء له والبراء ممن أمرنا الله بالبراء منه ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .[1]

---

(١) قال مصححه رحمه الله : بل على صحيح الاعتقاد وصحيح الاتباع في العمل أولا .

الْعَاشِرَةُ : الْوَعِيدُ (١٢٤) عَلَىٰ مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ عِنْدَهُ أَحَبَّ مِنْ دِينِهِ .
الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ .

* * *

---

(١٢٤) التحذير من المحبوبات الثمانية :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

فتوعد سبحانه من قدم هذه المحبوبات الثمان - وهي : الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن - على محبة الله ورسوله والأعمال التي يحبها ، ولم يتوعد على مجرد حب هذه الأشياء ؛ لأن هذا شيء جبل عليه الإنسان ، ليس اختياريا ، وإنما توعد من قدم محبتها على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده .



وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة : ١٨] الآيَةَ .

---

(١٢٥) تعريف الخوف وأقسامه وأنواعه والحكم عليه :

الخوف : من أفضل مقامات الدين وأجلها ، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧] ، وقال تعالى ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٠] .

والخوف من أجلّ منازل العبودية وأنفعها وهو فرض على كل أحد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ، وقال ﷻ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

تعريف الخوف :

١- الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس .

٢- الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام .

٣- الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره .

٤- الخوف غمّ يلحق بالنفس لتوقع مكروه أو فوت محبوب .

٥- حذر النفس من أمور ظاهرة نضرة .

فوائد الخوف :

قال أبو حفص عمر بنُ مسلمة الحداد النيسابوري : الخوف من الله سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر ، وكل أحد إذا خفته هربت منه ، إلا الله عزَّ جلَّ فإنك إذا خفته هربت إليه .

وقال أبو سليمان : ما فارق الخوف من الله قلبًا إلا خرب .

وقال إبراهيم بنُ سفيان : إذا سكن الخوف من الله القلوب أحرق مواضع الشهوات منها و طرد الدنيا عنها .

وقال ذو النون : الناس على الطريق ما لم يَزُل عنهم الخوف من الله ، فإذا زال الخوف من الله ضلّوا الطريق .

والخوف ثلاثة أقسام :

الأول منها : خوف السر ، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ، قال تعالى عن قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ إنهم قالوا له : ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود : ٥٤-٥٥] ، وقال تعالى : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر : ٣٦] ، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ، ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله ، وهذا ينافي التوحيد .

الثاني : أن يترك الإنسان ما يجب عليه ، خوفًا من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد ، وهذا هو سبب نزول هذه الآية ، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ (١٢٦) فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت : ١٠] الآيَةَ .

فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٣-١٧٥] ، وقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره ؟ فيقول : رب خشية الناس . فيقول : إياي كنت أحق أن تخشى . أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٧ ، ٢٩ ، ٧٧) ، وابن ماجه (٤٠١٧) بسند حسن عن أبي سعيد الخدري به .

الثالث : الخوف الطبيعي ، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك ، فهذا لا يذم ، قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص : ٢١] .

أنواع الخوف من حيث الحُكم :

١- الخوف المحمود الصادق : هو ما حال بين صاحبه و بين محارم الله عز وجل ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله .

٢- الخوف الواجب : هو ما حمل على فعل الواجبات وترك المحرمات.

٣- الخوف المستحب: هو ما حمل على فعل المستحبات وترك المكروهات.

(١٢٦) اتباع الرسل :

الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين : إما أن يقول أحدهم : آمنا ، وإما أن لا يقول ذلك ، بل يستمر على السيئات والكفر ، فمن قال : آمنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « **إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ : أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ** » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ** » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » .

الفتنة : هي الابتلاء والاختبار ، ليتبين الصادق من الكاذب .

ومن لم يقل : آمنا ، فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه ، فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه وابتلي بما يؤلمه ، ومن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة وحصل له ما يؤلمه ، وكان هذا الألم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس ، آمنت أو رغبت عن الإيمان .

لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير في الألم الدائم ، والإنسان لا بد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم إرادات وتصورات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم ، كمن عنده دين وتقي حل بين قوم فجار ظلمة لا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم أو سكوته عنهم ، فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء ، ثم يتسلطون عليه بالإهانة

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ .

الثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ .

اَلثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْعَنْكَبُوتِ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ الْيَقِينَ يَضْعُفُ وَيَقْوَىٰ .

اَلْخَامِسَةُ : عَلَامَةُ ضَعْفِهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ : هَذِهِ الثَّلَاثُ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ إِخْلَاصَ الْخَوْفِ للهِ مِنَ الْفَرَائِضِ .

اَلسَّابِعَةُ : ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ .

اَلثَّامِنَةُ : ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ .

* * *

والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخالفهم ، وإن سلم منهم فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم ، فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة ، كما كانت للرسل وأتباعهم .

ولا ينفع القول والتصديق بدون العمل ، فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة : التصديق بالقلب وعمله ، والقول باللسان ، والعمل بالأركان ، وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا .

الباب
الثاني والثلاثون



(١٢٧) التوكل وقوة التوكل على الله ومعنى : وعلى ربهم يتوكلون :

قال الله تعالي : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة : ٢٤] . وقال تعالى :﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢، النحل:٤٢، ٩٩، العنكبوت: ٥٩، الشورى: ٣٦].

التوكل : هو اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المصالح الدينية والدنيوية ، ومعناه : إسناد الأمر وتفويضه من المتوكل إلى من توكل عليه وضمان تحقيقه من الوكيل الملتزم به وكفايته لم توكل عليه ، وهو من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح وهو دليل الإيمان والثقة واليقين ومحل ذلك القلب .

التوكل قسمان :

أحدهما : التوكل على غير الله ، مثل : الذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر ، أو حفظ ، أو رزق ، أو شفاعة ، فهذا شرك أكبر .

والثاني : طلب العون ممن يقدر عليه من المخلوق الحي الحاضر ، مثل من يطلب العون من أمير أو سلطان فيما أقدره الله – تعالى – عليه من رزق ، أو دفع أذى ونحو ذلك فهو جائزٌ ومثله توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ، لكن ليس له أن يعتمد في حصوله ما وكل فيه ، بل يتوكل على الله في تيسير أمره

وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] الآيَةَ .

الذي يطلبه بنفسه أو نائبه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ، ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب وهو الله تعالى .

والتوكل على الله شرط في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه ، وفي الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤] ، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل ، وكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفًا كان دليلًا على ضعف الإيمان ولا بد ، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية ، فظهر أن التوكل أصل جميع (مقامات)[1] الإيمان والإحسان ، ولجميع أعمال الإسلام ، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس ، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان و(مقاماته) وأعماله إلا على ساق التوكل .

قوة التوكل على الله : إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك ، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة .

وعلى ربهم يتوكلون : أي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يرغبون إلا إليه ، يعلمون أن ما شاء الله

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أرى اعتماد لغة القرآن والسنة وفقهاء القرون الخيِّرة ، لا مَنْ دونهم .

وَقَوْلِهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .
وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣] .

كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده ، وأنه المعبود وحده لا شريك له .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .
أخرجه البخاريُّ (٤٥٦٣) ، والنسائيُّ في الكبرى (١٠٤٣٩ ، ١١٠٨١) من طرق عن أبي الضحى : مُسلم بن صُبيح ، عنه .
قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٨-٧٠] .
وقالها محمد ﷺ حين قالوا له ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] : وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكرة عليهم ، فخرج النبي ﷺ في سبعين راكبًا حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، فألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان ، فرجع إلى مكة بمن معه ، ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : فهل أنتم مبلغون محمدًا عني رسالة ؟ قالوا : نعم . قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبوسفيان ، فقال : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

فهنا يبين فضل هذه الكلمة العظيمة وأنها قول الخليلين - عليهما الصلاة والسلام - في الشدائد ، وقال ﷺ : « **إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل** » .

(١٢٨) صفات المؤمنين :

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ١٩-٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد : ٢٨-٢٩] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] .

وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٧٣] الآيَة . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣-٧٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات : ١٥-١٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ اَلْفَرَائِضِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ .

اَلثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَنْفَالِ .

اَلرَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي آخِرِهَا .

اَلْخَامِسَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الطَّلَاقِ .

اَلسَّادِسَةُ : عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ اَلْكَلِمَةِ .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ- فِي الشَّدَائِدِ .

* * *

وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور : ١٧-٢٨] .

هذا وفي القرآن الكريم صفات المؤمنين المتقين كثيرة جدًّا ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

الباب
الثالث والثلاثون



وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ (١٣٠) إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ ، فَقَالَ : « الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ » .

---

(١٢٩) قوله تعالى : (أفأمنوا مكر الله) :

قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] . الآية فيها التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب ، وأنه ينافي كمال التوحيد ، وأن القنوط من رحمة الله كذلك ، وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأرشد إليه سلف الأمة والأئمة . تفسير المكر : موجود في قول السلف : يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه ، ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

الأمن من مكر الله : من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان ، وذلك جهل بالله وبقدرته ، وثقة بالنفس ، وعجب بها .

(١٣٠) القنوط واليأس من روح الله :

القنوط : استبعاد الفرج واليأس منه ، وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلاهما ذنب عظيم . فلا تكن من القانطين : أي الآيسين .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : « **أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ** (١٣١) : **الإِشْرَاكُ بِاللّٰهِ ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللّٰهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ** » . رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْحِجْرِ .

اَلثَّالِثَةُ : شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللّٰهِ .

اَلرَّابِعَةُ : شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِي الْقُنُوطِ .

* * *

اليأس من روح الله : أي قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه وذلك إساءة ظن بالله ، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته .

(١٣١) ضابط الكبائر :

ما قاله المحققون من العلماء : كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب أو نفي الإيمان .

الباب الرابع والثلاثون



بَابٌ مِنَ الإيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ [(١٣٢)]

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن : ١١] .

---

(١٣٢) الصَّبْرُ على قدَر الله :

في الحديث عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « **الصبر ضياء** » . رواه مسلم (١/٢٢٣) وغيره .

وحدَّث الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال النبيّ ﷺ : « **ما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ مِنَ الصبر** » . أخرجه البخاريُّ (١٤٦٩) ، ومسلمٌ (١٠٥٣/ ١٢٤) ، وأبوداود (١٦٤٤) ، والترمذيُّ (٢٠٢٤) ، والنسائيُّ (٥/ ٩٥) ، وفي الكبرى (٢/ ٥٠) كلهم من حديث مالك - وهذا في الموطأ (٢/ ٩٩٧) - ، عن الزهري به .

قال عُمر رضي الله عنه : « وجدنا خير عيشنا بالصبر » . علقه البخاري في «صحيحه» (كتاب الرقاق / باب الصبر عن محارم الله - قبل حديث رقم ٦٤٧٠) . وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٠٣) : وصَلهُ أحمد في كتَاب الزهد ومن طريقه أبونعيم في الحلية بسندٍ صحيح عن مجاهد ، قال : قال عُمر . وأخرجه ابن المبارك في الزهد من وجه آخر عن مجاهد به . وأخرجه الحاكم من رواية مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عُمر .

قال عليٌّ رضي الله عنه : « إنَّ الصبر مِنَ الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم رفع

قَالَ عَلْقَمَةُ : « هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ [١٣٣] ،

صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له » . أخرجه ابنُ أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣١٧ رقم ٣٠٩٥٧) ، ومن طريقه البيهقي في الشعب (١/ ٧١) بسندٍ حسنٍ عنه .

والصبر مشتق من : صبر إذا حبس ومنع ، والصبر : حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط ، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب .

الصبر ثلاثة أقسام : صبر على ما أمر الله به . وصبر عما نهى عنه . وصبر على ما قدره من المصائب .

*** صبر النبيّ ﷺ :**

ونبينا ﷺ صبر صبراً عظيمًا ، دعا الله تعالى فآذاه قومه بمكة ، ووضعوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد ، وأتاه أبو جهل مرة فخنقه حتى جاء أبوبكر رضي الله عنه وأطلقه ، وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر : ٢٨] ، ومكروا به ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، وكسرت رباعيته ﷺ يوم أحد ، وجُرحت وجنتاه ﷺ وسال الدم على وجهه ﷺ . وأولو العزم لهم من القوة والصبر والتحمل والجلد ما ليس لغيرهم ، حتى قال الله تعالى لنبينا ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

(١٣٣) المصائب نعمة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : المصائب نعمة لأنها مكفرات للذنوب ، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها ، وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له ، والإعراض عن الخلق ، فنفس البلاء يكفر الله به الذنوب والخطايا ، وهذا من أعظم

فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمْ (١٣٤) » .

النعم ، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك ، فتكون شرًا عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فإن من الناس من إذا ابتلى بفقر أو مرض أو جوع حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له الضرر في دينه ، فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة ، كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة ، كانت في حقه نعمة دينية ، فهي بعينها فعل الرب ﷻ ورحمة للخلق والله تعالى محمود عليها ، فمن ابتلى فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه ، وحصل له مع ما كفر من خطاياه رحمة ، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٧] ، وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك . اهـ .

(١٣٤) الصبر على المصيبة :

قال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن : ١١] .

قال بعضُ السلَف : هو الرجلُ تُصيبُهُ المصيبة فيعلمُ أنها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم .

قال شريح القاضي : إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمد إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني .

وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ** (١٣٥) » .

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ** (١٣٦) ،

---

(١٣٥) الطعن في النسب والنياحة على الميت :

أخرج الإمامُ أحمد (٢/ ٤٩٦) ، ومسلمٌ (٦٧/ ١٢١) ، من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « **اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت** » .

الطعن في النسب : أي عيبه ، ويدخل فيه أن يقال : هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه .

النياحة على الميت : أي رفع الصوت بالندب وتعداد فضائل الميت ، لما فيه من التسخط على القدر المنافي للصبر ، كقول النائحة : واعضداه ، واناصراه .

(١٣٦) ضرب الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية :

أخرج البخاريُّ (١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ٣٥١٩) ، ومسلمٌ (١٠٣/ ١٦٥ ، ١٦٦) ، والنسائيُّ في المجتبى (٤/ ١٩) وفي الكبرى (١٩٨٧) ، وابنُ ماجه (١٥٨٤) ، عن مسروق ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا : « **ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية** » .

ضرب الخدود : خص الخد لكونه الغالب وإلا فضرب بقية الوجه مثله .

شق الجيوب : الجيب هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب ، وشق الجيوب من عادة أهل الجاهلية حزنًا على الميت .

وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ [(١٣٧)] » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ [(١٣٨)] حَتَّىٰ يُوافِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

دعا بدعوى الجاهلية : هو ندب الميت . وقيل : هو الدعاء بالويل والثبور . وقيل : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية . ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ ، وتفضيل بعضهم على بعض ، يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي ، فكل هذا من دعوى الجاهلية .

(١٣٧) الداعية بالويل والثبور :

أن تدعو المرأة بالويل والثبور ، فتقول : يا ويلي ، أو يا هلاكي ، أو يا خسارتي ، أو يا مُصيبتي ! إذا مات الميت أو وقعت المصيبة . فالثبور : يجمع الهلاك والويل والخسارة والدمار ، وهي من أفعال الجاهلية فهو يؤذي الميت.

* الخامشة وجهها والشاقَّة جيبها :

الخامشة وجهها : أن تخمش المرأة وجهها بأظفارها إظهارًا للجزع .

الشاقة جيبها : أن تشقّ المرأة جيبها تسخُّطًا على القَدَر عند المصيبة .

(١٣٨) إذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه العقوبة :

أخرج الترمذي (٢٣٩٦) ، عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ ، قال : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة** » . وقال : « هذا حديثٌ حسن غريبٌ » .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا (١٣٩) ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » . حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ .

عجل له العقوبة : فالمصائب نعمة . راجع كلام شيخ الإسلام في ذلك .

أمسك عنه : أخر عنه العقوبة بذنبه .

(١٣٩) فمن رضي فله الرضاء :

وأخرج الترمذيُّ (٢٣٩٦) – وحسنه – ، وابنُ ماجه (٤٠٣١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا : « **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط** » .

قال ابنُ القيم : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب ، فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها وهو ظاهر .

إن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم : ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : سئل النبيّ ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .. يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه . وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة** » . أخرجه الترمذيُّ (٢٣٩٨) وقال : « هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ » ، والنسائيُّ في الكبرى (٧٤٨١) ، وابنُ ماجه (٤٠٢٣) ، من حديث مصعب بن سعد ، عن أبيه به .

فمن رضي فله الرضا : أي من الله تعالى .

السخط : كراهية الشيء وعدم الرضا به .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ .

اَلثَّالِثَةُ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ .

اَلرَّابِعَةُ : شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ : ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ .

اَلْخَامِسَةُ : عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ .

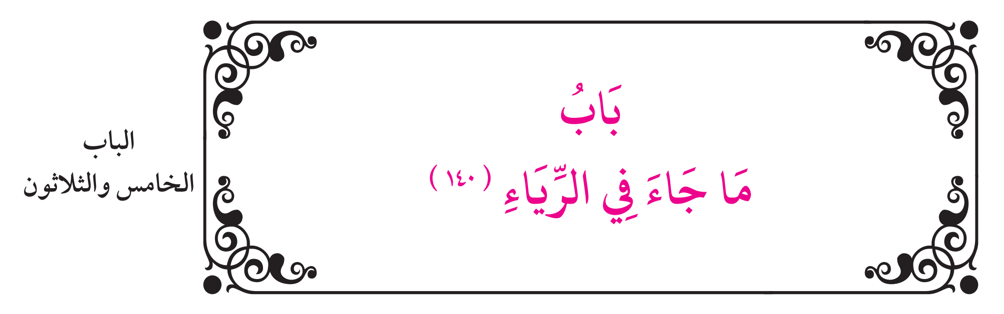
اَلسَّادِسَةُ : عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِهِ الشَّرَّ .

اَلسَّابِعَةُ : عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ .

اَلثَّامِنَةُ : تَحْرِيمُ السَّخَطِ .

اَلتَّاسِعَةُ : ثَوَابُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ .

* * *



وَقَـوْلِ اللهِ تَعَـالَىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] الآيَةَ .

---

(١٤٠) الرياء :

الرياء مشتق من الرؤية ، والمراد به : إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوا صاحبها .

الفرق بينه وبين السمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة ، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله .

التحذير من الرياء وصية ربانية : إن الله حذرنا من الرياء في الأقوال والأفعال وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم ، وبين لنا سبحانه أن الرياء يحبط الأعمال الصالحة ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] . قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لهذه الآية : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ، ليُشكر بين الناس أو يُقال إنه كريم جواد ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي** (١٤١) ، **تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** » ؟

الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] . قال ابن كثير في هذه الآية : لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة ، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبًا كصلاة العشاء في وقت العتمة .

(١٤١) من عمل عملًا أشرك فيه غير الله ، وأقسام العمل لغير الله :

أخرج الإمامُ أحمد (٢/ ٣٠١ ، ٤٣٥) ، ومسلمٌ (٢٩٨٥/ ٤٦) ، وابنُ ماجه (٤٢٠٢) من طرق عن العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا : قال الله تعالى : « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه** » .

أي : من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه .

أقسام العمل لغير الله ، الأول منها : رياء محضًا ، كحال المنافقين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض

قَالُوا : بَلَىٰ .

قَالَ : « **الشِّرْكُ الْخَفِيُّ ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ** » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ .

اَلثَّانِيَةُ : هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ فِي رَدِّ (١٤٢) الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ .

اَلثَّالِثَةُ : ذِكْرُ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ ، وَهُوَ : كَمَالُ الْغِنَىٰ .

الصلاة أو التي يتعدى نفعها ، فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة .

الثاني : العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه ، وهذا الحديث يدل على ذلك .

(١٤٢) شروط صحة العمل :

من شروط صحة العمل :

١- الإخلاص .   ٢- المتابعة .

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنَّهُ خَيْرُ الشُّرَكَاءِ .

اَلْخَامِسَةُ : خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ الْمَرْءُ للهِ ، لَكِنْ يُزَيِّنُهَا ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ .

* * *

قال : أخلصه وأصوبه . أيكم أخلصه ولم يكن صوابًا لم يقبل . وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا ، فالخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة .

الباب
السادس والثلاثون



بَابٌ
مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بَعَمَلِهِ الدُّنْيَا (١٤٣)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ (١٤٤) فِيهَا ﴾ [هود : ١٥] الآيَتَيْنِ .

---

(١٤٣) من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم، كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا، وقد وقع ذلك كثيرًا حتى أن منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش واجتماعه به وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك . المقصود : أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء، لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا .

(١٤٤) أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

الأول : العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان

أو يتركه خالصًا لله ، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة ، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته ، أو حفظ أهله وعياله ، أو إدامة النعمة عليهم ، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب .

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو أن يعمل أعمالًا صالحة ونيته رياء الناس ، لا طلب ثواب الآخرة .

النوع الثالث : أن يعمل أعمالًا صالحة يقصد بها مالًا ، مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، أو يجاهد لأجل المغنم ، كما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم ، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ، كما هو واقع كثيرًا .

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله ، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين يدعون غير الله ويطلبون المدد من غيره أو أي كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية ، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة ؟ لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم ، وكان السلف يخافون من عدم القبول ، قال بعضهم : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت[1] لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللهُ : تمنِّي الموت معصية في أي حال . والسجدة الواحدة المقبولة لا تغني عن بقية العبادة .

« **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ** [١٤٥] ، **تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ** [١٤٦] ، **تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ** [١٤٧] ، **تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ** [١٤٨] ، ....

---

(١٤٥) تعس عبد الدينار :

أخرج البخاريُّ (٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧ ، ٦٤٣٥) ، وابنُ ماجه (٤١٣٥ ، ٤١٣٦) ، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، أنَّ النبيّ ﷺ ، قال : « **تَعِسَ عبدُ الدِّينار وعبدُ الدِّرهم وعبدُ الخَمِيصة وعبدُ الخميلة ، إن أعْطِيَ رَضِيَ وإن لم يُعْطَ سَخِطَ ، تعسَ وانتكسَ وإذا شِيكَ فلا انتقش** » .

تعس هو بكسر العين ويجوز الفتح أي : سقط ، والمراد : هلك ، وهو ضد سعد ، أي شقي ، يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه ، وهو دعاء عليه بالهلاك .

عبد الدينار : الدينار هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن .

(١٤٦) عبد الدرهم :

الدرهم : هو من الفضة قدره الفقهاء بزنة خمسين حبة شعير وخُمسي حبة.

(١٤٧) عبد الخميصة :

الخميصة : هي ثوب خز أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعلمة [١] وتجمع على خمائص .

(١٤٨) عبد الخميلة :

قال السيوطيُّ في الديباج : الخميلة -بفتح الخاء المعجمة وكسر الميم- :

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي مُخططه .

إِنْ أُعْطِـي رَضِيَ ، وإِنْ لَـمْ يُعْـطَ سَـخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَـسَ [١٤٩] ، وَإِذَا شِـيكَ [١٥٠] فَـلَا انْتَقَـشَ [١٥١] ، ....

القطيفة وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان ، وقيل : هو الأسود من الثياب.

(١٤٩) انتكس :

انتكس هو بالمهملة ، أي : عاوده المرض ، وقيل : انقلب على رأسه . وهو دعاء عليه بالخيبة ، لأنه إذا تعس انكب على وجهه . وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط .

(١٥٠) إذا شيك :

أي : أصابته شوكة .

(١٥١) فلا انتقش :

فلا انتقش أي : فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش .

سماه عبدًا للدينار والدرهم ، لكون الدينار والدرهم هما المقصود بعمله ، فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا له في عبوديته كما هو حال الأكثر ، وقد دعا الرسول ﷺ في هذا الحديث على من جعل الدنيا قصده وهمه بالتعاسة والانتكاسة وإصابته بالعجز عن انتقاش الشوك من جسده ، ولابد أن يجد أثر هذه الدعوات كل من اتصف بهذه الصفات الذميمة فيقع فيما يضره في دنياه وآخرته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة ، وذكر فيها ما هو دعاء بلفظ الخبر ، وهو

قوله : تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش . وهذا حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ، وهذه حال من عبد المال ، وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن منع سخط ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة : ٥٨] . رضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا منها برئاسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه ، إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط ؛ فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته ؛ فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ... إلى أن قال : وهكذا طالب المال ؛ فإن ذلك يستعبده ويسترقه ، وهذه الأمور نوعان :

الأول . منها ما يحتاجه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك ؛ فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته - بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه - من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا .

الثاني . ومنها ما لا يحتاج إليه العبد ؛ فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه به ؛ فإذا علق قلبه به ؛ صار مستعبدًا له ، وربما صار مستعبدا لغير الله ومعتمدا على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله . وهذا أحق الناس بقوله ﷺ : « **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة** » .

وهذا عبد لهذه الأمور ، ولو طلبها من الله ؛ فإن الله إذا أعطاه إياها ؛ رضي وإن

طُوبَىٰ لِعَبْدٍ (١٥٢) آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنِ اسْتَأْذَنَ ، لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ » .

منعه إياها ؛ سخط ، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ؛ فهذا الذي استكمل الإيمان . اهـ .

قال الشيخ صالح بنُ فوزان :

ومن عبيد المال اليوم الذين يقدمون على المعاملات المحرمة والمكاسب الخبيثة بدافع حب المادة ؛ كالذين يتعاملون بالربا مع البنوك وغيرها ، والذين يأخذون المال عن طريق الرشوة والقمار ، وعن طريق الغش في المعاملات والفجور في المخاصمات ، وهم يعلمون أن هذه مكاسب محرمة ، لكن حبهم للمال أعمى بصائرهم ، وجعلهم عبيدا لها ، فصاروا يطلبونها من أي طريق . نسأل الله العافية لنا ولإخواننا المسلمين من الشح المطاع والهوى المتبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه .

(١٥٢) طوبى لعبد :

أخرج البخاريُّ (٢٨٨٧) ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : **« طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع »** .

طوبى : اسم الجنة ، وقيل : هي شجرة فيها ويؤيده ما رُويَ عن أبي سعيد

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ هُودٍ .

اَلثَّالِثَةُ : تَسْمِيَةُ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ : عَبْدَ الدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمِ ، وَالْخَمِيصَةِ.

اَلرَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ : « **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ** » .

الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قال : قال رجل : يا رسول الله وما طوبى ؟ قال : « **شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها** » . من رواية أبي السَّمح درَّاج بن سمعان ، عن أبي الهيثم المِصري سُليمان بنِ عَمرو ، عنه ؛ وقد تكلَّم فيها الإمامُ أحمد وغيره .

*** هل في الجنة صبيان ؟ :**

وقال خالد بنُ معدان : إن في الجنة شجرة يقال لها : طوبى ، ضروع كلها ترضع صِبيان أهل الجنة ، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين .

قال ابنُ حزم في الفصل في المِلل والأهواء والنِّحل : إن الله تعالى قال : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل : ١٤-١٦] ، وليست هذه صفة الصبيان فصحَّ أنهم لا يدخلون النَّار ، ولا دار إلا الجنَّة أو النَّار ، فإذا لم يدخلوا النَّار فهم بلا شك في الجنَّة ، وقد صحَّ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الرؤيا الكبيرة التي رآها أنه رأى إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في روضة خضراء مفتخر ، وفيها من كل نور ونعيم ، وحواليه من أحسن صبيان وأكثرهم ، فسأل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عنهم ، فأخبر أنهم مَن مات مِن أولاد الناس قبل أن يبلغوا ، فقيل له :

اَلْخَامِسَةُ : قَوْلُهُ : « **تَعِسَ وَانْتَكَسَ** » .

اَلسَّادِسَةُ : قَوْلُهُ : « **وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ** » .

اَلسَّابِعَةُ : الثَّنَاءُ عَلَىٰ الْمُجَاهِدِ (١٥٣) الْمَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ .

* * *

يا رسول الله : وأولاد المشركين ؟ قال : « **وأولاد المشركين** » ؛ فارتفع الإشكال ، وصحَّ بالثابتِ مِن السُّنن وصحيحها أنَّ جميع مَن لم يبلغ مِن أطفال المسلمين والمشركين ففي الجنَّة ، ولا يحل لأحدٍ تعدِّي ما صحَّ بالقرآن والسنن وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائلٌ : إذا قلتم أنَّ النَّار دار جزاء فالجنَّة كذلك ولا جزاء للصبيان ، قلنا وبالله تعالى التوفيق : إنما نقف عند ما جاءت به النُّصوصُ في الشريعة ، وقد جاء النَّصُّ بأنَّ النَّار دار جزاء فقط ، وأنَّ الجنَّة دار جزاء وتفضل فهي لأصحاب الأعمال دار جزاء بقدر أعمالهم ولمَن لا عمل له دار تفضل مِن الله تعالى مجرد ، وقد قال قومٌ : أنَّ الصبيان هم خدمُ أهل الجنَّة ، وقد ذكر الله تعالى الولدانَ المخلدينَ في غير موضع مِن كتابه وأنَّهم خدمُ أهل الجنَّة فلعلهم هؤلاء والله أعلم .

(١٥٣) ثواب المجاهدين في سبيل الله تعالى :

في صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : « **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع** » . تقدم تخريجه .

قال الشيخ عبدالله بنُ محمد الغنيمان :

قوله : « **آخذ بعنان فرسه في سبيل الله** » : أي في جهاد المشركين .

قوله : « **أشعث** » مجرور بالفتحة ؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل ، و « **رأسه** » مرفوع على الفاعلية ، وهو طائر الشعر ، أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر . قوله : « **مغبرة قدماه** » صفة ثانية لعبد .

قوله : « **إن كان في الحراسة** » بكسر الحاء أي : حماية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم .

قوله : « **كان في الحراسة** » أي : غير مقصر فيها ، ولا غافل ، وهذا اللفظ يستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال .

قوله : « **وإن كان في الساقة كان في الساقة** » : أي في مؤخرة الجيش ، أي : يقلب نفسه في مصالح الجهاد ، فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلًا أو نهارًا ؛ رغبة في ثواب الله وطلبًا لمرضاته ، ومحبة لطاعته . قال ابنُ الجوزي : وهو خامل الذكر لا يقصد السمو . وقيل المعنى : ائتماره لما أمر ، وإقامته حيث أقيم ، لا يفقد من مقامه وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة . انتهى .

وفيه : فضل الحراسة في سبيل الله .

قد ورد في فضل الحراسة في سبيل الله أحاديث ، ولكنها ليست على شرط الصحيحين منها : « **أن من حرس ليلة في سبيل الله فهي خير من ألف ليلة يقوم ليلها ويصوم نهارها** » . وكذلك ورد : « **أن من حرس في سبيل الله لا تمسه النار** » ، كذلك جاء نحو هذا في الرباط في سبيل الله ، والمرابطة : هي لزوم الثغور في الأماكن المخوفة التي يتوقع أن يأتي منها العدو ، ومعلوم أن الجهاد

....

في سبيل الله مثلما قال الرسول ﷺ : « **ذروة سنام الإسلام** » .

يعني : هو أرفع شيء في الأعمال [(١)] ، وإذا ترك الجهاد في سبيل الله عطل أمورًا كثيرة ، وأصبح دليلًا على ضعف المسلمين ، بل وضعف الإسلام أيضًا كما هو الواقع اليوم ، فإن المسلمين صاروا أكلة لأعدائهم ، يريدون أن يأخذوا منهم ما أرادوا بدون خوف ، ولا يردهم شيء عن ذلك ، والسبب في هذا تقاعس المسلمين عما أمرهم الله جلَّ وعلا به ، وما حضهم عليه رسوله ﷺ . وفي الحديث الذي ذكره الرسول ﷺ : أنهم إذا تركوا الجهاد سلط الله عليهم ذلًا لا يرفع عنهم حتى يراجعوا دينهم ؛ وبهذا يتبين أن عز المسلمين في الجهاد ، وفي التمسك بدينهم وأنهم إذا أعرضوا عن دينهم ذلوا ، ولابد أن يذلوا .

قوله : « **إن استأذن لم يؤذن له** » أي : إذا استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة ؛ لأنه ليس من طلابها ، وإنما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه .

قوله « **وإن شفع** » بفتح أوله وثانيه ، « **لم يشفع** » بفتح الفاء مشددة يعني : لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم .

وروى الإمامُ مسلمٌ (٢٦٢٢/١٣٨، ٢٨٥٤/٤٨) وغيرُهُ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « **رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » .

ليس معنى ذلك أنه يفعل ما يشاء ، وأنه يقسم على الله ثم يطيعه الله ، ولكن

---

(١) قال مصححه رحمه الله : رأسُ الأمر الإسلام وعمودُه الصلاة ؛ ولم يأذن الله لرسوله وللمسلمين في الجهاد بضعَ عشرةَ سنةً الأولى لضعفهم ، ولكن لا يعذر أحدٌ عن ترك الإيمان والصلاة . ولا قيام للبيت بلا عموده ، ويعيش البعير بدون ذروة سنامه . أركان الإسلام أولا .

هذا عبد مطيع لله - جلَّ وعلا - ممتثل لأمره ، فإذا طلب من الله أعطاه ، وطلبه لا يكون من باب الإدلال على الله ، ولكنه من باب أنه عبده حقا ، فيطلبه من باب العبودية والذل والتعلق به وحده فيعطيه مع ذله وخضوعه لربه جل وعلا واستكانته له ، وليس الإقسام معناه : أنه الذي يأمر أمرًا ملزمًا فيعطيه ذلك ، كما هو الواقع بين الخلق ، هذا ليس المراد ، بل المراد أنه مطيع لله ، وإذا طلب من ربه شيئا من باب الجزم والعزم فإنه يطلبه من باب الذل والخضوع والاستكانة لربه جلَّ وعلا ، فمعلوم أن الله جلَّ وعلا إذا ذل له عبده وخضع له أعطاه ما يريد ولكن حسب مشيئته ، فما أحد يلزم الله جل بشيء ، لهذا قال رسول الله ﷺ : « **إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت ، فإن الله لا مكره له** » . أخرجه الإمامُ أحمد (٣/ ١٠١) ، والبخاريُّ (٦٣٣٨ ، ٧٤٦٤) ، وفي كتابه المفرد في الأدب (٦٠٨ ، ٦٥٩) ، ومسلمٌ (٢٦٧٨) ، والنسائيُّ في الكبرى (٦/ ١٥١) عن عبدالعزيز بن صُهَيب ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه به .

أي : لا أحد يكرهه على شيء ، والأمر كله بيده جل وعلا ، يتصرف بخلقه كيف يشاء .

قال الحافظ : الحديث فيه ترك حب الرئاسة والشهرة ، وفضل الخمول والتواضع . اهـ .

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص : ٨٣-٨٤] .

....

وروى مسلمٌ برقم (١٨٧٨) عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : قيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما يعدلُ الجهادَ في سبيل الله عزَّ وجلَ ؟ قال : « **لا تستطيعوه** » . قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول : « **لا تستطيعونه** » وقال في الثالثة : « **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى** » .

ورواه البخاريُّ برقم (٣٧٨٥) بنحوه من حديث أبي حَصِين ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وبرقم (٢٧٨٧) من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الباب السابع والثلاثون



(١٥٤) من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله :

قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما : « يُوشك أنْ تنزلَ عليكم حجارة مِنَ السماء . أقولُ : قال رسولُ الله ﷺ وتقولون : قال أبوبكر وعُمر ؟ » .

قال أبوعمرو - غفر الله له - :

هكذا ذكره المصنف رحمه الله بهذا اللفظ من غير ذكر إسناده أو من أخرجه . ولم أجده عن ابن عباس بهذا اللفظ .

إنما أخرج ابنُ عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج٢ / ص ١٢٠٩- ١٢١٠ رقم ٢٣٧٧) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عُروة ابنِ الزبير ، أنه قال لابن عباسٍ : « ألا تتقي الله ترخص في المتعة يعني في الحج ؟ » فقال ابنُ عباس : « سل أمَّك يا عُرَيَّةُ » ، فقال عُروة : « أمَّا أبوبكر وعُمر فلم يفعلا » فقال ابنُ عباس : « والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، أحدثكم عن رسول الله ﷺ ، وتحدثونا عن أبي بكر وعُمر ؟! » فقال

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا : « يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ

عُروة : « لهُما أعلمُ بسنة رسولِ الله وأتبع لها مِنك » . وإسناده صحيحٌ .

وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (ج١/ ص٣٧٧-٣٧٨ رقم ٣٨٠) من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، أن عروة ابن الزبير ، قال لابن عباس : « أضللتَ الناس » ، قال : « وما ذاك يا عُريّة ؟ » قال : « تأمرُ بالعمرة في هؤلاء العشر ، وليست فيهن عُمرة » ، فقال : « أوَ لا تسأل أمَّك عن ذلك ؟ » فقال عُروة : « فإنَّ أبا بكر وعُمر لم يفعلا ذلك » ، فقال ابنُ عباس : « هذا الذي أهلككم والله ما أرَى إلا سيعذبكم ، إني أحدثكم عن النبيّ ﷺ وتجيئوني بأبي بكرٍ وعُمر » .

فقال عُروة : « هما والله كانا أعلم بسنة رسول الله ﷺ وأتبعَ لها منك » .

علق الخطيب البغدادي على كلام عُروة ، فقال : قد كان أبوبكر وعمرُ على ما وصفهما به عروة إلا أنه لا ينبغي أن يُقَلَّدَ أحدٌ في ترك ما ثبتت به سنة رسول الله ﷺ . اهـ .

قال أبوحنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « إذا جاء الحديثُ عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال » .

وقال : « إذا قلت قولًا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله ، قيل : إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ ، وقيل إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة » .

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ما منا إلا رادٌّ ومردودٌ عليه ، إلا صاحب هذا القبر ﷺ » . اهـ .

السَّمَاءِ ، أَقُولُ : قَالَ رَسُولُ ﷺ ، وَتَقُولُونَ (١٥٥) : قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ؟!

وقال الربيع : سمعتُ الشافعيَّ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ : « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فخذوا سنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت ، وقال : إذا صح الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط ، وقال مالك : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ » .

وقال أحمد رَحِمَهُ اللهُ : ثنا أحمد بن عُمر البزاز : ثنا زياد بن أيوب : ثنا أبو عبيدة الحداد ، عن مالك بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « ليس منا أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبيّ ﷺ » . وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وأخرج الترمذيُّ (٣٠٩٥) بسندٍ حسنٍ عن عديّ بنِ حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنه سمع النبيّ ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾[التوبة : ٣١] ، فقلت : إنا لسنا نعبدهم . قال : « **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟** » فقلت : بلى ، قال : « **فتلك عبادتهم** » .

وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد كم العلماء كائنًا من كان ، ونص الأئمة على هذا ؛ وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة ، فهذا الذي عناه بعض العلماء بقوله : لا إنكار في مسائل الاجتهاد . وأمَّا مَن خالفَ الكتابَ والسنةَ فيجب الرَّد عليه كما قال ابنُ عباس وأبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد .

(١٥٥) ذمُّ الرأي :

عرفوا الإسناد : أي إسناد الحديث وصحته ، فإذا صح إسناد الحديث فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء قال الإمام أحمد : عجبت لقوم

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ ؛ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ رَأْيِ سُفْيَانَ ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [النور : ٦٣] الآية ، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ ؟ الْفِتْنَةُ : الشِّرْكُ ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ » .

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] الآيَة .

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ .

قَالَ : « **أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ ؛ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ ، فَتُحِلُّونَهُ** » ؟

فَقُلْتُ : بَلَىٰ .

قَالَ : « **فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ** » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

ٱلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ .

ٱلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ .

ٱلثَّالِثَةُ : ٱلتَّنْبِيهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ ٱلْعِبَادَةِ ٱلَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ .

ٱلرَّابِعَةُ : تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ .

عرفوا الإسناد وصحته ، ويذهبون إلى رأي سفيان ، قال الله تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٣] .

أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

اَلْخَامِسَةُ : تَغَيُّرُ اَلْأَحْوَالِ إِلَىٰ هَذِهِ اَلْغَايَةِ (١٥٦) ، حَتَّىٰ صَارَ عِنْدَ اَلْأَكْثَرِ عِبَادَةُ اَلرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وتُسَمَّىٰ الوِلَايَةَ ، وَعِبَادَةُ اَلْأَحْبَارِ هِيَ اَلْعِلْمُ وَالْفِقْهُ! ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ إِلَىٰ أَنْ عُبِدَ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَعُبِدَ -بِالْمَعْنَىٰ اَلثَّانِي- مَنْ هُوَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ .

* * *

---

(١٥٦) ما يهدم الإسلام :

روى الدارمي في مقدمة سننه وغيره : عن زياد بن حُدير ، قال : قال لي عُمر : « هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ » . قلت : لا . قال : « يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين » .

وروى : الإمامُ أحمد (٥/ ٢٧٨) ، والدارميُّ (٢٠٩) ، والترمذيُّ (٢٢٢٩) ، وأبوداود (٤٢٥٢) بسندٍ صحيح على شرط مسلم ، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا : « **إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين** » .

وفي رواية أبي الفضل الهروي في ذم الكلام وأهله : « **لأنا أخوف عليهم من الأئمة المضلين منِّي مِنَ الدَّجَّال** » .

وقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « احذروا زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم » . أخرجه أبوداود (٤٦١١) بسند صحيح ، موقوف عليه.

وأخرج أبوشامة في الباعث على إنكار البدع عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « أنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى » .

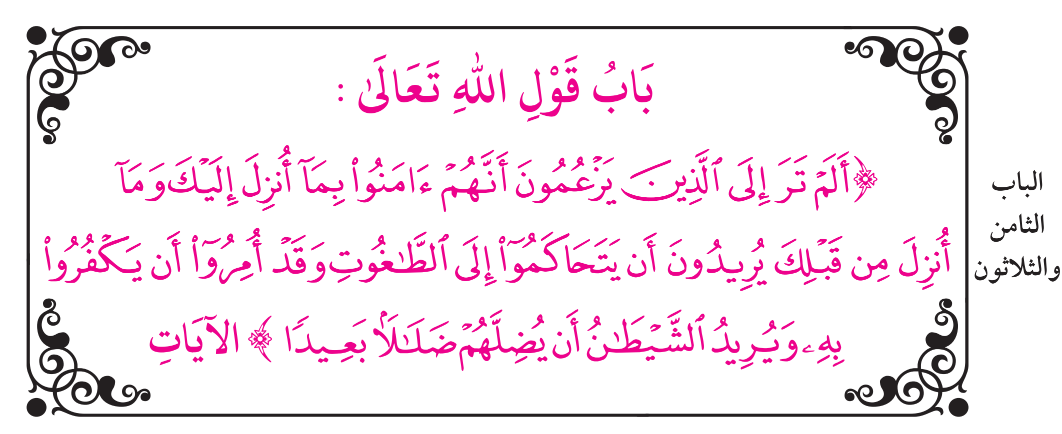
وقال عبدالله بنُ المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها (١)

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللَّهُ : أكثرُ مُشَيِّدي أوثان المقامات والمزارات وعابديها مِن العامة لا الملوك ولا العلماء ولا العباد .

الباب الثامن والثلاثون



بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ الآيَاتِ

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ (١٥٧) قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وَقَوْلِهِ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ (١٥٨) يَبْغُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] الآيَةَ .

---

(١٥٧) المفسدون في الأرض :

هم من دعوا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ ، وقد بعث الله محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله به .

(١٥٨) حكم الجاهلية :

قال الشيخ صالح بنُ فوزان : قد سمى الله كل حكم يخالف حكمه بأنه حكم الجاهلية ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير الناهي

عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعًا يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير . اهـ .

ومثل قانون التتار هذا : القوانين الوضعية التي جعلت اليوم في كثير من الدول هي مصادر الأحكام وألغيت من أجلها الشريعة الإسلامية إلا فيما يسمونه بالأحوال الشخصية [ومثله : أحكام البادية من عوائدهم] [١] .

وعلق الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ على قول ابن كثير هذا بقوله : وهذا شيء بدهي معلوم من الإسلام بالضرورة لا يعذر أحد بجهله أيا كانت منزلته من العلم أو الجهل ومن الرقي أو الانحطاط [٢] .

وقال ابنُ كثير حول التشريع من دون الله :

... وفي هذا كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد ابن عبدالله خاتم الأنبياء ﷺ وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر . فكيف بمن تحاكم إلى الياسق [ونحوه] [٣] وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين .

---

(١) زيادة من مصححه . ورَاجع : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صفحة (٧٩-٥٠) .

(٢) رَاجع كلمة الحق صفحة (٦٧) .

(٣) زيادة من مصححه . ورَاجع : البداية والنهاية (١٣/ ١١٩) .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **لَا يُؤْمِنُ** (١٥٩) **أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ** » .

---

(١٥٩) المُرجِئة :

مأخوذ من الإرجاء بمعنى التأخير .

قيل في تسمية هؤلاء بالمرجئة أنهم : يقدّمون الإيمان ويؤخّرون العمل ، فالإيمان عندهم عبارة عن مجرّد الإقرار بالقول وإن لم يكن مصاحبًا للعمل ، فأخذوا منه جانب القول وطردوا جانب العمل ، فاشتهروا بالمرجئة أي المؤخرة .

شعارهم : لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

أصل الإرجاء هو : التوقف أو ترك الكلام في حق بعض الصحابة ، لكن نسي الإرجاء بهذا المعنى وأخذ أصل آخر مكانه ، وهو تعريف الإيمان بالإقرار دون العمل ، أو المعرفة القلبية دون القيام بالأركان .

خطر المرجئة على أخلاق المجتمع :

إنّ تجريد الإيمان من العمل فكرة خاطئة تسير بالمجتمع - وخصوصًا الشباب - إلى الخلاعة والانحلال الأخلاقي ، بحجّة أنه يكفي في اتّصاف الإنسان بالإيمان وانخراطه في مسلك المؤمنين الإقرار باللسان أو الإذعان بالقلب ولا يحتاج بعد ذلك إلى شيء من الأعمال كالصوم والصلاة ، كما لا يضره شرب الخمر وفعل المنكرات .

وفي الفتاوى والبيانات التي صدرت من (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) في التحذير من ظاهرة الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه :

مقالة المرجئة الذين يُخْرِجُون الأعمال عن مُسَمَّى الإيمان ، ويقولون :

قَالَ النَّوَوِيُّ : « حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ « الْحُجَّةِ » بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ » .

الإيمان هو التصديق بالقلب ، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط ، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط ، وليست منه ، فمن صدَّق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم ، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات ، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرًا قط ، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة ، منها : حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي .

ولا شك أن هذا قولٌ باطلٌ وضلالٌ مبينٌ مخالفٌ للكتاب والسنة ، وما عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا ، وأنَّ هذا يفتح بابًا لأهل الشرِّ والفساد ، للانحلال مِنَ الدين ، وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية مِنَ الله سبحانه ، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويسوي بين الصالح والطالح ، والمطيع والعاصي ، والمستقيم على دين الله ، والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه ، مادام أن أعمالهم هذه لا تخلّ بالإيمان كما يقولون .

ولذلك اهتم أئمة الإسلام - قديمًا وحديثًا - ببيان بطلان هذا المذهب ، والرَّد على أصحابه وجعلوا لهذه المسألة بابًا خاصًّا في كتب العقائد ، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة ، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية : (ومن أصول أهل السنة والجماعة : أنَّ الدين والإيمان قولٌ وعملٌ ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : « كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ (١٦٠) وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ

وقال في كتاب الإيمان : (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية واتباع سنة ، وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح) .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لمَّا أخرجوا العمل من الإيمان ، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم ، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة) .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة ، وهذا طريق أهل البدع) . انتهى .

(١٦٠) المنافق وحكمه :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١] . في هذه الآية بين الله تعالى أن هذه صفة المنافقين ، وأن من فعل ذلك أو طلبه ، وإن زعم أنه مؤمن فإنه في غاية البعد عن الإيمان .

قال العلامة ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا دليلٌ على أن من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين . اهـ .

المنافق : يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى ، ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان . كما هو واقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة

....

العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان، ومن تدبر ما في التاريخ وما وقع منهم من الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديما وحديثا، وقد حذر الله نبيه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم، وحضه على جهادهم بالقرآن والسنة في مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، [التحريم: ٩].

وفي قصة عُمر رضي الله عنه، وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب ابن الأشرف اليهودي دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب ابن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذى له، والإظهار لعداوته فانتقض به عهده، وحل به قتله.

ففي قصة عُمر هذه حكم المنافق إذا أظهر نفاقه قتل، لأن النبي ﷺ إنما ترك قتل مَن أظهر نفاقه منهم تأليفًا للناس، فإنه ﷺ، قال: «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**». وأخرجه البخاريُّ (٣٥١٩، ٤٩٠٥، ٤٩٠٧) ومسلمٌ (٢٥٨٤/ ٦٣) من حديث عَمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

وفيها أيضًا: أن من طعن في شيء من الدين، أو في أحكام النبي ﷺ قتل، وأن معرفة الحق لا تكفي عن العمل والانقياد؛ فإن اليهود يعلمون أن محمدًا رسول الله، ويتحاكمون إليه في كثير من الأمور.

قال أبو عَمرو - غفر الله له -: هذه القصة ذكرها أهل التفسير والسير، وجمع رواياتهم الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/ ٣٧-٣٨) وتكلم عليها جميعًا، ثم قال: وهذا الإسناد وإن كان ضعيفًا لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد.

خُصُومَةٌ ؛ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ (١٦١) : نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ - عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ - وَقَالَ الْمُنَافِقُ : نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ - لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ

---

(١٦١) اليهودي :

الهودُ : التوبة ، هاد يهودُ ، وتهودَّ : تاب ورجع إلى الحق .

قال تعالى : ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف : ١٥٦] ، أي : تبنا إليك ورجعنا ، والتهود : التوبة والعمل الصالح .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة : ٦٢] . وسميت اليهودُ اشتقاقا من هادوا ، أي تابوا ، ويهودُ : اسم قبيلة ، وقيل : إنما اسم هذه القبيلة يهوذ فعرب بقلب الذال دالًا ، فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون .

* الكتابي :

إذا أُطلِق لفظ (أهل الكتاب) فإنه يُقصد به : اليهود والنصارى ، وقد يُقصد به : اليهود بحسب السياق .

واليهود والنصارى المعاصرون هُم مِن أهل الكتاب والمقصود بِكتابهم : التوراة والإنجيل ، والتوراة والإنجيل وإن دَخلها النقص والتحريف والتغيير والتبديل ، إلاّ أنهم يُنْسَبون إليها ، باعتبار الأصل .

* النصراني :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة : ٦٢] .

ناصرة ونصورية ونصران : قرية بالشام والنصارى منسوبون إليها ، ولكن لا يستعمل إلا بياء النسب فيقال : رجل نصراني وامرأة نصرانية ، ويقال : ناصرة ، وعلى هذا فالياء للنسب .

الرِّشْوَةَ - فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَانِ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ [النساء : ٦٠] الآيَةَ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ. فَقَالَ - لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ -: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ.

• **فِيهِ مَسَائِلُ:**

اَلْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

اَلثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيَةَ.

اَلثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾.

اَلرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾.

اَلْخَامِسَةُ: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْأُولَى.

اَلسَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.

اَلسَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْمُنَافِقِ.

اَلثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

* * *



الباب التاسع والثلاثون

بَابُ
مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (١٦٢)

(١٦٢) الجَهْمِيّة :

سمة الجهمية : القول بالجبر والتعطيل .

وصاحب المذهب : هو الجعد بن درهم ، وناشره : هو جهم بن صفوان مولى راسب ، أظهر بدعته بترمذ ، وقتله سلم بنُ أحوز بمرو في آخر دولة بني أُميّة .

قال الذهبي في الميزان : جهم بن صفوان أبومحرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا لكنّه زرع شرًا عظيمًا . اهـ .

قال الجرجاني في التعريفات : الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان . قالوا : لا قدرة للعبد أصلًا لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات ؛ والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى . اهـ .

وفي الموسوعة العربية العالمية :

الجَهْميَّة فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في أواخر دولة بني أمية بعد ظهور القَدَريّة الأولى والمعتزلة . أنشأها جَهْم بن صفوان السمرقندي أبومحرز ، من موالي بني راسب المتوفى عام ١٢٨هـ ، ٧٤٥م ، فنسبت إليه .

وتُسمَّى أيضًا الجبرية . وقد ظهرت في مقابل الذين أفرطوا في نفي (القدر) فأفرطت هي كل الإفراط .

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الرعد : ٣٠] الآيَةَ .

فمن معتقدات الجهمية :

الجبر ونفي الاستطاعة .

ومنهم الجبرية الخالصة في مقابل غير الخالص منها .

تعطيل ذاته سبحانه عن الاتصاف بصفات الجلال والجمال ، ومن هنا نجمت المعطّلة .

وأنَّ الجنة والنار تفنيان .

والإيمان عندهم هو المعرفة فقط دون سائر الطاعات ، وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله . وإن الإنسان مجبر على أعماله ، أي أنه مسيَّر لا مخير ؛ لأن الله قدّر عليه هذه الأعمال تقديرًا ، كذلك فالإنسان لا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبر في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق سائر الجمادات وينسب إليه الأفعال مجازًا ؛ كما تنسب إلى الجمادات .

وإذا كانت الأفعال جبرًا ، فكذلك الثواب والعقاب يكون جبرًا أيضًا . فالله هو الذي يقدر لشخص من الأشخاص أن يفعل الخير ويقدر له أن يُثاب ، والله هو الذي يقدر لشخص آخر أن يفعل الشر ، ويقدر عليه أن يعاقب وهذه خلاصة معتقدهم .

وقد غالى بعضهم ، فقال إن حركات العبد بمنزلة حركات الأشجار إذا هبت عليها الريح . اهـ .

ولمّا كان نفي الصفات عن الله والقول بخلق القرآن ونفي الرؤية ممّا نسب إلى منهج الجهم ، صار لفظ الجهمي رمزًا لكلِّ من قال بأحد هذه الأُمور ، وإن

كان غير قائل بالجبر ونفي القدر ، ولأجل ذلك ربّما تطلق الجهمية ويراد بها المعتزلة أو القدرية .

وسُئلَ الشيخ عبدالرحمن بنُ حسن بنِ محمد بنِ عبدالوهاب عن الجهمية والرافضة والمعتزلة ، فقال :

فلا ريب أن هذه الفرق الثلاث هي أصل ضلال من ضل من الأمة فأصل الرافضة خرجوا في خلافة أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فلما اطلع على سوء معتقدهم ، خدَّ الأخاديد ، وجعل فيها الحطب ، وأضرمها بالنار ، فقذفهم فيها ؛ وهم الذين أحدثوا الشرك في صدر هذه الأمة بنوا على القبور وعمت بهم البلوى ولهم عقائد سوء يطول ذكرها .

وأما المعتزلة ، فأولهم : نفاة القدر ، جحدوا أصلًا من أصول الإيمان ، الذي في سؤال جبرائيل للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . وأنكر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عليهم ما أحدثوا من هذه البدعة ، ولهم عقائد سوء ؛ يقولون بتخليد أهل المعاصي في النار ، ونفوا صفات الرب تعالى ، ووافقوا الجهمية ، فخرج أولهم في عصر التابعين ، وأولهم الجعد بن درهم ، فأنكر الصفات ، وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، فضحى به خالد بن عبدالله القسري أمير واسط يوم الأضحى ؛ وظهر بعده جهم بنُ صفوان الذي تنسب إليه الجهمية ، وهذا المذهب الخبيث انتشرت مقالته في خلافة بني العباس ، في خلافة المأمون بن الرشيد ، فعطلوا الصفات ، ونفوا الحكمة ، وقالوا بالجبر .

أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ » ؟

فهذه الطوائف الثلاث هم أصل الشر في هذه الأمة ، وصارت فتنة الجهمية أكثر انتشارًا ، ودخل فيها من يدعي أنه على السنة ، وليس كذلك ، فخالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وأئمتها ، وعم ضررهم فجحدوا الصفات ، وتوحيد الألوهية الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ؛ فهم خصوم أهل التوحيد والسنة إلى اليوم ، فإياكم أن تغتروا بمن هذه حاله – ولو كان له صورة ودعوى في العلم – ممن امتلأ قلبه من فرث التعطيل ، وحال بينه وبين فهم الأدلة الصحيحة الصريحة شبهات التأويل .

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ : أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس .

فصنف المتأخرون من هؤلاء على مذهبهم الفاسد مصنفات : كالأرجوزة التي يسمونها (جوهرة التوحيد) وفيها إلحاد وتعطيل لا يجوز النظر إليها ، ولهم مصنفات أخرى نفوا فيها عُلو الرب تعالى ، وأكثر صفات كماله نفوها ، ونفوا حكمة الرب تعالى .

والكتاب والسنة يردان بدعتهم ويبطلان مقالتهم ، فإن الله تعالى أثبت استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه [الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، طه : ٥ ، الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤ ، الحديد : ٤] كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ [المعارج : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] ،

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] ، إلى غير ذلك من أدلة الصفات الصريحة في الكتاب والسنة ولا يتسع المقام لذكرها .[1]

أنكر العلماءُ بدعة الجهمية ، وكفَّروا جهمًا ومن تبعه على بدعته ، منهم : سفيان الثوري ، وأبوحنيفة ، والإمام مالك ، وخلق كثير من أهل الحديث والفقه . وممن صنف في الرد عليهم : الإمام أحمد ، وابنه عبدالله ، وعثمان ابنُ سعيد الدارمي ، وأبوبكر المروزي صاحبُ الإمام أحمد ، وابنُ خزيمة في كتاب التوحيد له ، واللالكائي في كتاب السنة ، وأبوعثمان الصابوني ، وخلق كثير .

وبعض العلماء ضمَّن كتابه الرد عليهم كالبخاري وغيره من أئمة الحديث ، وممن رد عليهم شيخ الإسلام أبوإسماعيل الأنصاري في كتاب الفاروق له ، وصنف شيخ الإسلام ابنُ تيمية كتاب العقل والنقل في الرد على الجهمية والفلاسفة .

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية في الفتاوى الكبرى :

البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة : كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة ؛ فإن عبدالله بنَ المبارك ويوسف بنَ أسباط وغيرَهما قالوا : أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع : الخوراج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة .

(١) رَاجع : المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد صفحة (١٦٢-١٦٣) ، وأيضا : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية .

قيل لابن المبارك : فالجهمية ؟ قال : ليست الجهمية من أمة محمد ﷺ ، والجهمية نفاة الصفات الذين يقولون : القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة ، وأن محمدًا لم يعرج به إلى الله ، وأن الله لا علم له ولا قدرة ولا حياة ، ونحو ذلك كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم .

وقد قال عبدالرحمن بن مهدي : هما صنفان فاحذرهما : الجهمية والرافضة فهذان الصنفان شرار أهل البدع ومنهم دخلت القرامطة الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية ومنهم اتصلت الاتحادية فإنهم من جنس الطائفة الفرعونية .

والرافضة في هذه الأزمان مع الرفض جهمية قدرية فإنهم ضموا إلى الرفض مذهب المعتزلة ثم قد يخرجون إلى مذهب الإسماعيلية ونحوهم من أهل الزندقة والاتحاد ، والله ورسوله أعلم . انتهى كلام شيخ الإسلام .

* القَدَرِيّة :

القدرية طوائف كثيرة منهم الغلاة ، ومنهم المتوسطون . وقولنا عنهم قَدَرِيَّة ، نعني به أنهم نفاة القَدَرْ ، ننسبهم للقدر ؛ منهم من نفى العلم ومنهم من نفى عموم المشيئة ، أو عموم خلق الله عَزَّ وَجَلَّ لكل شيء .

والقدرية الذين ينفون القَدَرْ كالمعتزلة والرافضة وأشباه هؤلاء والزيدية كل هؤلاء يُنَزِّهُون ويقولون : إنَّ مشيئة الله لا تدخل في معصية العاصي ولا في كفر الكافر ، فإنَّ كفر الكافر ومعصية العاصي هذه لم يشأها الله عَزَّ وَجَلَّ أن تقع وإنما شاءها العبد وهي مكروهة لله استدلالًا بقوله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر : ٧] .

....

والصواب في ذلك أنه ما من شيء يقع إلا بإذن الله ، وإلا فيكون الله تعالى يقع في ملكه ما لم يأذن به ، وهذا وَصْفٌ لله تعالى بالنقائص .

بل عموم قدرة الله تعالى وقوته وملكوته وجبروته وقهره وملكه لهذا الملكوت تدل على أنه لا يحصل شيء إلا بعلمه سبحانه وبإذنه ومشيئته لكن له حكمة في أن يقع هذا الشيء .

فقتل القتيل ظلمًا وقَعَ بمشيئة الله الكونية لكنه لم يأذن به شرعًا بل نهى عنه ، اقتحام الكعبة والمسجد الحرام وإسالة الدم فيه لم يقع بإذن الله الشرعي ولكنه وقع بإذن الله الكوني .

فيجتمع في إذن الله الكوني الطاعات والمعاصي ، المحمود والمذموم ، الشر والخير .

وأما إذن الله الشرعي وإرادة الله الشرعية فهي ما أَمَرَ الله تعالى به .

وأما ما نهى عنه فإنه لم يُرِدْهُ شرعًا .

وهذا بيان مهم في التفريق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية .

والناس في القَدَر الذين خالفوا أهل السنة والجماعة ، لهم فِرَق كثيرة وهذه الفرق ترجع إلى فرقتين : الأولى القدرية . الثانية الجبرية .

ويُعنى بالقدرية : الذين أنكروا القدر ، إما أنكروا كل المراتب ، أو أنكروا بعض مراتب القَدَر .

ويُعنى بالجبرية : الذين يزعمون أنَّ الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور .

أولًا : **القدرية** : الفرقة الأولى : هم الغلاة الذين كانوا يُنكرون عِلمَ الله تعالى السابق فيقولون : إنَّ الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر

....

أُنُف ، يعني مستأنف جديد غير معلوم وغير مُقَدَّر له قبل ذلك كما كان يقول معبد الجُهَنِي وغيلان الدمشقي وجماعة من المبتدعة الأولين .

وهـؤلاء هـم الذيـن كفَّرَهُـم الصحابـة كابـن عُمـر وابـن عبـاس وغيـر أولئك ، وذلـك لأنهم أنكروا مرتبـة العلم والله أثبـت عِلْمَهْ ، فمعنى ذلك أنهم ردُّوا حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين .

وهؤلاء هم الذين قال فيهم السلف : ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصِمُوا وإن جحدوه كفروا .

وهذه الفرقة ذهبت ولا يُعْرَفْ أنها عَقَّبَتْ وارثًا في الأعْصُر المتأخرة .

الفرقة الثانية : وهم القدرية المتوسطة : المعتزلة والشيعة الرافضة والزيدية ومن نحا نحو أولئك .

وهؤلاء لا يُنكِرُونَ جميع المراتب ؛ ولكن يُنكِرُونَ بعض الأشياء في بعض المراتب .

فيقولون : إنَّ المشيئة ثابتة لكن ليست عامّة .

ويقولون : إنَّ الخلق ثابت ولكن ليس عامًّا .

وسُمُّوا بالقدرية لأنهم ينفون بعض مراتب القدر .

وهذه الفرقة باقية إلى الآن المعتزلة والزيدية والرافضة موجودة في أمصار كثيرة من بلاد المسلمين .

فالقدرية لفظٌ يصح إطلاقه على كل من لم يؤمن بالقدر على ما جاء في الكتاب والسنة بِنَفْي لشيء منه . ولهذا يدخل في القدرية من اعترض على القَدَرْ ، أو على أفعالِ الله تعالى أو على الحكمة وقد قال فيه شيخ الإسلام ابن

تيمية في تائيته القدرية :

وَيُدْعَى خُصُومُ اللهِ يَوْمَ مَعَادِهِم   إلى النَّارِ طُرًّا مَعْشَرَ الْقَدَرِيَةِ

يعني يا معشر القدرية هَلُمُّوا إلى النار جميعًا ، سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة ؛ فجعل نفي شيء من القَدَرْ يُدْخِلُ صاحبه في القَدَرِيَّة ، وجعل أيضًا المخاصمة والمجادلة كحال المشركين القدرية الذين قالوا ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، هؤلاء يدخلون في القدرية لأنهم نفوا حكمة الله تعالى التي هي أساسٌ في القول بالقَدَرِ كما جاء في القرآن وسنة النبي ﷺ .

مراتب القدر : أربع ، لا بد من الإيمان بها ، فمن لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر .

الأولى : العلم ، علم الله بالأشياء قبل كونها ، الله يعلم ما كان في الماضي ، وما يكون في الحاضر والمستقبل ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

والثانية : الكتابة ؛ كتابة الأشياء في اللوح المحفوظ بالذوات والصفات ، كل شيء مكتوب .

والثالثة : الإرادة والمشيئة ، كل شيء في هذا الكون ؛ كل شيء يقع في هذا الكون لا بد أن تكون سبقت به إرادة الله ومشيئته .

والرابعة : الخلق والإيجاد ، أن الله خالق ذات كل شيء وصفته .

هذه مراتب القدر : العلم ، والكتابة ، والإرادة ، والخلق .

من لم يؤمن بهذه المراتب الأربع لم يؤمن بالقدر .

الفرقة الأولى من القدرية هم الذين أنكروا المرتبتين الأوليين ، قالوا : إن

الله تعالى لم يسبق علمه بالأشياء قبل كونها ، وأنكروا كتابتها ؛ أي في اللوح المحفوظ ، وهم الذين خرجوا في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وهم الذين خرجوا في البصرة : غيلان الدمشقي ومعبد الجهني ، فجاء حميد الطويل وصاحبه معمر من البصرة ، وقالوا : لو وفق لنا أحد أصحاب رسول الله ﷺ لسألنا عن هؤلاء ، قال : فخرجنا حاجين ، فوفق لنا عبدالله بن عمر - الصحابي - ، قال : فاكتنفته أنا وصاحبي ، وظننت أنه سيكل الحديث إلي ، فقلنا له : أبا عبدالرحمن ، إنه ظهر قِبَلَنا - يعني في البصرة - قوم يتقفرون العلم - يعني يطلبون العلم - ويزعمون أن الأمر أُنُف - يعني : مستأنف وجديد ، لم يسبق به علم الله ، يقولون : إن الله ما يعلم بالشيء حتى يقع ، نسبوا الله إلى الجهل - فقال ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنِّي منهم بريءٌ ، وأنهم مني برآء ، والذي نفس ابنِ عُمر بيده ، لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » . ثم ساق حديث عُمر من حديث جبريل في سؤاله النبي ﷺ عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن الساعة وعن أماراتها ؛ فلما سأله عن الإيمان ، قال : « **الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . وهذا أول حديث في صحيح الإمام مسلم .

هؤلاء القدرية الأولى كفَّرهم العلماء ، وقالوا : إنهم من الاثنتين والسبعين فرقة لأنهم أنكروا علم الله بالأشياء قبل وقوعها ، هم نسبوا الله إلى الجهل ، فهم كفار ، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي : ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن أنكروه كفروا . وهذه الطائفة الأولى انقرضت .

....

الفرقة الثانية من القدرية : القدرية المتوسطة ، الذين أثبتوا علم الله بالأشياء وكتابته له في اللوح المحفوظ ، ولكنهم أنكروا عموم الإرادة والمشيئة ، وعموم الخلق والإيجاد ، فقالوا : إن الله قدر كل شيء ، وأراد كل شيء ؛ إلا أفعال العباد ما أرادها ولا قدرها من الطاعات والمعاصي ، وقالوا : إن الله خالق كل شيء من الذوات والصفات إلا أفعال العباد لم يخلقها ؛ بل العباد هم الذين خلقوها بأنفسهم استقلالًا . لشبهة عرضت لهم ، يقولون : لو قلنا إن الله خلق المعاصي وعذب عليها لصار ظالمًا .

ففرارًا من ذلك قالوا : إن الله ما خلق المعاصي ولا الطاعات ، فالعبد هو الذي خلق الطاعة يجب على الله أن يثيبه ؛ يستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجره ، وإذا فعل المعصية يجب على الله أن يعذبه ويخلده في النار . ولزمهم على هذا فظائع ، لزمهم : أن يقع في ملك الله ما لا يريد ، وأن مشيئة العاصي تغلب مشيئة الله .

والله تعالى خلق المعاصي لحكم وأسرار ، لولا خلق الله للمعاصي والكفر فاتت عبوديات محبوبة لله :

عبودية الجهاد في سبيل الله ، عبودية الولاء والبراء ، عبودية الدعوة إلى الله ، عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبودية الحب في الله والبغض في الله ، لو كان الناس كلهم من أين هذه العبوديات ؟!

والذي ينسب إلى الله إنما هو الخلق والإيجاد ، المبني على الحكمة ، وهذا هو معنى قول النبيّ ﷺ ، في الحديث الصحيح : « **والشر ليس إليك** » . أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٥) من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

....

صلة بن زفر، عن حذيفة، في تفسير المقام المحمود. وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. اهـ. يعني الشر المحض الذي لا حكمة في تقديره ليس إلى الله.

فهذه الطائفة من القدرية مبتدعة وهؤلاء ليسوا كفارًا وإنما هم مبتدعة من أجل الشبهة التي حصلت لهم، لأنهم متأولون، والمراد بالقدرية هم هؤلاء بخلاف القدرية الأولى الذين أنكروا علم الله السابق. والله أعلم.

* المُعَطِّلَة:

المعطلة: اسم للجهمية ثم أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية في نفي الصفات وتعطيلها وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة.

قال الشيخ صالح بنُ فوزان - حفظه الله تعالى -:

(فهؤلاء نفوا عن الله ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات الكمال، زاعمين أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم؛ فهم على طرفي نقيض مع المشبهة.

ومذهب التعطيل مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الإسلام هو الجعد بنُ درهم في أوائل المائة الثانية ثم أخذ هذا المذهب الخبيث عنه الجهم بنُ صفوان وأظهره، وإليه نسبت الجهمية، ثم انتقل هذا المذهب إلى المعتزلة والأشاعرة. فهذه أسانيد مذهبهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة!.

وهم في هذا التعطيل متفاوتون: فالجهمية ينفون الأسماء والصفات.

والمعتزلة يثبتون الأسماء مجردة عن معانيها وينفون الصفات . والأشاعرة يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط هي : العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وينفون بقية الصفات .

وشبهة الجميع فيما نفوه من الصفات أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم بزعمهم ؛ لأنه لا يشاهد موصوف بها إلا هذه الأجسام ، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ؛ فتعين نفي الصفات وتعطيلها تنزيهًا لله عن التشبيه بزعمهم ، ولهذا يسمون من أثبتها مشبها .

ووقفوا من النصوص الدالة على إثباتها موقفين :

الموقف الأول : الإيمان بألفاظها وتفويض معانيها ؛ بأن يسكتوا عن تفسيرها ويفوضوه إلى الله مع نفي دلالتها على شيء من الصفات ، وسموا هذه الطريقة طريقة السلف ، وقالوا هي الأسلم .

الموقف الثاني : صرف هذه النصوص عن مدلولها المعلوم إلى معان ابتدعوها ، وهذا ما يسمونه بالتأويل ، وسموه طريقة الخلف ، وقالوا هي الأعلم والأحكم .

وللرد على شبهتهم نقول :

لا ريب أن التمثيل قد نطق القرآن الكريم بنفيه عن الله تعالى ؛ كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٦٥] ، وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وقوله : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة : ٢٢] ، وقوله : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل : ٧٤] ، لكن مع نفيه سبحانه عن نفسه مشابهة المخلوقين أثبت لنفسه

....

صفات الكمال كما في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فجمع في هذه الآية الكريمة بين نفي التشبيه عنه ، وأثبت لنفسه صفتي السمع والبصر ، فدل على أن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه ؛ إذ لا تلازم بينهما .

وهكذا في كثير من آيات القرآن الكريم نجد إثبات الصفات مع نفي التشبيه جنبا إلى جنب ، وهذا هو مذهب السلف الصالح ؛ يثبتون لله صفات الكمال ، وينفون عنه التشبيه والتمثيل .

ومن زعم أن إثبات الصفات لا يليق بالله لأنه يقتضي التشبيه ؛ فإنما جره إلى ذلك سوء فهمه ؛ حيث فهم أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه ، فأداه هذا الفهم الخاطيء إلى نفي ما أثبته الله ﷻ لنفسه ، فكان هذا الجاهل مُشبِّهًا أولًا ومُعطِّلا ثانيًا ، وارتكب ما لا يليق بالله ابتداءً وانتهاءً ، ولو كان قلبه طاهرًا مِن أقذار التشبيه ؛ لكان السابق إلى فهمه أن صفات الله ﷻ بالغة من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق التشبيه والمشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوقين ، فيكون قلبه مستعدًا للإيمان بصفات الله على وجه يليق به ، مع تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين .

أما من توهم أن صفات الله تشبه صفات المخلوقين ؛ فإنه لم يعرف الله حق معرفته ولم يقدره حق قدره ، ولهذا وقع فيما وقع فيه من ورطة التعطيل ، وصار يسمي من أثبت لله صفات الكمال ونزهه عن صفات النقص على مقتضى الكتاب والسنة ؛ صار يسميه مشبهًا ومجسمًا ؛ نظرًا لما قام بقلبه من توهم أن صفات الله تشبه صفات خلقه ، ولم يدر أن هذا الوصف أليق به ؛ فهو الذي

....

شبه أولًا ، ثم عطل ثانيًا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

والتعطيل أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها ، وهو ثلاثة أقسام - كما يقول الإمام ابن القيم - : تعطيل المصنوع عن خالقه .

وتعطيل الخالق - سبحانه - عن كماله المقدس ، بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .

والنوع الأول والثاني من أنواع التعطيل من الشرك في الربوبية ، ومن هذا شرك طائفة أهل أحدية الوجود ، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم ، ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب - تعالى - وأوصافه ، وأفعاله ، من غلاة الجهمية والقرامطة . اهـ .

وقيل المعطلة : هم الذين يزعمون أن الأشياء كائنة من غير تكوين ، وأنه ليس لها مكون ولا مدبر .

وقيل المعطلة : هم الذين لا يثبتون الباري ﷻ .

فالتعطيل هو نفي الخالق ، أو نفي شيء من صفات الربوبية ، أو عدم القيام بما يجب له من العبادة .

وقد رد عليهم كبار الأئمة أمثال الإمام أحمد وابنُ خزيمة وابنُ تيمية وابنُ القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) .

❋ المُعْتزِلة :

فرقة[1] نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي

---

(١) كتبت هنا : (فرقة إسلامية نشأت .. إلخ) ؛ فشطب المصحح - حفظه الله - على كلمة (إسلامية) ، ثم كتب في الهامش : لا ينسب للإسلام إلا ما نزل به الوحي . وإن كان لابد من وصفها ، يقال : فرقة من هذه الأمة . فمن هذه الأمة المهتدي والضال . اهـ .

وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم صحيح الاعتقاد لتأثرها ببعض الفلسفات[1] مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة .

وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها : المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقصد والوعيدية .

اختلفت رؤية العلماء في ظهور الاعتزال واتجهت هذه الرؤية وجهين :

الوجهة الأولى : أن الاعتزال حصل نتيجة النقاش في مسائل عقدية دينية كالحكم على مرتكب الكبيرة ، والحديث في القدر ، بمعنى هل يقدر العبد على فعله أو لا يقدر ، ومن رأي أصحاب هذا الاتجاه أن اسم المعتزلة أطلق عليهم لعدة أسباب :

١- أنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين .

٢- أنهم عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بنُ عطاء حلقة الحسن البصري واتخذ حلقة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل .

٣- أنهم قالوا بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته .

الوجهة الثانية : أن الاعتزال نشأ بسبب سياسي حيث أن المعتزلة من شيعة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اعتزلوا الحسن عندما تنازل لمعاوية ، أو أنهم وقفوا موقف الحياد بين شيعة عليّ ومعاوية فاعتزلوا الفريقين .

أما القاضي عبد الجبار الهمذاني - مؤرخ المعتزلة - فيزعم أن الاعتزال ليس مذهبًا جديدًا أو فرقة طارئة أو طائفة أو أمرًا مستحدثًا ، وإنما هو استمرار

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللَّهُ : كل الفلسفات مستوردة وكلها ضالة .

....

لما كان عليه الرسـول ﷺ وصحابته ، وقد لحقهم هذا الاسـم بسبب اعتزالهم الشر ، لقوله تعالى ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ﴾ [مريم : ٤٨] .

والواقع أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمباديء فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية .

من أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء وحتى اندثارها وتحللها في المذاهب الأخرى كالشيعة والأشعرية والماتريدية ما يلي :

١ - أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة والمناظر عنها ، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ، طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة وخلطه بكلام المعتزلة ، فقد تأثر بأرسطو وأنبادقليس من فلاسفة اليونان ، وقال بأن (الله عالم بعلم وعلمه ذاته ، وقادر بقدرة وقدرته ذاته ...) ، وتسمى طائفة الهذيلية .

٢- إبراهيم بن يسار بن هانيء النظام ، كان في الأصل على دين البراهمة وقد تأثر أيضًا بالفلسفة اليونانية مثل بقية المعتزلة ، وقال : بأن المتولدات من أفعال الله تعالى ، وتسمى طائفة النظامية .

٣- بشر بن المعتمر من علماء المعتزلة ، وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه فقال : إن كل المتولدات من فعل الإنسان فهو يصح أن يفعل الألوان والطعوم والرؤية والروائح ، وتسمى طائفة البشرية .

٤- معمر بن عباد السلمي من أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر خيره وشره عن الله ، وتسمى طائفة المعمرية .

....

٥- عيسى بن صبيح المكنَّى بأبي موسى الملقب بالمردار ، كان يقال له راهب المعتزلة ، وقد عرف عنه التوسع في التكفير حتى كفر الأمة بأسرها بما فيها المعتزلة وتسمى طائفته المردارية .

٦- ثمامة بن أشرس النميري كان جامعًا بين قلة الدين وخلاعة النفس ، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق[١] وقيل إنه الذي أغرى المأمون ودعاه إلى الاعتزال وتسمى طائفته الثمامية .

٧- عمرو بن بحر أبوعثمان الجاحظ وهو من كبار كتاب المعتزلة ، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة ، ونظرًا لبلاغته في الكتابة الأدبية استطاع أن يدس أفكاره المعتزلية في كتاباته كما يدس السم في الدسم مثل ، البيان والتبيين ، وتسمى فرقته الجاحظية .

٨- أبوالحسين بن أبي عمر الخياط من معتزلة بغداد وبدعته التي تفرد بها قوله بأن المعدوم جسم ، والشيء المعدوم قبل وجوده جسم ، وهو تصريح بقدم العالم ، وهو بهذا يخالف جميع المعتزلة وتسمى فرقته الخياطية .

٩- القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني من متأخري المعتزلة ، قاضي قضاة الرَّي وأعمالها ، وأعظم شيوخ المعتزلة في عصره ، وقد أرخ للمعتزلة وقنن مبادئهم وأصولهم الفكرية والعقدية .

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهم أول وآخر من أمر العلماء بهذه البدعة وألزمهم بها وقتل وجلد وسجن عليها كما فعل الثلاثة بالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره .

المبادئ والأفكار :

جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين ، الأولى : القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل ، فهو يخلق أفعاله بنفسه ، ولذلك كان التكليف ، ومن أبرز من قال ذلك غيلان الدمشقي الذي أخذ يدعو إلى مقولته هذه في عهد عمر بن عبد العزيز حتى عهد هشام بن عبد الملك ، فكانت نهايته أن قتله هشام بسبب ذلك .

الثانية : القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا ولكنه فاسق فهو بمنزلة بين المنزلتين هذه حاله في الدنيا أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد في النار ، ولا مانع عندهم من تسميته مسلمًا باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمنًا .

ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول :

١- التوحيد . ٢- العدل .

٣- الوعد والوعيد .

٤- المنزلة بين المنزلتين .

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأرادوا بها معان أخرى غير ما جاء في الشرع .

وهذه طائفة من انحرافات المعتزلة :

تأويل الاستواء بالاستيلاء يقولون استوى على عرشه بمعنى استولى .

وتأولوا اليد بمعنى النعمة .

وقوله تجري بأعيننا أي بعلمنا .

مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين .

يقولون : أسماء الله تعالى أعلام محضة لا تتضمن أي صفة .

فهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات ، ويجعلون الأسماء من باب المترادفات ، وبعضهم يجعلها من باب المتباين لكن يصرح بنفي الصفة فيقول عليم بلا علم قدير بلا قدرة وهكذا .

ينكرون الأحاديث التي تقول أن الله ينزل إلى السماء الدنيا وأن أهل الجنة يرون ربهم .

ينكرون الصراط والميزان ؛ يقولون : ليس هناك ميزان يوم القيامة توزن به الأعمال والآثار وقالوا : المراد بالميزان العدل . قالوا : وأما الله فلا يحتاج إلى الميزان . فأنكروا الموازين قالوا : ما فيه ميزان حسي وإنما هو ميزان معنوي ؛ وهذا باطل ، والصواب أن الميزان ميزان حسي توزن فيه الأعمال ، له كفتان عظيمتان . الكفة أعظم من أطباق السماوات والأرض .

وأنكروا الصراط الحسي وقالوا : الصراط معنوي .

وأنكروا الكرسي وفزع يوم القيامة .

وأنكروا ضغطة القبر ؛ وقد ورد في السنة أن كل إنسان يموت يضمه القبر ضمة . لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بنُ معاذ ، الذي اهتز له عرش الرحمن .

أنكروا نعيم القبر وعذابه ، وقالوا : ما فيه نعيم ولا عذاب للبدن إنما النعيم والعذاب للروح ، وأنكروا سؤال منكر ونكير .

وأنكروا البعث ؛ مع أن الأحاديث واردة فيه . يقولون : هذه أخبار آحاد ما

....

يعمل بها .

أنكروا خلْق الجنة والنار ، يقولون : الجنة والنار ما هي مخلوقة الآن ، وإنما يخلقان يوم القيامة ، أما الآن فوجودهما الآن ولا جزاء عبث والعبث محال على الله ؛ وهذا من جهلهم وضلالهم ، من قال إنه عبث . الحور العين في الجنة ، والأرواح في الجنة تنعم ، وأرواح الكفار في النار ، والمؤمن إذا مات فتح له باب من الجنة يأتيه من نعيمها وروحها ، والكافر يفتح له باب من النار فيأتيه من حرها وسمومها ، والنصوص صريحة .

وأنكروا شفاعة النبيّ ﷺ للعصاة ، قالوا : العصاة يدخلون النار يخلدون فيها ما لهم شفاعة . وأنكروا نصوص الشفاعة مع أنها متواترة .

وأنكروا الحوض وكذبوا بالأخبار الواردة في ذلك .

وقالوا : لا يجوز أن يرى الله ﷻ أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة ، لا مؤمن ولا كافر – نعوذ بالله – ، وهذا كفر وضلال .

وقالوا : كلام الله مخلوق .

وقالوا : أسماء الله مخلوقة .

وقالوا : وما كان لله تعالى اسم يبقى عند عدم الخلق بلا اسم ولا صفة .

وقالوا : الظلم بالنسبة لله مثل ظلم المخلوق . شبهوا الله بخلقه ، وأما أهل السنة والجماعة فقالوا : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، كأن يُحَمِّل أحدا أوزار غيره ، أو يحرمه ثواب حسناته والظلم مقدور لله يقدر عليه ، ولكن الله تنزه عنه ، وحرمه على نفسه فقال في الحديث القدسي : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا** » .

وهل يُحرّم الله على نفسه شيئا لا يقدر عليه ؟

ويقولون : إن العبد هو الذي يخلق فعله ؛ يخلق الطاعات والمعاصي ، وإذا كان يخلق الطاعات ، ويخلق الحسنات ، فيجب على الله أن يثيب المطيع ، ويعطيه ثوابه كما يعطي الأجير أجرته ، ويجب على الله أن يعاقب العاصي فيخلده في النار .

هذا قول المعتزلة ، وهو باطل . فالله تعالى تفضل على العبد بالثواب ؛ لأنه هو الذي وفقه وهداه ، ولا يجب عليه أن يعذب العاصي فهو تحت مشيئته [فيما دون الشرك الأكبر ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨]][1] .

* الأشاعِرة :

فرقة كلامية إسلامية تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة ، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجّة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم ، لإثبات حقائق الدين على طريقة ابن كلاب .

مؤسس الفرقة هو : أبوالحسن الأشعري علي بن إسماعيل ، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ولد بالبصرة سنة ٢٥٠ ، وقيل سنة ٢٧٠هـ ، ومرت حياته الفكرية بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : عاش فيها في كنف زوج أمه أبي علي الجبائي محمد بن عبدالوهاب البصري شيخ المعتزلة في عصره ، وتلقى علومه حتى صار نائبه

(١) من قول مصححه رحمه الله .

....

وموضع ثقته ، وتزعم أبوالحسن المعتزلة أربعين سنة .

المرحلة الثانية : وفيها ثار على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه ، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يومًا ، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه ، فأعلن البراءة من الاعتزال وخط لنفسه منهجًا جديدًا يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل وفيها اتبع طريقة عبدالله ابن سعيد بن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل : الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ؛ أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل ، وفي هذه المرحلة كتب كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم والذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بنُ حنبل ، ولم يقتصر على ذلك بل خلف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدر بثمانية وستين مؤلفًا ، توفي سنة ٣٢٤ وقيل سنة ٣٣٠ هـ .

وبعد وفاة أبي الحسن الأشعري ، وعلى يد أئمة المذهب وواضعي أصوله وأركانه ، أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور ، تعدد فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده ، و ما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية على منهج واضحة أصوله الاعتقادية ، مبني على النصوص الشرعية ، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة مذهب السلف حينًا

الصِّفَاتِ ، -اسْـتِنْكَارًا لِذَلِكَ- فَقَالَ : « **مَـا فَرَقُ هَؤُلَاءِ ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ** (١٦٣) » انتَهَىٰ .

واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة حينًا ، ومن أبرز مظاهر ذلك التطور :

١- القرب من أهل الكلام والاعتزال .

٢- الدخول في التصوف ، والتصاق المذهب الأشعري به .

٣- الدخول في الفلسفة وجعلها جزء من المذهب .

ولقد تصدى شيخ الإسلام ابن تيمية لجميع المذاهب والفرق التي انحرفت عن الكتاب والسنة - ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرين منهم في كتابه القيم : درء تعارض العقل والنقل ، وفنَّد آراءهم الكلامية ، وبيَّن أخطاءهم وأكَّد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة .

(١٦٣) يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه :

روى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارا لذلك ! فقال : ما فَرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رِقَّة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه . إسناده صحيحٌ .

قال الشيخ صالح بنُ فوزان حفظه الله :

يشير ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى أناس يحضرون مجلسه من عامة الناس ؛ بأنهم إذا سمعوا شيئًا من نصوص الصفات وهي من المحكم ؛ حصل معهم فَرَق

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ . فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ .

أي : خوف وانتفضوا كالمنكرين لها ؛ فهم كالذين قال الله فيهم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران : ٧] ؛ فيدعون المحكم ويتبعون المتشابه ، ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

ونصوص الصفات من المحكم لا من المتشابه ، يقرؤها المسلمون ويتدارسونها ويفهمون معناها ولا ينكرون منها شيئا .

قال وكيع : أدركنا الأعمش وسفيان ، يحدثون بهذه الأحاديث (يعني : أحاديث الصفات) ولا ينكرونها . اهـ .

وإنما ينكرها المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ساروا على منهج مشركي قريش الذين يكفرون بالرحمن ويلحدون في أسماء الله . وقد قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ؛ فأثبت لنفسه الأسماء الحسنى ، وأمر أن يدعى بها ، وكيف يدعى بما لا يسمى به ولا يفهم معناه على زعم هؤلاء ؟ وتوعد هؤلاء الذين يلحدون في أسمائه بأنه سيجزيهم على عملهم بالعقاب والعذاب .

كما وصفهم بالكفر في قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾[الرعد : ٣٠] ؛ فلهذا كفَّر الجهمية كثير من أهل السنة .

المحكم هو : الذي يعلمه سامعه .

يجدون رقة عند محكمه أي : إذا خوطبوا بما يعلمونه ، وجدوا في قلوبهم رقة لذلك .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : عَدَمُ الْإِيمَانِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ .

اَلثَّالِثَةُ : تَرَكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ .

اَلرَّابِعَةُ : ذِكْرُ الْعِلَّةِ ؛ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرُ .

اَلْخَامِسَةُ : كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنِ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ .

* * *

ويهلكون عند متشابهه ، فإذا سمعوا في الكتاب ، أو السنة شيئًا لا تعقله عقولهم ، هلكوا عنده ، وخافوا ، وفرقوا ، وأولوا ، ونفوا ، أو جحدوا ، وهذا من أسباب الضلال[١] .

---

(١) رَاجع : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، صفحة (١٣٤ وما بعدها) .

الباب الأربعون



بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ (١٦٤) ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيَةَ

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ- : « هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ : هَذَا مَالِي ، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي » .

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : « يَقُولُونَ : لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا » .

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : « يَقُولُونَ : هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا » .

---

(١٦٤) النعمة :

قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣] .

قال ابنُ جرير الطبري : فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بالنعمة ، فذكر سفيان عن السُّدِّيّ : محمد ﷺ ، وقال آخرون : يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم وَرِثُوه عن آبائهم ، وقال مجاهد : هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب ، يعرف هذا كفار قريش ثم ينكرونه ، بأن يقولوا : هذا كان لآبائنا فورَّثونا إياه ، وقال عون بن عبدالله : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا ، وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم من رزقكم ؟ أقروا بأن الله هو الذي يرزقهم ثم ينكرونه بقولهم : رزقنا ذلك شفاعة آلهتنا .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ - بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: « **إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ**: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...** » الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ- : « وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: « هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرٍ ».

• **فِيهِ مَسَائِلُ:**

اَلْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا.

اَلثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرٍ.

اَلثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ.

اَلرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ.

* * *

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به، قال بعض السلف هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب.

الباب الحادي والأربعون



قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه -فِي الآيَةِ- : « الأَنْدَادُ (١٦٦) : هُوَ الشِّرْكُ ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : وَاللهِ وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ وَحَيَاتِي ، وَتَقُولَ : لَوْلَا كُلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَىٰ اللُّصُوصُ ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ،

---

(١٦٥) أسباب العلم :

من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ ، وأتعب نفسه في تحصيله فهو الموفق لمن شاء من عباده . كما قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء : ١١٣] .

العلمُ : هو وحي الله في كتابه ، وفي سنة رسوله ، بفهم أئمة السلف في القرون الخيِّرة (١) .

(١٦٦) الند :

الند : المثل والنظير ، وجعل الند لله : هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله ، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم .

---

(١) هذا من كلام مصححه رحمه الله .

وَقَوْلُ الرَّجُلِ : لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ . لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا ، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ » .
رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ**(١٦٧) **فَقَدْ كَفَرَ ، أَوْ أَشْرَكَ** » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ .

قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] ، قال أبوالعالية : أي عدلاء شركاء ، وقال ابن عباس : أي لا تشركوا بالله شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه ، والأنداد أي الأشباه ؛ قال قتادة : أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله ؛ وقال ابن زيد : الأنداد هي الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له ؛ وقال مجاهد : تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

حكم من يجعل لله ندًا : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢] ، قال : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان ، وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانًا ، هذا كله به شرك .

(١٦٧) حكم الحلف بغير الله :

عن ابن عُمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، قال : « **من حلف بغير الله فقد كفر ،**

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : « لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا » .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **لَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ**(١٦٨) ، **وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ .

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : « أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ : بِاللهِ ثُمَّ بِكَ . قَالَ : وَيَقُولُ : لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ . وَلَا تَقُولُوا : لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ » .

أو أشرك » . أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ١٢٥) ، وأبوداود (٣٢٥١) ، والترمذيُّ (١٥٣٥) ، والحاكمُ (١/ ٦٥ ، ١١٧) ، و (٤/ ٣٣٠) ، من طرق عن الحسن بن عبيدالله النَّخَعِيّ ، عن سعد ابن عبيدة ، قال : سمع ابنُ عُمر رجلا ، يحلف : لا والكعبة . فقال له ابنُ عُمر : إنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول .. فذكره . وقال الترمذيُّ : « هذا حديثٌ حسنٌ » .

ويكون الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر ، كما هو من الشرك الأصغر .

قال ابنُ مسعود : « لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقًا » .

والحلف بالله كاذبًا كبيرة من الكبائر لكن الشرك -وهو الحلف بغير الله- أكبر من الكبائر ، وإن كان شركا أصغر .

(١٦٨) حكم تسوية المخلوق بالخالق :

عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، قال : « **لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ، ثم شاء فلان** » . وهو حديثٌ صحيحٌ أخرجه :

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ بِأَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ .

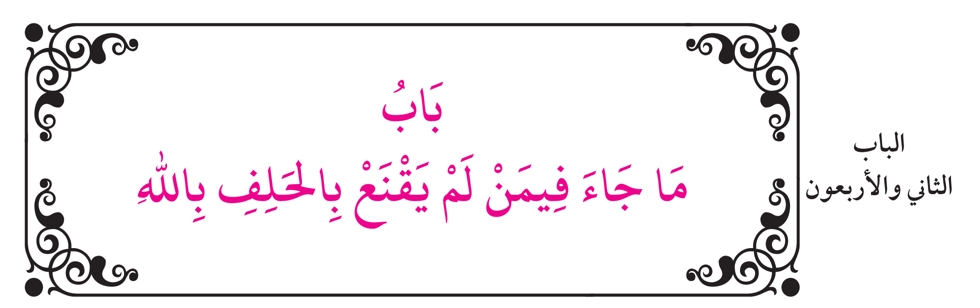
اَلْخَامِسَةُ : الْفَرقُ بَيْنَ « الْوَاوِ » و« ثُمَّ » فِي اللَّفْظِ .

* * *

الإمام أحمد (٥/ ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) وأبو داود (٤٩٨٠) ، والنسائيُّ في الكبرى (١٠٨٢١) .

وتسوية المخلوق بالخالق شرك ، إن كان في الأصغر فهو أصغر ، وإن كان في الأكبر فهو أكبر .

الباب
الثاني والأربعون



بَابُ
مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ** (١٦٩) **، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ** » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ .

---

(١٦٩) مِنْ حق المسلم على المسلم :

١- أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا أو متبرئًا من تهمة .

٢- : أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه ، قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا » .

٣- إجابة دعوة المسلم ، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين .

* أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله :

التواضع واللين والإيثار وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ، والقيام بحقوقه وحقوق عباده ، وإدخال السرور على المسلمين ، وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم ، كل هذا من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله ، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد ، وهو من مكارم الأخلاق .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

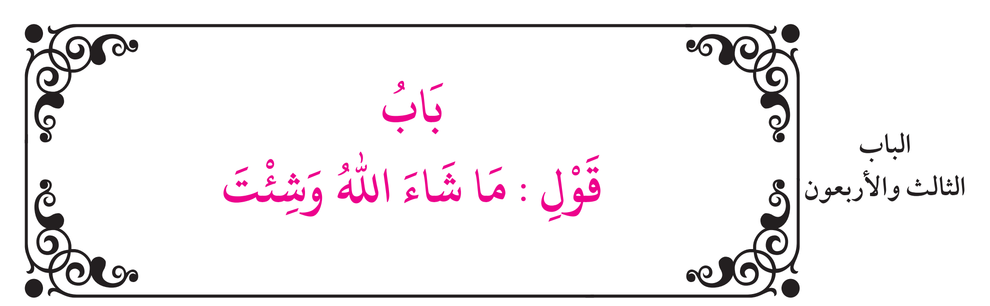
اَلْأُولَىٰ : النَّهْيُ عَنِ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ .

اَلثَّانِيَةُ : الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللهِ أَنْ يَرْضَىٰ .

اَلثَّالِثَةُ : وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ .

* * *

الباب الثالث والأربعون



بَابُ
قَوْلِ : مَا شَاءَ اللّٰهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ ، تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللّٰهُ وَشِئْتَ (١٧٠) ، وَتَقُولُونَ : وَالْكَعْبَةِ ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا : « **وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا : مَا شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ شِئْتَ** » . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ .

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا شَاءَ اللّٰهُ وَشِئْتَ . فَقَالَ : « **أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا ! مَا شَاءَ اللّٰهُ وَحْدَهُ** » .

---

(١٧٠) مشيئة العبد :

مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى ، ولا قدرة له على أن يشاء شيئًا إلا إذا كان الله قد شاءه ، قال الله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير : ٢٨-٢٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الإنسان : ٢٩-٣٠] .

وفي هذا الرد على القدرية والمعتزلة ، نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه ، وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا

وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا- قَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَىٰ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، قُلْتُ : إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ .

قَالُوا : وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ .

ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَىٰ ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ .

قَالُوا : وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ .

قَالَ : « **هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا** » ؟

قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « **أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَىٰ رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا**

بالكتاب والسنة وفقه الصحابة في الدين ، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه ، من أفعال العباد وأقوالهم ، فالكل بمشيئة الله وإرادته ، فما وافق ما شرعه رضيه وأحبه ، وما خالفه كرهه وأحبطه ، قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر : ٧] .

وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا . فَلَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ .

اَلثَّانِيَةُ : فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوىً .

اَلثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ ﷺ : « **أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا** » ؟ فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ ؛ لِقَوْلِهِ : « يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا » .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ .

* * *



الباب الرابع والأربعون

بَابُ
مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ (١٧١) فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] الآيَةَ .

فِي « الصَّحِيحِ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « قَالَ اللهُ تَعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » .

---

(١٧١) سَبُّ الدَّهر :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤].

حدَّث أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسولُ الله ﷺ : يقول الله تعالى : « **يؤذيني ابنُ آدم ، يسُبُّ الدَّهر وأنا الدَّهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنَّهار** » . أخرجه البخاريُّ (٤٨٢٦ ، ٧٤٩١) ، ومسلمٌ (٢/٢٢٤٦) ، وأبوداود (٥٢٧٤) ، والنسائيُّ في الكبرى (١١٦٨٧) جميعًا من حديث سفيان بن عُيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عنه به .

فالعرب كان مِن شأنها ذمُّ الدَّهر أي سبُّه عند النوازل ، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون: أصابتهم قوارع الدَّهر وأبادهم الدَّهر، يضيفون إلى الدَّهر ما نالهم مِن الشدائد التي يصنعونها فنهوا عن سَبِّ الدَّهر .

وَفِي رِوَايَةٍ : « **لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ** » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَسْمِيَتُهُ أَذًى لِلَّهِ .

اَلثَّالِثَةُ : التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ .

* * *



الباب الخامس والأربعون

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ (١٧٢)

(١٧٢) التسمي بقاضي القضاة ونحوه :

أخرج الإمامُ أحمد (٢/ ٢٤٤) ، والبخاريُّ (٦٢٠٥ ، ٦٢٠٦) ، وفي كتابه المفرد في الأدب (٨١٧) ، ومسلمٌ (٢١٤٣/ ٢٠) ، وأبوداود (٤٩٦١) ، والترمذيُّ (٢٨٣٧) ، من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، قال : « **إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله** » .

لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى ، فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، وكل ملك يؤتيه الله مَن يشاء مِن عِباده فهو عارية مردودة إلى مالكها ، وهو الله تعالى ، ينزع الملك من ملكه تارة وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه ، وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له ، بيده القسط يخفضه ويرفعه ، ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سبحانه وتعالى ، وما تكتبه الحفظة عليهم ، فيجازي كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، قال النبي ﷺ : « **اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله** » .

أخنع أي : أوضع .

في « الصَّحِيحِ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللّٰهِ : رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلاَكِ ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللّٰهُ** » .

قَالَ سُفْيَانُ : « مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « **أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللّٰهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ** » .

قَوْلُهُ : « **أَخْنَعُ** » يَعْنِي أَوْضَعَ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

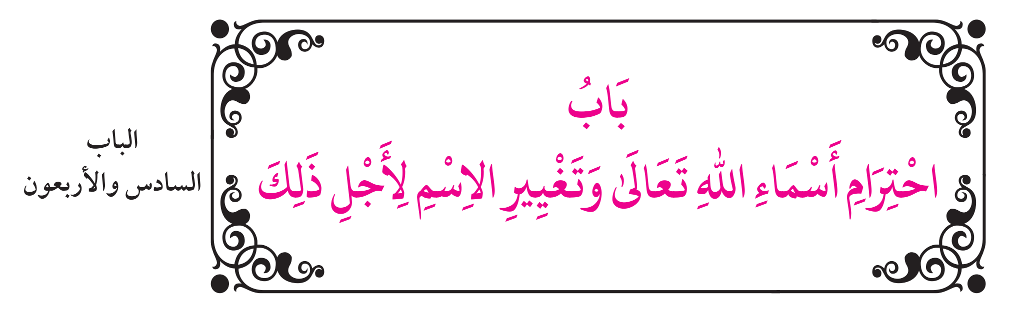
اَلْأُولَىٰ : النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ ، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ .

اَلثَّالِثَةُ : التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ .

اَلرَّابِعَةُ : التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

* * *



بَابُ
احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

الباب السادس والأربعون

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ : أَنَّهُ كَانَ يُكْنَىٰ (١٧٣) أَبَا الْحَكَمِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ** (١٧٤) » .

---

(١٧٣) يكنى :

أخرج أبو داود (٤٩٥٥) ، والنسائيُّ في المجتبى (٨/ ٢٢٦) ، وفي الكبرى (٥٩٤٠) بإسناد جيِّدٍ ، عن هانيء بن يزيد الحارثي ، أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ سمعه وهم يكنون هانِئًا أبا الحكم ، فدعاه رسولُ الله ﷺ ، فقال له : « **إن الله هو الحَكَمُ ، وإليه الحُكْمُ ، فَلِمَ تُكْنَى أبا الحكم ؟** » فقال : إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتَوْنِي ، فحكمتُ بينهم ، فَرَضِيَ كلا الفريقين . فقال رسول الله ﷺ : « **ما أحسن هذا فما لك من الولد ؟** » قال : لِي شُرَيحٌ ومسلمٌ وعبدالله. قال : « **فمن أكبرهم ؟** » قلتُ : شريح . قال : « **فأنت أبو شريح** » .

الكنية : ما صُدِّر بأب أو أم ، واللقب ما أشعر بمد أو ذم كزين العابدين .

والحديث فيه سُنِّيَّة اختيار اسم أكبر الأبناء للكنية .

(١٧٤) إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْمُ :

الحكم اسم من أسماء الله تعالى ، الذي إذا حكم لا يرد حكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى .

فَقَالَ : إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي ، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ .

فَقَالَ : « **مَا أَحْسَنَ هَذَا ! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ** » ؟

قُلْتُ : شُرَيْحٌ ، وَمُسْلِمٌ ، وَعَبْدُ اللهِ .

قَالَ : « **فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ** » ؟

قال الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد : ٤١] . فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة ، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزل على أنبيائه ورسله ، وما من قضية إلا ولله فيها حكم بما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة ، وقد يسر الله معرفة ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة ، فإنها لا تجتمع على ضلالة ، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدًا ، فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء يسر له ذلك بفضله ومنه عليه وإحسانه إليه .

وإليه سبحانه الحكم أي الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

فالحكم إلى الله : هو الحكم إلى كتابه ، وكذا الرَّد إليه : هو الرَّد إلى كتابه ، والرَّد إلى الرسول : هو الرَّد إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته .

قُلْتُ : شُرَيْحٌ .

قَالَ : « **فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

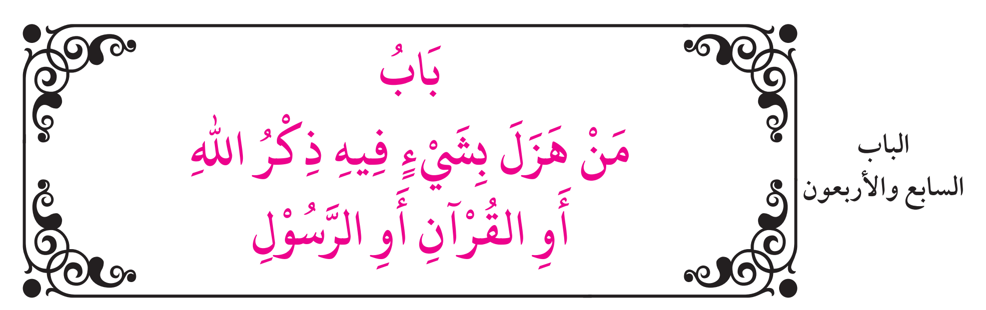
اَلْأُولَى : اِحْتِرَامُ صِفَاتِ اللهِ وأَسْمَائِهِ وَلَوْ بِكَلَامٍ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ .

اَلثَّانِيَةُ : تَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ .

اَلثَّالِثَةُ : اِخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ .

* * *

الباب السابع والأربعون



بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] الآيَةَ.

عن ابنِ عُمَرَ، ومحمدِ بنِ كعبٍ، وزيدِ بنِ أسلمَ، وقَتادة رضي الله عنهم -دَخَلَ حَدِيْثُ بَعْضِهِم في بَعْضٍ-: أنَّهُ قالَ رجُلٌ في غَزْوَةِ تَبوكَ: مَا رَأَيْنا مِثْلَ قُرَّائِنا هَؤلاءِ، أرغَبَ بُطونًا، ولا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، ولا أَجْبَنَ عندَ اللِّقاءِ -يَعني رَسُولَ اللهِ ﷺ وأَصْحابَهُ القُرَّاءَ-.

فقالَ له عَوْفُ بنُ مالكٍ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَذَهبَ عوْفٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ.

فَجاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ ناقَتَهُ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ متعلِّقًا بِنِسْعَةِ (١٧٥) ....

---

(١٧٥) النِسْعة:

بكسر النون وسكون المهملة: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره.

وقيل هي: حبل يشد به الرَّحل.

ناقَةِ رَسولِ اللّٰهِ ﷺ ، وإنَّ الحِجَارةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ ، فيقولُ لَهُ رسولُ اللّٰهِ ﷺ : ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، مَا يَلْتَفِتُ إِلِيْهِ ، ومَا يَزِيْدُهُ عَلَيْهِ » .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : وَهِيَ الْعَظِيمَةُ : أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا أَنَّهُ كَافِرٌ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ هَذَا هو تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ .

اَلثَّالِثَةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ للّٰهِ وَلِرَسُولِهِ .

اَلرَّابِعَةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللّٰهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللّٰهِ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ مِنَ الِاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ .

* * *

---

* ليسفعان :

سفع الطائر ضريبته : لطمها بجناحيه ، وسفع فلان فلانًا لطمه وضربه ، والمراد : أن الحجارة تضرب رجليه من سرعة المسير وأنه مشغول عن ذلك.

الباب الثامن والأربعون

بَابُ
مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ الآيَةَ

قالَ مُجاهِدٌ : « هذا بِعَمَلي وأَنا مَحْقُوقٌ بهِ » .

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ : « يريدُ مِنْ عِنْدِي » .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] .

قَالَ قَتَادَةُ : « عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوجُوهِ الْمَكَاسِبِ » .

وَقَالَ آخَرونَ : « عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ » .

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ : « أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ ، وَأَقْرَعَ ، وَأَعْمَىٰ . فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي (١٧٦) النَّاسُ بِهِ .

قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا ، وَجِلْدًا حَسَنًا .

---

(١٧٦) قذرني الناس :

بكراهة رؤيته وقربه منهم .

قال : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ : فأَتَىٰ الأَقْرَعَ ، فَقَالَ : أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ ، فَمَسَحهُ ، فَذَهبَ عنْهُ ، وَأُعطِيَ شَعرًا حَسَنًا .

قَالَ : أيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : البَقَرُ أوِ الإبِلُ ، فأُعطِيَ بقَرةً حامِلًا . قَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . فأَتَىٰ الأَعْمَىٰ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : أن يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصرِي ؛ فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ . فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : الغَنَمُ ، فأُعطِيَ شاةً والِدًا ؛ فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّه أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ . فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، قَدِ انقَطَعتْ بِيَ الْحِبَالُ (١٧٧) في سَفَرِي ، فَلَا بلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّونَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتبلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي ؟

---

(١٧٧) الحبال :

بالحاء المهملة والباء الموحدة ، هي : الأسباب .

فَقَالَ : الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ .

فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذِرُكَ النَّاسُ ، فَقِيْرًا فَأَعطاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَالَ ؟

فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ .

فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَىٰ الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، وَابْنُ سَبِيلٍ ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ . أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي .

فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ ؛ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ (١٧٨) .

---

(١٧٨) أصل الشكر :

هو : الاعتراف بإنعام المُنعم على وجه الخضوع له ، والذل والمحبة ، فمن لم يَعْرِف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها ، ومَن عرفها ولم يُعرِّف بها لم يشكرها أيضًا ، ومَن عرف النعمة والمُنعم لكن جحدها كما يجحد المُنكر لنعمة المُنعم عليه بها فقد كفرها ، ومَن عرف النعمة والمُنعم بها ، وأقرَّ بها ولم يجحدها ، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه ، لم يشكره أيضًا ، ومن عرفها وعرف المُنعم بها وأقرَّ بها ، وخضع للمُنعم بها ، وأحبه ورضي به وعنه ، واستعملها في محابه وطاعته ، فهذا هو الشاكر لها ، فلا بد في الشكر من علم القلب ، وعمل يتبع العلم ، وهو الميل إلى المُنعم ومحبته والخضوع له .

فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ » . أَخْرَجَاهُ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ .

اَلثَّانِيَةُ : مَا مَعْنَىٰ : ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت : ٥٠] .

اَلثَّالِثَةُ : مَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ .

اَلرَّابِعَةُ : مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ .

* * *

الباب التاسع والأربعون



بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الآيَة

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : « اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ (١٧٩) ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو ، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ » .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي الآيَةِ - قَالَ : « لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ : إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لَتُطِيعُنِّي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ ، فَيَخْرُجَ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ ، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ - يُخَوِّفُهُمَا - سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ ، فَخَرَجَ مَيِّتًا ،

---

(١٧٩) حكم ما عبد لغير الله :

اتفق العلماء على تحريم كل ما عبد لغير الله ، لأنه شرك في الربوبية والإلهية ، لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له ، استعبدهم لعبادته وحده ، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته ، فمنهم مَن عبد الله ووحَّده في ربوبيته وإلهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد ، قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] ، فهذه هي العبودية العامة .

وأما العبودية الخاصة : فإنها تخص بأهل الإخلاص والطاعة ، قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

ثُمَّ حَمَلَتْ ، فَأَتَاهُمَا ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ ، فَخَرَجَ مَيِّتًا ، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا ، فَذَكَرَ لَهُمَا ، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف : ١٩٠] » . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : « شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ » .

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ : « أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا » .

وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : تَحْرِيمُ كُلِّ اِسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذَا اَلشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّ هِبَةَ اَللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ اَلسَّوِيَّةَ مِنَ اَلنِّعَمِ .

اَلْخَامِسَةُ : ذِكْرُ اَلسَّلَفِ اَلْفَرْقَ بَيْنَ اَلشِّرْكِ فِي اَلطَّاعَةِ ، وَالشِّرْكِ فِي اَلْعِبَادَةِ .

* * *

الباب الخمسون



باب

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ (١٨٠) فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ الآية

(١٨٠) تعريف الأسماء الحسنى :

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقال الله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه : ٨] ، وقال تعالى :
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر : ٢٤] .

أسماء الله الحسنى هي : أعلام وأوصاف سمى الله نفسه بها وسماه بها رسوله ﷺ .

والأسماء في حق الله علمية ووصفية ، تضمنت الصفات ودلت عليها .

السلف يقولون : إن أسماء الله أعلام تدل على ذاته لقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، كلها تدل على مسمى واحد ، الرحمن الرحيم المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ ، الخَالِقُ البَارِيءُ المُصَوِّرُ الحَكِيمُ ، هذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على الذات ، ومختلفة المعني باعتبار دلالتها على الصفات ، لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فدعاء الله يكون بالوصف الذي تضمنه الاسم .

ذَكَرَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف : ١٨٠] : « يُشْرِكُونَ » .

قال ابن القيم : أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه ، لا تنافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ورود الاسم علمًا ، وكذلك فإن الأسماء مشتقة من الصفات إذ الصفات مصادر الأسماء الحسنى .

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية : الأسماء الحسنى المعروفة : هي التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة ، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها . اهـ .

وهذا التعريف هو أصلح وأفضل تعريف للأسماء الحسنى وذلك لموافقته للنص الشرعي ، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية استقاه من قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ؛ فقوله في التعريف (هي التي يدعى بها) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ وقوله : (هي التي وردت في الكتاب والسنة) مأخوذ من قوله : ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾ فالألف واللام هنا للعهد فالأسماء بذلك تكون معهودة ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله عليه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ ، وقوله (وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فالحسنى تأنيث الأحسن ؛ والمعنى أن أسماء الله أحسن الأسماء وأكملها فما كان مسماه منقسما إلى كمال ونقص وخير وشر لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى . وبهذا يتضح لك أن ما ذكره شيخ الإسلام

وَعَنْهُ : « سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ ، وَالْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ » .

ابن تيمية في تعريف الأسماء الحسنى هو مطابق لما ذكره الله في كتابه العزيز .

*** أسماء الله الحسنى توقيفية :**

حصر الأسماء الحسنى وكيفية جمعها من القرآن والسنة ، الناس في هذا الموضوع بين طرفين ووسط . فريق تساهل وتوسع في عد الأسماء الحسنى حتى سمى الله بما لم يسم به نفسه وفريق ضيق على نفسه وجعل الأسماء فارغة عن الأوصاف كالمعتزلة ، بل هناك من لم يثبت لله اسما ولا صفة .

مع أن المتفق عليه بين السلف أن أسماء الله – تعالى – توقيفية لا مجال للعقل فيها ، ويجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص ، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، فتسمية الله بما لم يسم به نفسه قول على الله تعالى بلا علم فيكون مُحرّمًا .

أسماء الله توقيفية ليست اصطلاحية ، يجوز أن يقال : يا عليم ، ولا يجوز أن يقال : يا عاقل . ويجوز أن يقال : يا حكيم ، ولا يجوز أن يقال يا مهندس .

وقد جاء في الأسماء الرحيم ولا يقاس عليه الرقيق . والحليم والصبور لا يجوز أن يقاس عليها الوقور والرزين . وفي أسمائه العليم ومن صفته العلم ، فلا يجوز قياسه أن يسمى عارفا .

أهل العلم متفقون على إطلاق الأسماء والصفات على الله بدليل نصي ؛ فأسماء الله توقيفية وهذا هو مذهب أهل السنة .

وَعَنِ الأَعْمَشِ : « يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا » .

وقد ثبت في السنة عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن رسولَ الله ﷺ قال : « **لا أحصِي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسِك** » .

والحديث أخرجه : مسلمٌ (٤٨٦) ، وأبوداود (٨٧٩) ، والنسائي في المجتبى (١/ ١٠٢ ، ٢/ ٢١٠) ، وفي الكبرى (١٥٨ ، ٦٨٧ ، ٧٧٤٨) ، وابن ماجه (٣٨٤١) جميعًا من حديث عبدالرحمن الأعرج عنه .

والتسمية من الثناء فدل على أن العقل لا مجال له في باب الأسماء إلا التصديق والوقوف عند النصوص .

ومن الأدلة أيضا أنه لا يجوز تسمية النبي ﷺ بما ليس من أسمائه فالخالق أولى .

* الطريق إلى أخذ أسماء الله :

هو الإذن الشرعي دون القياس اللغوي ، فأطلقت في أسماء الله حكيما لأن الشرع أطلقه ومنعت في أسماء الله عاقلا لأن الشرع لم يرد به ولو أطلقه الشرع لأطلقته .

قال ابنُ حزم : لا يجوز أن يسمى الله تعالى ولا أن يخبر عنه إلا بما سمى به نفسه أو أخبر به عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ أو صح به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقن ولا مزيد . وحتى وإن كان المعنى صحيحا فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ ، وقد علمنا يقينا أن الله عَزَّوَجَلَّ بنى السماء ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا ﴾ [ق : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ، ولا يجوز أن يسمى بَنَّاء ، وأنه

• فِيهِ مَسَائِلُ :

ٱلْأُولَىٰ : إِثْبَاتُ ٱلْأَسْمَاءِ .

تعالى خلق أصباغ النبات والحيوان ، وأنه تعالى قال : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، ولا يجوز أن يسمى صَبَّاغا وهكذا كل شيء لم يسم به نفسه . انتهى كلامه بتصرف يسير .

*** حصر أسماء الله الحسنى :**

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين : لأنه ثبت من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **ما قَالَ عَبْدٌ قَطُّ ، إذا أَصَابَهُ هَمٌّ أو حُزْن اللهمَّ إني عَبْدُكَ ابنُ عبدكَ ابنُ أَمَتِكَ ، ناصيتِي بيدِكَ ، مَاضٍ فيَّ حُكمُكَ ، عدلٌ في قَضَاؤُكَ ، أسألكَ بكل اسمٍ هو لك ، سَمَّيتَ به نفسَكَ ، أو أنزلتهُ في كتَابكَ ، أو عَلمتهُ أحدًا من خلقِكَ ، أو اسْتأثرْتَ به في علمِ الغيبِ عندَكَ ، أن تجعَلَ القرآنَ رَبِيعَ قَلبي ، ونُورَ بَصَرِي ، وجِلاءَ حُزْنِي ، وذَهَابَ هَمِّي ، إلا أذهبَ اللهُ هَمَّهُ وأبدلهُ مكانَ حزنِهِ فرحًا** » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ! ينبغي لنا أن نتعلمَ هذه الكلماتِ ؟ قَالَ : « **أجل ، ينبغي لمن سمعَهُنَّ أن يتعَلَّمَهنَّ** » . وهو حديث صحيح رواه : الإمام أحمد (١/ ٣٩١ ، ٤٥٢) ، وابن حبان (٩٧٢) ، والحاكم (١/ ٦٩٠) ، وغيرهم .

والشاهد قوله (أو استأثرتَ به في علم الغيبِ عندَكَ) وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به وهذا هو الحق وهو مذهب الجمهور بل حكى النووي الاتفاق عليه .

قال الخطابيُّ عند ذكره لهذا الحديث : فهذا يدلك على أن لله أسماء لم

اَلثَّانِيَةُ : كَوْنُهَا حُسْنَىٰ .

ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم . اهـ .

وقال ابنُ القيم في شفاء العليل : الحديث دليل على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين ، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره . اهـ .

وأما الحديث الذي رواه الشيخان البخاري (٢٧٣٦ ، ٧٣٩٢) ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « **إنَّ للهِ تِسعةً وتِسْعينَ اسمًا ، مائةً إلا واحدة ، مَن أحصاها دَخَلَ الجنَّة** » . فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة : إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك ، فمعنى الحديث إذا أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة ، ونظير هذا أن تقول : عندي مئة درهم أعددتها للصدقة فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة .

وقال النووي في شرح مسلم : اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء . اهـ .

* معنى (من أحصاها) :

أما المراد بقوله (من أحصاها) فقد اختلف الأئمة فيه على أقوال ، منها :

اَلثَّالِثَةُ : اَلْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا .

أن المراد بالإحصاء هو حفظها وعدها ، كقوله تعالى : ﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾ [الجن : ٢٨] . وكقول الله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة : ٦] . وهذا القول عليه أغلب العلماء .

وقال ابنُ حجر : ظاهر كلام البخاري والأكثرين حصول الجزاء المذكور في الخبر بمجرد حفظها ، وفضل الله أوسع من ذلك .

وقيل المراد بالإحصاء الإطاقة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [المزمل : ٢٠] ، والمعنى : من أطاق القيام بحق هذه الأسماء ، والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها ، فيلزم نفسه بواجباتها ، فإذا قال : الرزاق وثق بالرزق ، وكذا سائر الأسماء . وقيل المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها ، من قول العرب : فلان ذو حصاة ، أي ذو عقل أو معرفة .

وقال ابنُ عطية في تفسيره : معنى أحصاها : عدها وحفظها ، ويتضمن ذلك الإيمان بها ، والتعظيم لها ، والرغبة فيها ، والاعتبار بمعانيها .

وقد ذكر ابنُ القيم أن الإحصاء على ثلاث مراتب هي : أولها إحصاء ألفاظها وعددها . وثانيها فهم معانيها ومدلولها . وثالثها التعبد لله بمقتضاها .

ولذلك وجهان : **الوجه الأول** : أن تدعو الله بها دعاء مسألة لقوله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك ، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك ، تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبًا

اَلرَّابِعَةُ : تَرَكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ اَلْمُلْحِدِينَ .

لحالك ، كأن تقول في حال ذنبك : يا غفور اغفر لي ، ويا رحيم ارحمني ؛ وفي حال فقرك : يا رزاق ارزقني ، ويا غني اغنني بفضلك عمن سواك ؛ وفي حال ضعفك : يا قوى قوني ؛ وفي حال جهلك تقول : يا عليم علمني إلى غير ذلك مما يتطلب فقها في الدعاء .

والوجه الثاني : أن تدعوه دعاء عبادة (١) وهو أن تتعبد الله تعالى بمقتضى هذه الأسماء ، فتظهر بمظهر الفقر لعلمك أن الغني هو الله ، وتظهر بمظهر الضعف لعلمك أن القويّ هو الله ، وتظهر بمظهر الافتقار والتواضع لعلمك أن العظيم العزيز هو الله . هذا هو معنى أحصاها ، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون إحصاؤها ثمنا لدخول الجنة .

* تعيين أسماء الله الحسنى :

لم يصح عن النبيّ ﷺ تعيين الأسماء الحسنى ، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيفٌ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : فتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه . اهـ .

ولما لم يصح تعيينها عن النبيّ ﷺ اختلف السلف فيه ، فمن حاول تصحيح هذا الحديث : قال إن هذا أمر عظيم لأنها توصل إلى الجنة فلا يفوت على الصحابة أن يسألوا النبيّ ﷺ عن تعيينها ، فدل هذا على أنها قد عينت من قبله ﷺ .

وقال ابنُ كثير في تفسيره : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد

(١) قال مصححه – الشيخ سعد الحصين رحمه الله – : أن تدعوه دعاء ذِكْر لله . ودعاء المسألة عبادة ، فأرى هذا أولى رغم قول بعض العلماء بالآخر .

اَلْخَامِسَةُ : تَفْسِيرُ اَلْإِلْحَادِ فِيهَا .

الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه . اهـ .

لو كان كذلك لكانت هذه الأسماء التسعة والتسعين معلومة أشد من علم الشمس ولنقلت في الصحيحين وغيرهما لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه ، وتتعلق النفوسُ بحفظه ، فكيف لا يأتي إلا عن طرق واهية وعلى صور مختلفة ، فالنبيّ ﷺ لم يبينها لحكمة بالغة وهي أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حتى يتبين الحريص من غير الحريص .

والرواية التي أوردها الحاكم في المستدرك قال عنها : حديث قد خرجاه في الصحيحين دون ذكر الأسامي فيه ، والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته . وقد ذكر الحافظ ابنُ حجر أنَّ العلة ليست تفرد الوليد فقط .

أما الرواية التي أوردها الترمذيُّ فقال عنها : هذا حديث غريب وقد رُوِيَ من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذه الرواية .

* الإلحاد في أسماء الله الحسنى :

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

أصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر .

والإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها ، وهو أنواع :

الأول : أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما

اَلسَّادِسَةُ : وَعِيدُ مَنْ أَلْحَدَ .

* * *

فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم .

والثاني : أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها .

الثالث : أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له : (الأب) وتسمية الفلاسفة إياه : (العلة الفاعلة) وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها .

الرابع : أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز واشتقاق اللات من الإله فسموا بها أصنامهم وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به لقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقوله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه : ٨] ، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية فهو مختص بالأسماء الحسنى فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها ، ومنه ما يكون شركا أو كفرا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية .قال مجاهد : اشتقوا اللات من الله ، واشتقوا العزى من العزيز ، وقال قتادة : يلحدون : يشركون .

الباب الحادي والخمسون



بَابُ لَا يُقَالُ : السَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي « الصَّحِيحِ » عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا : « السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ » . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ (١٨١) » .

---

(١٨١) إن الله هو السلام :

السلام : اسم مصدر ، وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الإنشاء والإخبار ، فجهة الخبر فيه لا تناقض الجهة الإنشائية ، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية .

حقيقة السلام : البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب ، وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه ، فمن ذلك قولهم : سلمك الله ، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط اللهم سلم سلم ومنه سلم الشيء لفلان أي خلص له وحده ، قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ [الزمر : ٢٩] ، أي خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره . ومنه السلم ضد الحرب : لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر ، ولهذا بنى فيه على المفاعلة ، فقيل : المسالمة مثل المشاركة ، ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ اَلسَّلَامِ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّهُ تَحِيَّةٌ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ للهِ .

اَلرَّابِعَةُ : اَلْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ .

اَلْخَامِسَةُ : تَعْلِيمُهُمْ اَلتَّحِيَّةَ اَلَّتِي تَصْلُحُ للهِ .

* * *

وإن الله هو السلام : أي إن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل فهو الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل عيب ونقص .

الباب الثاني والخمسون



بَابُ
قَولِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ (١٨٢)

فِي « الصَّحِيحِ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، فإنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ » .

---

(١٨٢) اللهم اغفر لي إن شئت :

أخرج : الإمامُ أحمد (٢/ ٢٤٣ ، ٤٦٣ - ومواضع أخرى) ، والبخاريُّ (٦٣٣٩) ، ومسلمٌ (٢٦٧٩/ ٨-٩) ، وأبوداود (١٤٨٣) ، والنسائيُّ في الكبرى (٦/١٥١) ، والترمذيُّ (٣٤٩٧) ، وابنُ ماجه (٣٨٥٤) جميعًا من طرقٍ ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « **لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة فإن الله لا مُكره له** » .

وأخرجه أيضًا : الإمامُ أحمد (٣/ ١٠١) ، والبخاريُّ (٦٣٣٨ ، ٧٤٦٤) ، ومسلمٌ (٢٦٧٨/ ٧) ، والنسائيُّ في الكبرى (٦/ ١٥١) ، من حديث عبدالعزيز ابن صُهَيب ، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا .

اللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسئول ، مخافة أن يعطيه وهو كاره ، بخلاف رب العالمين فإنه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه ، وكمال جوده وكرمه ، وكلهم فقير إليه ، محتاج

وَلِـ «مُسْلِمٍ»: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ ، فَإِنَّ اللهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أعْطَاهُ** [(١٨٣)]».

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ .

اَلثَّانِيَةُ : بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ .

اَلثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ : « لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ » .

اَلرَّابِعَةُ : إِعْظَامُ اَلرَّغْبَةِ .

اَلْخَامِسَةُ : التَّعْلِيلُ لِهَذَا اَلْأَمْرِ .

* * *

لا يستغني عن ربه طرفة عين ، وعطاؤه كلام يعني : إنه يقول للشيء كن فيكون .
﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

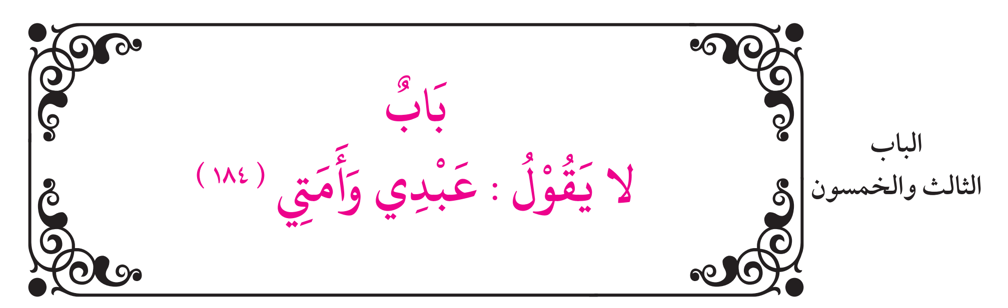
(١٨٣) يغيضها :

ينقصها ، يقال : غاض الماء إذا نقص .

*** سَحَّاء :**

أي دائمة الصب والعطاء .

الباب الثالث والخمسون



بَابُ
لا يَقُوْلُ : عَبْدِي وَأَمَتِي (١٨٤)

في « الصَّحيحِ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَطْعِمْ رَبَّكَ ، وضِّئْ ربَّكَ ، وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي وَمَوْلاي .
وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُم : عَبدِي وَأَمَتي ، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ وفَتَاتِي وَغُلَامِي » .

---

(١٨٤) لا يقول عبدي وأمتي :

عن همام بن مُنَبِّه ، أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحدِّث عن النبيّ ﷺ ، أنه قال : « **لا يقل أحدُكم : أطعم ربك ، وضِّئ ربك ، اسق ربك . وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي** » . أخرجه البخاريُّ (٢٥٥٢) ، ومسلمٌ (١٥ / ٢٢٤٩) ، من طريقين عن عبدالرزاق ، عن معمر ، عنه به .

هذه الألفاظ المنهي عنها ، وإن كانت تطلق لغة ، فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقًا للتوحيد وسدًّا لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم ، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم ، فينهى عنه لذلك ، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى ، وإنما المعنى أن هذا مالك له ، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار ، فالنهي عنه حسمٌ لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق ، وتحقيقٌ للتوحيد ، وبعدٌ عن الشرك حتى في اللفظ ، وهذا أحسن مقاصد الشريعة ،

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ : عَبْدِي وَأَمَتِي .

اَلثَّانِيَةُ : لَا يَقُلْ اَلْعَبْدُ : رَبِّي ، أَوْ يُقَالُ لَهُ : أَطْعِمْ رَبَّكَ .

اَلثَّالِثَةُ : تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَوْلَ : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي .

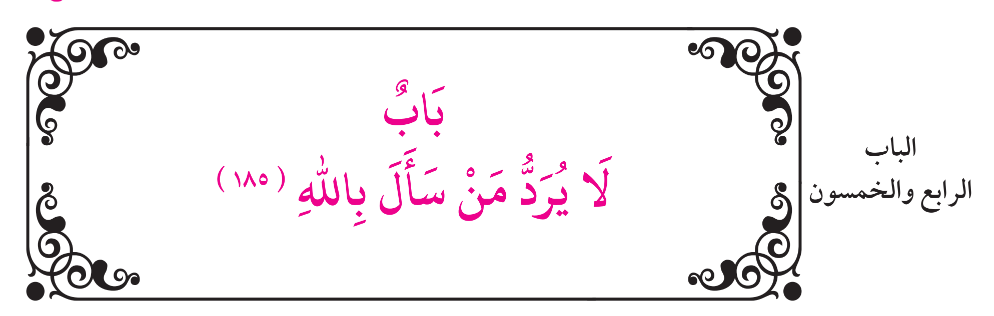
اَلرَّابِعَةُ : تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ .

اَلْخَامِسَةُ : التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ ، وَهُوَ تَحْقِيقُ اَلتَّوْحِيدِ حَتَّىٰ فِي اَلْأَلْفَاظِ .

* * *

لما فيه من تعظيم الرب تعالى ، والبعد عن مشابهة المخلوقين ، فأرشدهم النبيُّ ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ ، وهو قوله : سيدي ومولاي .

الباب الرابع والخمسون



بَابُ
لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ (١٨٥)

(١٨٥) الرجاء :

هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده ، ولكن ذلك المتوقع لابد له من سبب حاصل ، فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمي تمنيًا ، لأنه انتظار من غير سبب ، ولا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه فأما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال : أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها ، لأن ذلك مقطوع به عند طلوعها وغروبها ، ولكن يقال : أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه .

والعبد إذا بث بذر الإيمان ، وسقاه ماء الطاعات ، وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت ، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة ، كان انتظاره لذلك رجاءً محمودًا باعثًا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت ، وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونًا برذائل الأخلاق ، وانهمك في طلب لذات الدنيا ، ثم انتظر المغفرة ، كان ذلك حمقًا وغرورًا ، قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

وقال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ ، ....

وحمق . ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .
المعنى : أولئك الذين يستحقون أن يرجوا ، ولم يرد به تخصيص وجود الرجاء ، لأن غيرهم أيضًا قد يرجو ذلك .

والرجاء محمود ، لأنه باعث على العمل ، واليأس مذموم ، لأنه صارف عن العمل إذ من عرف أن الأرض سبخة ، وأن الماء معوز ، وأن البذر لا ينبت ترك تفقد الأرض ، ولم يتعب في تعاهدها .

وحال الرجاء : يورث طريق المجاهدة بالأعمال ، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ، ومن آثاره : التلذذ بدوام الإقبال على الله عَزَّ وَجَلَّ ، والتنعم بمناجاته ، والتلطف في التملق له ، فإن هذه الأحوال لابد أن تظهر على كل من يرجو ملكًا من الملوك ، أو شخصًا من الأشخاص ، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله سبحانه وتعالى ؟ فمتى لم يظهر ، استدل به على حرمان مقام الرجاء ، فمن رجا أن يكون مرادًا بالخير من غير هذه العلامات ، فهو مغرور .

فضيلة الرجاء : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : **قال الله** عَزَّ وَجَلَّ : « **أنا عند ظن عبدي بي** » .
أخرجه الإمامُ أحمد (٢/ ٢٥١ ، ٤١٣) ، والبخاريُّ (٧٤٠٣) ، ومسلمٌ (٢٦٧٥/ ٢، ٢١) ، والترمذيُّ (٣٦٠٣) ، والنسائيُّ في الكبرى (٤/ ٤١٢) ، وابنُ ماجه (٣٨٢٢) ، من طرق عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وله طرق أخرى عنه .

وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ (١٨٦) ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، ....

(١٨٦) الإنفاق :

مقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين ، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم وضده من البخل أو الشح ، فالأول : محمود في الكتاب والسنة ، والثاني : مذموم فيهما ، وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧-٢٦٨] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد : ٧] ، والإنفاق مِن خصال البر المذكورة في قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة لتعدي نفعه ، وذكره تعالى في الأعمال التي أمر الله بها عباده ، وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ

وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ (١٨٧) ، **فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وكان النبيُّ ﷺ يحث أصحابه على الصدقة رجالا ونساءً ، نصحًا للأمة وحثًا لهم على ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا ، وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار ، فقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] ، والإيثار من أفضل خصال المؤمن ، والوقاية من الشح سبيل للفلاح .

(١٨٧) من صنع إليكم معروفًا فكافئوه :

حـدَّث ابنُ عمر رضي الله عنهما ، عن النبيّ ﷺ ، أنه قال : « **من صنع إليكم معروفًا ، فكافئـوه فإنْ لم تجدوا مـا تكافئوه ، فادعوا له حتى تعلمـوا أن قد كافأتموه** » .

أخرجـه الإمامُ أحمد (٢/ ٦٨ ، ٩٩ - ومواضع أخرى) ، والبخاريُّ في « كتابه المفـرد في الأدب » (٢١٦) ، وأبـوداود (١٦٧٢ ، ٥١٠٩) ، والنسـائيُّ في « المجتبـى » (٥/ ٨٢) ، وفي « الكـبرى » (٢/ ٤٣/ ٢٣٤٨) ، وابـنُ حبـان (٣٤٠٨) ، والحاكـم (١/ ٤١٢) مـن طرق عـن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابـن عُمر بـه . وقال الحاكـم : « هذا حديثٌ صحيحٌ على شـرط الشـيخين » . ووافقه الذهبيُّ . وقد توبع الأعمش عليه .

وفي هذا الحديث ندبهم النبيُّ ﷺ على المكافأة على المعروف فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله وفيها السلامة من البخل

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ .

اَلثَّانِيَةُ : إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ .

اَلثَّالِثَةُ : إِجَابَةُ اَلدَّعْوَةِ .

اَلرَّابِعَةُ : الْمُكَافَأَةُ عَلَىٰ اَلصَّنِيعَةِ .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ اَلدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ .

اَلسَّادِسَةُ : قَوْلُهُ : « حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » .

* * *

ومذمته ، ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس ، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة . ومن لم يجد مكافأة للمعروف : فالندب في حقه الدعاء .



الباب الخامس والخمسون

بَابٌ
لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَى : اَلنَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا غَايَةَ الْمَطَالِبِ .

اَلثَّانِيَةُ : إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ .

* * *

الباب السادس والخمسون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي اللَّوِّ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عمران : ١٥٤] الآيَةَ .

وَقَوْلِهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران : ١٦٨] الآيَةَ .

فِي « الصَّحِيحِ » عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَلَا تَعْجِزَنْ (١٨٨) ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا

---

(١٨٨) العجز :

مذموم شرعًا وعقلًا ، كما رُوِيَ في الحديث : « الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأمانيّ » . رواه الإمامُ أحمد (٤/ ١٢٤) ، والترمذيُّ (٢٤٥٩) ، وابنُ ماجه (٤٢٦٠) ، والحاكمُ (١/ ٥٧ ، ٤/ ٢٥١) ، من حديث أبي بكر ابنِ أبي مريم الغساني - وهو ضعيفٌ باتفاق - ، عن ضمرة بنِ حبيب ، عن شداد بنِ أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا به .

الكيِّس : هو الحازم الفطن . دان نفسه يعني : حاسب نفسه في الدنيا قبل الموت وقبل أن يحاسب يوم القيامة .

تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ (١٨٩) لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ (١٩٠) » .

---

(١٨٩) اسم الحسنات والسيئات :

اسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين ، الأول منهما : الأفعال مثل قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء : ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] .

القسم الثاني : ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب ، كقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] ، فالحسنة هي : النعمة ، والسيئة هي : المصيبة .

(١٩٠) لو : تفتح عمل الشيطان :

أي لما فيه من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر ، وذلك ينافي الصبر والرضى ، والصبر واجب ، والإيمان بالقدر فرض ، قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٢-٢٣] ، وقال أمير المؤمنين عليّ

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ .

اَلثَّانِيَةُ : النَّهْيُ اَلصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ : لَوْ أَنِّي ، إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ .

اَلثَّالِثَةُ : تَعْلِيلُ الْمَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ .

اَلرَّابِعَةُ : الْإِرْشَادُ إِلَى اَلْكَلَامِ الْحَسَنِ .

اَلْخَامِسَةُ : الْأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ .

اَلسَّادِسَةُ : اَلنَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ اَلْعَجْزُ .

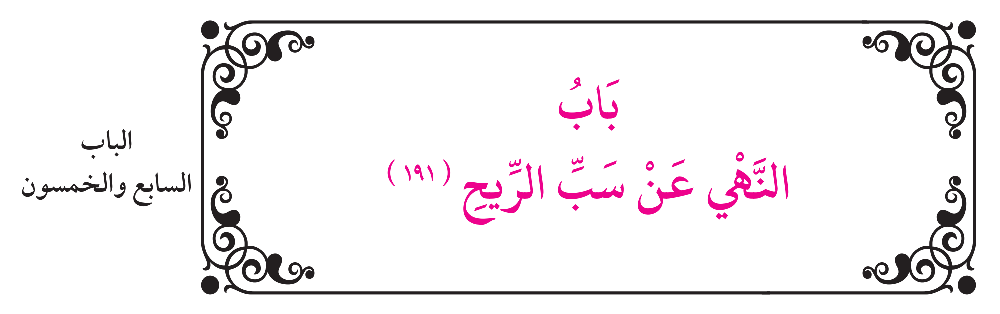
* * *

ابنُ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » .

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ : « ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن[1] » .

---

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللهُ : أكثرها في مدحه وبعضها في ذم أهله ، والمهم هنا الممدوح ، وإن كانت الكثرة والقلة ليست أصلًا في الأمر ؛ مثال : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ، وفي المذموم أهله : ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ ﴾ [الطور : ١٦] ، ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [فصلت : ٢٤] . أمَّا لفظ (الصبر) فقليل . انتهى .



الباب السابع والخمسون

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ (١٩١)

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١٩١) سَبُّ الرِّيحِ:

قال رسولُ الله ﷺ: « **لا تسبُّوا الرِّيح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنَّا نسألك مِن خير هذه الرِّيح وخير ما فيها، وخير ما أُمِرَت به، ونعوذ بك من شرِّ هذه الرِّيح، وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُمِرَت به** ». رواه أبوداود (٥٠٩٧) والنسائي في اليوم والليلة (٩٣١) وفي الكبرى (١٠٧٦٧) بسند صحيح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لأن الريح إنما تهب بقدر الله تعالى وخلقه لها وأمره، فمسبتها مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه لعباده، فنهى ﷺ أهلَ الإيمان عما يقوله أهلُ الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح، ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته وهذه حال أهل

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : النَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ .

اَلثَّانِيَةُ : الْإِرْشَادُ إِلَىٰ الْكَلَامِ اَلنَّافِعِ إِذَا رَأَىٰ اَلْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ .

اَلثَّالِثَةُ : الْإِرْشَادُ إِلَىٰ أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ .

* * *

التوحيد والإيمان ، خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان .

الباب الثامن والخمسون



بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآيَةَ

وَقَوْلِهِ : ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح : ٦] الآيَةَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -فِي الآيَةِ الأُولَى- « فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ ، وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي « سُورَةِ الْفَتْحِ » ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ .

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ [١٩٢] الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدَ ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ ، فَـ ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص : ٢٧] .

---

(١٩٢) يُدِيلُ:

من الإدالة وهي الغلبةُ . ويدالُ عليه : يجعل له الكرة والدولة .

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ .

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ .

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ : هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا » .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ .

اَلثَّانِيَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ اَلْفَتْحِ .

اَلثَّالِثَةُ : الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اَلْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ .

* * *

الباب
التاسع والخمسون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : « وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِم مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ ، حتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ » .

ثُمَّ استَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « **الْإِيمَانُ** (١٩٣) : **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَومِ الآخِرِ ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

---

(١٩٣) الإيمان : تعريفه وأركانه ودليله :

الإيمان : لغة التصديق والإقرار . وشرعًا : اعتقادٌ بالقلب يعني بالجنان ، وإقرارٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح والأركان . ويزيد بطاعة الرحمن ، وينقص بطاعة الشيطان .

أركان الإيمان وأصوله ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

ودليله : حديث جبريل عليه السلام عند مسلم في صحيحه رقم (٨/ ١-٤) وعند غيره : أبوداود رقم (٤٦٩٥-٤٦٩٧) والنسائي (٨/ ٧٩) والترمذي رقم (٢٦١٠) وابن ماجه رقم (٦٣) عن ابن عُمر ، عن أبيه عُمر ، قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر - يعني جديد الثياب أسود الشعر - ، لا يعرفه أحد منا ، ولا يرى

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ : « يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُوْمَ السَّاعَةُ** » .

يا بُنَيَّ! سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يقول : « **مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي** » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ الْقَلَمَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » .

عليه أثر السفر - ليس من أهل البلد فنعرفه ، وليس من أهل البلاد البعيدة فنرى عليه أثر السفر - ، سأل النبي ﷺ أسئلة ، ومنها : قال : أخبرني عن الإيمان ؟ فقال : « **أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . فقال : صدقت .

الإيمان بالقدر من جملة أركان الإيمان .

خيره وشره : يعني تؤمن أن الحوادث التي تحدث مقدرة ، وأن المصائب مقدرة ، وأن الأمراض والصحة مقدرة ، كل ما يحدث فإنه مكتوب ومقدر من الله تعالى .

كذلك ورد في الحديث : أنه ﷺ قال : « **آمنت بالقدر ، خيره وشره وحلوه ومره** » . أي ما يناسب وما لا يناسب ، آمنت بأن ذلك مقدر ومكتوب قبل أن يوجد الخلق .

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بالنَّارِ** » .

وَفِي « الْمُسْنَدِ » وَ « السُّنَنِ » عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ ، فَحَدِّثْنِي بِشَيءٍ لَعَلَّ اللهُ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي . فَقَالَ : « **لَوْ أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤمِنَ بِالقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** » .

قَالَ : فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، وَحُذَيفةَ بْنَ الْيَمَانِ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

فكل ما يجري فهو بقضاء الله وقدره سواء كان مما يحبه الإنسان أو مما يبغضه ، خيرًا كان أو شرًّا حلوًا كان أو مُرًّا أراده الإنسان أم لم يرده ، فمشيئة الله نافذة ، وقدره لا مَرَدَّ له .

ومن أصول الإيمان أيضا : الإيمان بالبعث والنشور ، والجزاء والحساب ، والجنة والنار وكل ذلك حق .

قال الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه:٥٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الرعد : ٥] .

حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَواهُ الحَاكِمُ فِي « صَحيحِهِ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : بَيَانُ فَرْضِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ .

اَلثَّانِيَةُ : بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ .

اَلثَّالِثَةُ : إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ .

اَلرَّابِعَةُ : الْإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ اَلْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِهِ .

اَلْخَامِسَةُ : ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّهُ جَرَىٰ بِالْمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَىٰ قِيَامِ اَلسَّاعَةِ .

اَلسَّابِعَةُ : بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ .

اَلثَّامِنَةُ : عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ اَلشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ اَلْعُلَمَاءِ [(١٩٤)] .

اَلتَّاسِعَةُ : أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ الشُّبْهَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا اَلْكَلَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَطْ .

* * *

---

(١٩٤) يتقفرون العلم :

اقتفرْت الأثر ، أي : تتبعته وقفوْته ، يتقفرون العلم أي : يتطلبونه .

الباب الستون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً** » . أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ** (١٩٥) » .

---

(١٩٥) النهي عن التصوير :

وقد ذكر النبيّ ﷺ علة النهي عن التصوير : وهي المضاهاة بخلق الله ، لأن الله تعالى له الخلق والأمر ، فهو ربُّ كلِّ شيء ومليكه ، وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧-٩] ، فالمُصوِّر لما صوَّر الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى مِن إنسانٍ وبهيمة صار مضاهئًا لخلق الله ، فصار ما صوَّره عذابًا له يوم القيامة ، وكلف أنْ ينفخَ فيها الروح وليس بنافخ ، فكان أشد الناس عذابًا ، لأن ذنبه من أكبر الذنوب .

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ** » .

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا : « **مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا ، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ** » .

وَلِـ « مُسْلِمٍ » عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ (١٩٦) » .

* * *

والعلَّةُ الثانية[1] : التعظيم ، وهو من أكبر ذرائع الشرك كما في الصحيحين .

(١٩٦) تسوية القبور :

لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله .

*** تجصيص القبر والبناء عليه ، والكتابة عليه :**

روى مسلمٌ في صحيحه (٩٧٠/ ٩٤) ، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عن تَجصيص القبر ، وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنَى عليه » . وروى الترمذي في سننه (١٠٥٢) ، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور ، وأن يكتب عليها » . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

---

(١) هذا من إضافات مصححه رَحِمَهُ اللَّهُ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي الْمُصَوِّرِينَ .

---

* بعض بدع العبادات في زماننا هذا :

أكبرها : دعاء غير الله وطلب المدد منه ، كما يحصل عند أوثان المقامات والمزارات .[1]

وقال الشيخ صالح بنُ فوزان – حفظه الله تعالى – :

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة ، والأصل في العبادات التوقيف . فلا يشرع شيء منها إلا بدليل ، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة ، لقول النبيّ ﷺ : « **مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ** » . متفقٌ عليه . وقوله ﷺ : « **مَنْ عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** ». رواه مسلمٌ .[2]

والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جدًّا ، منها :

الجهر بالنية للصلاة بأن يقول : نويت أصلي لله كذا وكذا ! وهذا بدعة ؛ لأنه ليس مِن سنة النبي ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الحجرات : ١٦] . والنية محلها القلب فهي عمل قلبي لا عمل لساني .

ومنها : الذكر الجماعي بعد الصلاة لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردًا .

ومنها : طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء للأموات .

---

(١) هذا من إضافات مصححه رحمه الله .

(٢) المتفق عليه ، وقوله (رواه مسلمٌ) : من إضافات مصححه رحمه الله .

اَلثَّانِيَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ العِلَّةِ ، وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ ، لِقَوْلِهِ : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي » .

ومنها : إقامة المآتم على الأموات وتقديم الأطعمة والأشربة ، واستئجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب العزاء ، أو أن ذلك ينفع الميت ... وكل ذلك بدعة لا أصل له وآصار وأغلال ما أنزل الله بها من سلطان .

ومنها : الاحتفال بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج ، [وما يظنّ أنَّ ليلة القدر ليلة السابع والعشرين مِن رمضان] ، ومناسبة الهجرة النبوية ، وهذا الاحتفال لا أصل له من الشرع [فلم يأمر به النبيّ ﷺ ولم يفعله هو ولا أحد من صحابته رضي الله عنهم][1] .

ومن ذلك : ما يفعل في شهر رجب كالعمرة الرجبية ، وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به كالتطوع فيه [بقيام ليلة النصف منه وصيام يومه] فإنه لا ميزة [للنصف منه] على غيره من الشهور لا الصيام والصلاة والذبح للنسك فيه ، ولا للعمرة فيه .

ومن ذلك : [أكثر] الأذكار الصوفية بأنواعها كلها بدع ومحدثات ؛ لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغتها وهيئاتها وأوقاتها .

ومن ذلك : تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام ويوم النصف من شعبان بصيام فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء خاص به .

ومن ذلك : البناء على القبور ، واتخاذها مساجد ، وزيارتها لأجل التبرك بها، والتوسل بالموتى ، وغير ذلك من الأغراض الشركية ، وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.[2]

---

(١) ما بين هذه الأقواس : من إضافات مصححه رحمه الله .

(٢) رَاجع الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صفحة (٣١١-٣١٢) .

اَلثَّالِثَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ ، بِقَوْلِهِ : « **فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً** » .

اَلرَّابِعَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ .

---

* خطر البدعة :

قال الشيخ صالح بنُ فوزان حفظه الله تعالى :

إن البدع بريد الكفر ، وهي زيادة دين لم يشرعه الله ولا رسوله ، والبدعة شر من المعصية الكبيرة ، والشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية [ويحتمل توبته] منها ، والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها دينًا يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها ، والبدع تقضي على السنن ، وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة ، والبدعة تباعد عن الله وتوجب غضبه وعقابه وتسبب زيغ القلوب وفسادها .[١]

* ما يعامل به المبتدع :

قال الشيخ صالح بنُ فوزان حفظه الله تعالى :

(تحرم زيارة المبتدع ومجالسته إلا على وجه النصيحة له والإنكار عليه ، لأنَّ مُخالطتِه تؤثر على مُخالِطه شرًّا ، وتنشر عداوه إلى غيره .

ويجب التحذير مِن المبتدعين ومِن شرهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ومنعهم مِن مزاولة البدع ، وإلا فإنه يجب على علماء المسلمين وولاة أمورهم

---

(١) المصدر السابق صفحة (٣١٣) .

السَّادِسَةُ أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرَّوحَ .

اَلسَّابِعَةُ : الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ .

* * *

منع البدع ، والأخذ على أيدي المبتدعة ، وردّعهم عن شرِّهم لأنَّ خطرَهم على الإسلام شديد .

ثم إنه يجب أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشرِ بدعتهم ، وتساعدهم على ذلك بشتى الطرق ؛ لأن في ذلك القضاء على الإسلام وتشويه صورته[1] .

نسأل الله ﷻ أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويخذل أعداءه . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه) .[2]

(١) قال مصححه رَحِمَهُ اللَّهُ : لأنَّ مِلل الكفر ابتداع كلها .

(٢) رَاجع الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صفحة (٣١٣) .


الباب الحادي والستون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ [المائدة : ٨٩] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ** » . أَخْرَجَاهُ .

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : أُشَيْمِطٌ** (١٩٧) **زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ** (١٩٨) **، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ** » .

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ .

وَفِي « الصَّحِيحِ » عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** » . قَالَ عِمْرَانُ : فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؟ « **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ**

---

(١٩٧) أُشَيْمِط :

تصغير أشمط ، وهو الذي بشعره شمط ، أي : شيب .

(١٩٨) رجل جعل الله بضاعته :

أي : جعل الحلف به بضاعته .[١]

---

(١) قال مصححه رحمه الله : روَّج بضاعته بالحلف .

وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ » .

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ** » .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : « كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ » .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : الْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الْأَيْمَانِ .

اَلثَّانِيَةُ : الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ .

اَلثَّالِثَةُ : الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِهَا .

اَلرَّابِعَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ أَنَّ اَلذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ اَلدَّاعِي .

اَلْخَامِسَةُ : ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ .

اَلسَّادِسَةُ : ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَىٰ الْقُرُونِ اَلثَّلَاثَةِ ، أَوِ الْأَرْبَعَةِ ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ .

اَلسَّابِعَةُ : ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ .

اَلثَّامِنَةُ : كَوْنُ اَلسَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ .

* * *



الباب الثاني والستون

بَابُ
مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل : ٩١] الآيَةَ .

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيْرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ (١٩٩) بِتَقْوَىٰ اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، فَقَالَ :

---

(١٩٩) الوصية للأمراء بآداب الغزو :

أخرج الإمام مسلم (١٧٣١) في صحيحه : كتاب الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ، وأبوداود (٢٦١٢-٢٦١٣) ، والنسائيُّ (٨٧٨٢) ، والترمذيُّ (١٤٠٨ ، ١٦١٧) ، وابنُ ماجه (٢٨٥٨) جميعا من حديث علقمة ابن مرثد ، عن سليمان بنِ بُرَيدة ، عن بُرَيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ، ثم قال : « **اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا ، وإذا لقيت عدوك مِن المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإنْ أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول مِنْ دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إنْ فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ،**

« اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ ، فِي سَبِيلِ اللهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا (٢٠٠) ، وَلَا تَغْدِرُوا (٢٠١) ، وَلَا تُمَثِّلُوا (٢٠٢) ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا

وعليهم ما على المهاجرين ، فإنْ أبوْا أنْ يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكمُ الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ إلا أنْ يجاهدوا مع المسلمين ، فإنْ هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أنْ تجعلَ لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمَّة الله ولا ذمَّة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمَّتك وذمَّة أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذِمَمَكم وذِمَمَ أصحابِكم أهون مِن أن تخفروا ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أنْ تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ؛ فإنك لا تدري أتصيبُ حكمَ الله فيهم أم لا ؟ » .

السَّرِيَّة : الخيل تبلغ أربعمائة ، والجيش : ما كان أكثر من ذلك .

تقوى الله : التحرز بطاعته من عقوبته ، وذلك بالعمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه .

اغزوا باسم الله : أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له .

(٢٠٠) **الغلول** : الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها .

(٢٠١) **الغدر** : نقض العهد .

(٢٠٢) **التمثيل** : لا تمثلوا : المقصود بالتمثيل هنا التشويه بالقتيل كقطع أنفه وأذنه والعبث به .

لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ: خِلَالٍ- فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ (٢٠٣)، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.

---

(٢٠٣) أخذ الجزية من كل كافر:

قوله في الحديث المتقدم (ثم ادعهم إلى الإسلام) قال الشيخ عبدالرحمن ابن حسن[١]: فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيًّا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره. وذهب أبوحنيفة رَحِمَهُ اللهُ إلى أنها: تؤخذ مِن الجميع إلا مِن مشركي العرب ومجوسهم. وقال الشافعي: لا تؤخذ إلا مِن أهل الكتاب عربًا كانوا أو عجمًا، وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ مِن المجوس.

(١) في قرة عيون الموحدين صفحة (٢٤٨-٢٥١).

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ ، وَلَٰكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ، أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

• فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَىٰ : الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ، وَبَيْنَ ذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

اَلثَّانِيَةُ : الْإِرْشَادُ إِلَىٰ أَقَلِّ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا .

اَلثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ : « اُغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ » .

اَلرَّابِعَةُ : قَوْلُهُ : « قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ » .

اَلْخَامِسَةُ : قَوْلُهُ : « اِسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ » .

اَلسَّادِسَةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ .

اَلسَّابِعَةُ : فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا ؟

* * *

الباب
الثالث والستون



بَابُ
مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَـنْ جُنْـدُبِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: « **قَالَ رَجُـلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِـرُ اللهُ لِفُلَانٍ** ». **فَقَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: « **مَـنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِـرَ لِفُـلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَـرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْـتُ عَمَلَكَ** ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: « تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ ».

• **فِيهِ مَسَائِلُ:**

اَلْأُولَى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ.

اَلثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

اَلثَّالِثَةُ: أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

اَلرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ: « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ** ... » إلخ.

اَلْخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

* * *

الباب الرابع والستون



بَابُ
لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! نُهِكَتِ الأَنْفُسُ ، وَجَاعَ الْعِيَالُ ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ ، وَبِكَ عَلَى اللهِ (٢٠٤) !

---

(٢٠٤) الاستشفاع بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته :

المراد به : طلب دعائه وشفاعته ، وليس خاصًّا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كل حي يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة ، فقد روى : الإمامُ أحمد (١/ ٢٩ ، ٢/ ٥٩) ، وأبوداود (١٤٩٨) ، والترمذيُّ (٣٥٦٢) وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[١] ، وابنُ ماجه (٢٨٩٤) ، وغيرهم ، من حديث عاصم ابن عُبَيد الله ، عن سالم بنِ عبد الله بن عُمر ، عن أبيه ، أنَّ[٢] عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، استأذنَ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العُمرة ، فأذِنَ ، وقال : « **لا تنسنا يا أخَيَّ مِنْ صالحِ دعائك** » . زاد بعضُهم : فقال عُمر : « ما أحِبُّ أنَّ لِي بها ما طلعت عليه الشمسُ » .

وهذا إسنادٌ مقاربٌ ، وإلى الضعف ما هو لأنَّ مداره على عاصم ابن

---

(١) هكذا في أكثر مِن نقل عن الترمذيِّ ، ولكن نقل النوويُّ في تهذيب الأسماء واللغات - في ترجمة عُمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، عن الترمذي ، قال : حديثٌ حسنٌ ؛ وهو الأشبه ، لما يأتي .

(٢) هذا عند أحمد في الموضع الثاني ، وعند الباقين : (عن عُمر ، قال : استأذنتُ ..) .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **سُبْحَانَ اللهِ ! سُبْحَانَ اللهِ !** » .

فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : « **وَيْحَكَ ، أَتَدْرِي مَا اللهُ ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ** » ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

• **فِيهِ مَسَائِلُ :**

اَلْأُولَىٰ : إِنْكَارُهُ عَلَىٰ مَنْ قَالَ : « **نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ** » .

اَلثَّانِيَةُ : تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ اَلْكَلِمَةِ .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ : « **نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَىٰ اللهِ** » .

اَلرَّابِعَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ تَفْسِيرِ : « **سُبْحَانَ اللهِ** » .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّ اَلْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الاسْتِسْقَاءَ .

* * *

عبيد الله ، وقد ضعَّفه أهلُ العلمِ بالحديث إلا أنَّ العجليّ قال فيه : لا بأس به ، وابنَ عديّ ترجمه ، فقال : قد روى عنه الثوريُّ ، وابنُ عُيينة ، وشعبة ، وغيرُهم مِن ثقات الناس[١] ، وقد احتمله الناس ، وهو مع ضعفه يُكتب حديثه . اهـ .

ففي الحديث شرعية التوسل بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن . وأما الميت فإنَّما يشرع في حقِّه الدعاء له على جنازته على قبره .

---

(١) وقد روى عنه أيضًا : عبيدالله بنُ عمر ، ويحيى بنُ سعيد القطان ، ومالكٌ فيما قيل .



الباب الخامس والستون

بَابُ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ : انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا : أَنْتَ سَيِّدُنَا ، فَقَالَ : « **السَّيِّدُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-** » .

قُلْنَا : وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا ، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا .

فَقَالَ : « **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ** » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدَنَا ، وَابْنَ سَيِّدِنَا .

فَقَالَ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدٌ ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ** عز وجل » . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

فِيهِ مَسَائِلُ :

اَلْأُولَى : تَحْذِيرُهُ النَّاسَ عَنِ الْغُلُوِّ .

اَلثَّانِيَةُ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ : أَنْتَ سَيِّدُنَا .

اَلثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ : « **وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُم اَلشَّيْطَانُ** » مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا اَلْحَقَّ .

اَلرَّابِعَةُ : قَوْلُهُ : « **مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي** » .

الباب السادس والستون

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ :
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْأَرْضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر : ٦٧] الآيَةَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِـ « مُسْلِمٍ » : « وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا اللهُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ « لِلْبُخَارِيِّ » : « يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ » .

وَلِـ « مُسْلِمٍ » عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -مَرْفُوعًا- : « **يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ** » .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ » .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي يُونُسُ ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ** » .

قَالَ : وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ** » .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : « **بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ** » .

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زِرٍّ ، عَنْ عَبْدِاللهِ .

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِاللهِ .

قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- . قَالَ : « وَلَهُ طُرُقٌ » .

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** » ؟

قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « **بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ** » . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

فِيهِ مَسَائِل :

اَلْأُولَىٰ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ الآيةَ .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ هَذِهِ اَلْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اَلْيَهُودِ اَلَّذِينَ فِي زَمَنِهِ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ ، وَنَزَلَ اَلْقُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ .

اَلرَّابِعَةُ : وُقُوعُ اَلضَّحِكِ الكَثِيْرِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ؛ عِنْدَ ذِكْرِ اَلحَبْرِ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ .

اَلْخَامِسَةُ : التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اَلْيَدَيْنِ ، وَأَنَّ اَلسَّمَاوَاتِ فِي الْيَدِ اَلْيُمْنَىٰ ، وَالْأَرَضِينَ فِي اَلْأُخْرَىٰ .

اَلسَّادِسَةُ : اَلتَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا : الشِّمَالَ .

اَلسَّابِعَةُ : ذِكْرُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ .

اَلثَّامِنَةُ : قَوْلُهُ : « **كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ** » .

اَلتَّاسِعَةُ : عَظَمَةُ اَلْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ اَلسَّمَاوَاتِ .

الْعَاشِرَةُ : عَظَمَةُ اَلْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ اَلْكُرْسِيِّ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ اَلْعَرْشَ غَيْرُ اَلْكُرْسِيِّ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ .

اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ .

اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كَمْ بَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ .

اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ اَلْعَرْشَ فَوْقَ اَلْمَاءِ .

اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ اللهَ فَوْقَ اَلْعَرْشِ .

اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ .

اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ اَلْبَحْرَ اَلَّذِي فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ إِلَىٰ أَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ (٢٠٥) .

والله سبحانَهُ وَتَعَالىٰ أَعْلَـــمُ ،
وَصَـــلَّىٰ اللهُ عَلَـــىٰ مُحَمَّدٍ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
كَثِيـــــــرًا

****
***
*

---

(٢٠٥) عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ :

قال أبو عمرو أحمد بنُ عطية الوكيل - غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين - : رُوِّينا في كتاب (الطبقات) لأبي يعلى القاضي محمد ابن محمد بن الحسين بن خلف الفراء ، وفي كتاب (مناقب الإمام أحمد ابن حنبل) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي وفي كتاب (المقصد الأرشد) للقاضي برهان الدين إبراهيم بن مفلح ، أن أبا بكر أحمد ابن محمد البردعي التميمي ، قال :

....

لما أشكل على مسدد بن مسرهد أمر الفتنة – يعني : في القول بخلق القرآن – وما وقع فيه الناس من الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء كتب إلى أحمد بن حنبل : أن أكتب إليَّ سنة رسول الله ﷺ فلما ورد الكتاب على أحمد بن حنبل بكى ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يزعم هذا البصري أنه قد أنفق على العلم مالًا عظيمًا وهو لا يهتدي إلى سنة رسول الله ﷺ فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، وينهونه عن الردى ، ويحيون بكتاب الله الموتى ، وبسنة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والردى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن آثارهم على الناس ، ينفون عن دين الله عز وجل : تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الضالين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا عنان الفتنة ، مخالفين في الكتاب ، يقولون على الله – تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا – في كتابه بغير علم ، فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة ، وصلى الله على محمد النبيّ وآله وسلم تسليمًا.

أما بعد ؛ وفقنا الله وإياكم لكل ما فيه رضاه وطاعته ، وجنبنا وإياكم ما فيه سخطه ، واستعملنا وإياكم عمل الخاشعين له العارفين به الخائفين منه ، فإنه المسئول ؛ ذلك وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم السنة والجماعة ، فقد علمتم ما حلَّ بمن خالفها وما جاء فيمن اتبعها ، فإنه بلغنا عن النبيّ ﷺ أنه قال إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها .

وآمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئًا ، فإنه كلام الله ، وما تكلم الله به فليس بمخلوق ، وما أخبر به عن القرون الماضية فليس بمخلوق ، وما في اللوح المحفوظ وما في المصحف وتلاوة الناس وكيفما وصف فهو كلام الله غير مخلوق فمن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم ومن لم يكفره فهو كافر .

ثم من بعد كتاب الله سنة نبيه ﷺ والحديث عنه ، وعن المهديين من أصحاب النبيّ ﷺ ، والتابعين من بعدهم ، والتصديق بما جاءت به الرسل ، واتباع السنة نجاة ، وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن كابر .

واحذروا رأي جهم فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات ، وأما الجهمية فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا : إن الجهمية افترقت ثلاث فرق ، فقالت طائفة منهم القرآن كلام الله وهو مخلوق ، وقالت طائفة القرآن كلام الله وسكتت ، وهي الواقفة الملعونة ، وقالت طائفة منهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، فهؤلاء كلهم جهمية ، كفار يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا ، وأجمع من أدركنا من أهل العلم على أن من هذه مقالته إن لم يتب لم يناكح ولا يجوز قضاؤه ولا تؤكل ذبيحته .

والإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيد وينقص ، زيادته إذا أحسنت ، ونقصانه إذا أسأت ، ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام فإن تاب رجع إلى الإيمان ، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم ، أو برد فريضة من فرائض الله جاحدًا لها ، فإن تركها كسلًا أو تهاونًا بها كان في مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

وأما المعتزلة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم يكفرون بالذنب ،

ومن كان منهم كذلك ، فقد زعم أن آدم كان كافرًا ، وأن إخوة يوسف حين كذبوا أباهم عليه السلام كانوا كفارًا ، وأجمعت المعتزلة على أن من سرق حبة فهو كافر ، وفي لفظ في النار ، تبين منه امرأته ، ويستأنف الحج إن كان حج ، فهؤلاء الذين يقولون بهذه المقالة كفار ، وحكمهم ألا يكلموا ولا يناكحوا ولا تؤكل ذبائحهم ولا تقبل شهادتهم حتى يتوبوا .

وأما الرافضة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا إن عليّ بن أبي طالب أفضل من أبي بكر الصديق ، وإن إسلام عليّ كان أقدم من إسلام أبي بكر ، فمن زعم أنَّ عليًا بن أبي طالب أفضل من أبي بكر فقد رد الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ الآية [الفتح : ٢٩] ، فقدم الله أبا بكر بعد النبيّ ولم يقدم عليًا ، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « **لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن الله قد اتخذ صاحبكم خليلا** – يعني : نفسه – **ولا نبي بعدي** » .

ومن زعم أن إسلام عليّ كان أقدم من إسلام أبي بكر فقد أخطأ ، لأن أبا بكر أسلم وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة ، وعليّ يومئذ ابن سبع سنين ، لم تجر عليه الأحكام والحدود والفرائض .

ونؤمن بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، وحلوه ومره من الله ، وأن الله خلق الجنة قبل خلق الخلق ، وخلق لها أهلًا ، ونعيمها دائم ، فمن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر ، وخلق النار قبل خلق الخلق ، وخلق لها أهلًا ، وعذابها دائم ، وأن الله يخرج أقوامًا من النار بشفاعة النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم لا محالة .

وأن الله كلم موسى تكليمًا ، واتخذ إبراهيم خليلًا . والميزان حق ، والصراط حق ، والأنبياء حق ، وعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وكلمته .

والإيمان بالحوض والشفاعة ، والإيمان بالعرض والكرسي ، والإيمان بملك الموت ، وأنه يقبض الأرواح ، ثم ترد إلى الأجساد في القبور ، ويسألون عن الإيمان والتوحيد والرسل . والإيمان بمنكر ونكير ، وعذاب القبر ، والإيمان بالنفخ في الصور ، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل .

وأن القبر الذي هو بالمدينة قبر النبي ﷺ معه أبو بكر وعمر ، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة ، وينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيقتله بباب لد ، وما أنكرته العلماء من أهل السنة من الشبهة فهو منكر .

واحذروا البدع كلها ، ولا عين تطرف بعد النبيّ ﷺ أفضل من أبي بكر ، ولا عين تطرف بعد أبي بكر أفضل من عمر ، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان ، ولا بعد عثمان بن عفان عين تطرف أفضل من عليّ بن أبي طالب. قال أحمد : كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ونسكت عن عليّ حتى صحَّ لنا حديث ابن عمر بالتفضيل . قال أحمد : هم والله الخلفاء الراشدون المهديون . وأن نشهد للعشرة أنهم في الجنة : أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، فمن شهد له النبيّ ﷺ بالجنة شهدنا له بها .

ورفع اليدين في الصلاة زيادة في الحسنات ، والجهر بآمين عند قول أهل هذه القبلة وحسابهم على الله عز وجل .

والخروج مع كل إمام خرج في غزوة، وحجة، والصلاة خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيدين، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا نخرج عليهم بالسيف، ولا نقاتل في الفتنة، ولا نتألى على أحد من المسلمين أن يقول فلان في الجنة وفلان في النار إلا العشرة الذين شهد لهم النبيّ ﷺ بالجنة.

والكف عن مساوىء أصحاب رسول الله ﷺ، تحدثوا بفضائلهم، وأمسكوا عما شجر بينهم.

ولا تشاور أهل البدع في دينك، ولا ترافق أحدًا منهم في سفرك، وصفوا الله بما وصف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه، واحذروا الجدال مع أصحاب الأهواء.

ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدل، والمتعة حرام إلى يوم القيامة، والتكبير على الجنائز أربع، فإن كبر الإمام خمسًا فكبر معه كفعل عليّ بن أبي طالب؛ قال عبد الله بن مسعود: كبر ما كبر إمامك. قال أحمد: خالفني الشافعيُّ، فقال: إن زاد على أربع تكبيرات تعاد الصلاة، واحتج عليَّ بحديث النبيّ ﷺ أنه صلى على جنازة فكبر أربعًا - وفي رواية: صلى على النجاشيّ فكبر أربعًا.

والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوم وليلة، وصلاة الليل والنهار مثنى مثنى، ولا صلاة قبل العيد، وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين تحية المسجد، والوتر ركعة، والإقامة فرادى.

أحبوا أهل السنة على ما كان منهم، أماتنا الله وإياكم على الإسلام والسنة،

....

ورزقنا وإياكم العلم ، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى » .

هذا آخر ما اتصل بنا مما كتبه الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد رحمهما الله وآخر ما علَّقته على كتاب (التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، باسم : (مفكرة المريد بما جاء في كتاب التوحيد من المصطلحات والمعاني والتجريد) ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

كتبه

أبو عَمرو أحمد بن عطية الوكيل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

وكان الفراغ من مراجعته في يوم الجمعة

الثامن عشر من شعبان

سنة ١٤٣٦ هـ

الفهرس

كلمة لجنة الدعوة والإرشاد جمعية إحياء التراث الإسلامي ٥
مقدمة هذه الطبعة الثانية ٧
مقدمة الطبعة الأولى.. ٩
١ - كتابُ اَلتَّوْحِيدِ ١٨
التوحيد ١٨
توحيد الربوبية ١٨
توحيد الألوهية ١٩
توحيد الأسماء والصفات ١٩
العبادة ولماذا خلقنا الله ؟ ٢٠
الطاغوت ٢١
الإملاق ٢٢
الفواحش ٢٣
الصراط المستقيم ، والسبيل ، والطريق ٢٣
حق الله على العباد وحق العباد على الله ٢٥
المسائل ٢٦
الحقوق العشرة ٢٧
٢ - بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ...............................٢٩
الظلـــم ٢٩

معنى شهادة (محمد رسول الله) ومعرفة نبينا محمد ﷺ والأنبياء والرسل
والصحابة الكرام ٣٠
الله والإله ٣٢
الرب ٣٣
قراب الأرض خطايا ٣٥
مسائل الباب ٣٦
الخطيئة والخطايا ٣٦
الشرك ٣٦
٣- بَابُ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٩
الأمَّة والقانت والحنيف ٣٩
الكوكب الذي انقض ٣٩
الحمّى ٤١
لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ٤٢
ذات الجنب وطريقة الشفاء منها ٤٣
مسائل الباب ٤٤
الشوكة ٤٤
الكي بالنار ٤٥
المعاريض ٤٦
٤- بَابُ الْخَوْف مِنَ الشِّرْكِ ٤٧
الشرك الأصغر ٤٧
الدعاء ٤٩

مسائل الباب ٥٠
٥- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٥١
على بصيرة ٥١
الدليل على الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد ٥١
الدليل على فرض الصيام ٥٢
الدليل على فرض الحج ٥٢
كرائم أموالهم ٥٢
بساحتهم ٥٣
الإسلام : تعريفه وأصله وأركانه ٥٤
مسائل الباب ٥٥
حمر النعم ٥٥
٦- بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٥٨
الدين والحلال والحرام ٥٨
الشرك الأكبر ٥٩
الكفر ٦٠
الكفر الأكبر ٦٠
٧- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ ٦٦
لبس الحلقة والخيط والتمائم ونحوهما ٦٦
الواهنة ٦٨
من تعلق ودعة فلا ودع الله له ٦٨
مسائل الباب ٦٩

٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ ٧١
الوتر ٧١
القلادة ٧١
الرقى ٧٢
التولة ٧٢
مسائل الباب ٧٣
يعقد اللحية ٧٣
الاستنجاء برجيع الدابة أو بالعظم ٧٣
٩- بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ٧٥
اللات ٧٥
العُزّى ٧٥
مناة ٧٥
قسمة ضيزى ٧٦
حدثاء عهد بكفر ٧٦
يعكفون ٧٦
ينوطون ٧٦
ذات أنواط ٧٦
السُّنن ٧٦
مسائل الباب ٧٧
سد الذرائع ٧٨
١٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ ٨٣

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ٨٣
لَعَنَ اللهُ من آوى محدثا ومن غيَّر منار الأرض ٨٣
مسائل الباب ٨٥
شراك نعله ٨٦
١١ - بَابٌ لا يُذْبَحُ للهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ ٨٧
المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ومسجد الضرار ٨٧
بُوانة، والوفاء بالنذر ٨٨
العيد ٨٩
مولد البدوي في مدينة طنطا بمصر ٩٠
مسائل الباب ٩١
١٢ - بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ ٩٣
النذر المحرم ٩٣
فضل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ٩٣
مسائل الباب ٩٤
فضل خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ٩٤
١٣ - بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاِسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ ٩٥
الاستعاذة ٩٥
يعوذون برجال من الجن ٩٥
استمتع بعضنا ببعض ٩٦
أعوذ بكلمات الله التامات ٩٦
مسائل الباب ٩٧

١٤- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ ٩٨
أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ ٩٨
ادعاء أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ٩٨
الأبدال ٩٨
النقباء ٩٨
الأوتاد ٩٩
النجباء ٩٩
الأقطاب ٩٩
الظالم نفسه ٩٩
الدين الخالص ٩٩
مسائل الباب ١٠٠
يُجيب المضطر ١٠٠
المنافق ١٠٠
١٥- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ ١٠٢
الوسائط ١٠٢
قطمير ١٠٢
شج النبي ﷺ ١٠٢
يوم أحد ١٠٣
كسرت رباعيته ١٠٣
الحمد والمدح ١٠٤

مسائل الباب ١٠٥

عشيرتك ١٠٥

الحجة البالغة ١٠٦

١٦- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ١٠٧

الخضعان ، والسلسلة على صفوان ، وينفذهم ، وفزع عن قلوبهم ، ومسترقو السمع، والشهاب ١٠٧

تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ١٠٩

جبريل والملائكة ١١٠

فيه مَسَائِلُ ١١٢

بَابُ الشَّفَاعَةِ ١١٤

الشفاعة ١١٤

مسائل الباب ١١٥

١٧- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ١١٧

مسائل الباب ١١٧

١٨- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ ١١٩

هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ ١١٩

الغُلو والمبالغة في التعظيم ١١٩

ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر والأنصاب ١٢٠

مسائل الباب ١٢٢

تُطرُوني ١٢٢

المتنطعون ١٢٢
جبلة الآدمي ١٢٣
١٩- بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ١٢٥
طفق ١٢٥
خميصة ١٢٥
مسائل الباب ١٢٦
٢٠- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ... ١٢٨
يَلُتّ ١٢٨
مسائل الباب ١٢٩
٢١- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ
يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ ١٣١
عَنِتّم ١٣١
مسائل الباب ١٣٢
البرزخ ١٣٣
٢٢- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ القُذَّة والسَّنن والضَّبُّ ١٣٤
زُوِي ، والكنزين الأحمر والأبيض، ويستبيح بيضتهم، ولا أهلكم بِسَنَةٍ عامَّة،
والفِئام ١٣٥
مسائل الباب ١٣٧
عبدة الأوثان ١٣٨
٢٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ ١٤٠
الموبقات ، السحر ، أكل الربا ، التولي يوم زحف ، المحصنات ١٤٠

مسائل الباب ١٤٢
٢٤- بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ١٤٤
العيافة والطرق ١٤٤
العدوى والطِّيرة ١٤٤
الجِبت والهَامَة والصَفَر ١٤٥
رنة الشيطان ١٤٦
شعبة ١٤٧
زاد ما زاد ١٤٧
مسائل الباب ١٤٨
العَضْهُ والنَّمَّام والقالةُ بين الناس ١٤٨
النفث ١٤٩
٢٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ ١٥٠
العرّاف ١٥٠
قول الكاهن والساحر والعرّاف قد يصادف بعض الواقع ١٥١
المنجم والكاهن ١٥١
مسائل الباب ١٥٣
علم الحرف ١٥٣
٢٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ ١٥٥
النُّشرة ١٥٥
الطب ١٥٥
علاج السحر بالطرق الشرعية ١٥٦

التداوي بالقرآن ١٥٧
مسائل الباب ١٥٨
٢٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ ١٥٩
تفسير قوله تعالى : ألا إنما طائرهم عند الله ١٥٩
الشؤم في ثلاث ١٦١
مسائل الباب ١٦٢
٢٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ ١٦٤
التنجيم ١٦٤
مسائل الباب ١٦٥
٢٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاِسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ ١٦٦
الأنواء ١٦٦
الجاهلية ١٦٦
الفخر بالأحساب ١٦٧
الطعن في الأنساب ١٦٨
الاستسقاء بالنجوم ١٦٨
نسبة النعمة إلى غير الله ١٦٩
الكتاب المكنون ١٧٠
مسائل الباب ١٧١
٣٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ ١٧٢
آية المحبة ١٧٢

حديثُ المحبة ١٧٢

لوازم محبة الله ورسوله ١٧٣

علامات تدل على محبة الله ١٧٤

حقيقة الحب في الله ١٧٥

الأسباب الجالبة للمحبة ١٧٦

مسائل الباب ١٧٧

فهم الصحابي للواقع وقول ابن عباس : عامة المؤاخاة على أمر الدنيا ١٧٨

التحذير من المحبوبات الثمانية ١٨٠

٣١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ١٨١

تعريف الخوف وأقسامه وأنواعه والحكم عليه ١٨١

إتباع الرسل ١٨٣

مسائل الباب ١٨٥

٣٢- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ١٨٦

التوكل وقوة التوكل على الله ومعنى : وعلى ربهم يتوكلون ١٨٦

صفات المؤمنين ١٨٩

مسائل الباب ١٩١

٣٣- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ١٩٢

قوله تعالى : (أفأمنوا مكر الله) ١٩٢

القنوط واليأس من روح الله ١٩٢

مسائل الباب ١٩٣

٣٤- بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ ١٩٤

الصَّبْرُ على قدَر الله ١٩٤

المصائب نعمة ١٩٥

الصبر على المصيبة ١٩٦

الطعن في النسب والنياحة على الميت ١٩٧

ضرب الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية ١٩٧

الداعية بالويل والثبور ١٩٨

الخامشة وجهها والشاقَّة جيبها ١٩٨

إذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه العقوبة ١٩٨

فمن رضي فله الرضاء ١٩٩

٣٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ ٢٠١

الرياء ٢٠١

من عمل عملًا أشرك فيه غير الله وأقسام العمل لغير الله ٢٠٢

مسائل الباب ٢٠٣

شروط صحة العمل ٢٠٣

٣٦- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بَعَمَلِهِ الدُّنْيَا ٢٠٥

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢٠٥

أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه ٢٠٥

تعس عبد الدينار ٢٠٧

عبد الدرهم ٢٠٧

عبد الخميصة ٢٠٧

عبد الخميلة ٢٠٧

انتكس ٢٠٨

إذا شيك ٢٠٨

فلا انتقش ٢٠٨

طوبى لعبد ٢١٠

مسائل الباب ٢١١

هل في الجنة صبيان ؟ ٢١١

ثواب المجاهدين في سبيل الله تعالى ٢١٢

٣٧- بَابُ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.. ٢١٧

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله ٢١٧

ذمُّ الرأي ٢١٩

مسائل الباب ٢٢٠

ما يهدم الإسلام ٢٢١

٣٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ **٢٢٢**

المفسدون في الأرض ٢٢٢

حكم الجاهلية ٢٢٢

المُرجِئة ٢٢٤
المنافق وحكمه ٢٢٦
اليهودي ٢٢٨
الكتابي ٢٢٨
النصراني ٢٢٨
مسائل الباب ٢٢٩
٣٩- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ٢٣٠
الجَهْمِيّة ٢٣٠
القَدَرِيّة ٢٣٥
المُعَطِّلة ٢٤١
الأشاعِرة ٢٥١
يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه ٢٥٣
مسائل الباب ٢٥٥
٤٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ ٢٥٦
النعمة ٢٥٦
مسائل الباب ٢٥٧
٤١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٢٥٨
أسباب العلم ٢٥٨
الند ٢٥٨
حكم الحلف بغير الله ٢٥٩
حكم تسوية المخلوق بالخالق ٢٦٠

مسائل الباب ٢٦١

٤٢- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ ٢٦٢

مِنْ حق المسلم على المسلم ٢٦٢

أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله ٢٦٢

مسائل الباب ٢٦٣

٤٣- بَابُ قَوْلِ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ٢٦٤

مشيئة العبد ٢٦٤

مسائل الباب ٢٦٥

٤٤- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَىٰ اللهَ ٢٦٧

سَبُّ الدَّهر ٢٦٧

مسائل الباب ٢٦٨

٤٥- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ ٢٦٩

التسمي بقاضي القضاة ونحوه ٢٦٩

مسائل الباب ٢٧٠

٤٦- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَغْيِيرِ الاِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ ٢٧١

يكنى ٢٧١

إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْمُ ٢٧١

مسائل الباب ٢٧٣

٤٧- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُوْلِ ٢٧٤

النسعة ٢٧٤

مسائل الباب ٢٧٥

ليسفعان ٢٧٥

٤٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ ٢٧٦

أصل الشكر ٢٧٨

مسائل الباب ٢٧٩

٤٩- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ٢٨٠

حكم ما عبد لغير الله ٢٨٠

مسائل الباب ٢٨١

٥٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ٢٨٢

تعريف الأسماء الحسنى ٢٨٢

أسماء الله الحسنى توقيفية ٢٨٤

الطريق إلى أخذ أسماء الله ٢٨٥

مسائل الباب ٢٨٦

حصر أسماء الله الحسنى ٢٨٦

معنى (من أحصاها) ٢٨٧

تعيين أسماء الله الحسنى ٢٨٩

الإلحاد في أسماء الله الحسنى ٢٩٠

٥١- بَابُ لَا يُقَالُ : السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ ٢٩٢

إن الله هو السلام ٢٩٢

مسائل الباب ٢٩٣

٥٢- بَابُ قَولِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ٢٩٤
اللهم اغفر لي إن شئت ٢٩٤
مسائل الباب ٢٩٥
يغيضها ٢٩٥
سَحَّاء ٢٩٥
٥٣- بَابٌ لا يَقُوْلُ : عَبْدِي وَأَمَتِي ٢٩٦
لا يقول عبدي وأمتي ٢٩٦
مسائل الباب ٢٩٧
٥٤- بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ ٢٩٨
الرجاء ٢٩٨
من صنع إليكم معروفًا فكافئوه ٣٠١
مسائل الباب ٣٠٢
٥٥- بَابٌ لَا يُسْأَلُ بَوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ ٣٠٣
مسائل الباب ٣٠٣
٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّوِّ ٣٠٤
العجز ٣٠٤
اسم الحسنات والسيئات ٣٠٥
لو : تفتح عمل الشيطان ٣٠٥
مسائل الباب ٣٠٦
٥٧- بَابُ النَّهْي عَنْ سَبِّ الرِّيحِ ٣٠٧
سَبُّ الرِّيح ٣٠٧

مسائل الباب ٣٠٨
٥٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ٣٠٩
يُدِيلُ ٣٠٩
مسائل الباب ٣١٠
٥٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ ٣١١
الإيمان : تعريفه وأركانه ودليله ٣١١
مسائل الباب ٣١٤
يتقفرون العلم ٣١٤
٦٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ ٣١٥
النهي عن التصوير ٣١٥
تسوية القبور ٣١٦
مسائل الباب ٣١٧
بعض بدع العبادات في زماننا هذا ٣١٧
خطر البدعة ٣١٩
ما يعامل به المبتدع ٣١٩
٦١- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ ٣٢١
أشيمط ٣٢١
رجل جعل الله بضاعته ٣٢١
مسائل الباب ٣٢٢
٦٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ٣٢٣

الوصية للأمراء بآداب الغزو ٣٢٣

الغلول : الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها ٣٢٤

الغدر : نقض العهد ٣٢٤

التمثيل : لا تمثلوا : المقصود بالتمثيل هنا التشويه بالقتيل كقطع أنفه وأذنه والعبث به ٣٢٤

أخذ الجزية من كل كافر ٣٢٥

مسائل الباب ٣٢٦

٦٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَىٰ اللهِ................................ ٣٢٧

مسائل الباب ٣٢٧

٦٤- بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ٣٢٨

الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته ٣٢٨

مسائل الباب ٣٢٩

٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةَ النَّبِيّ ﷺ حِمَىٰ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ........................ ٣٣٠

مسائل الباب ٣٣٠

٦٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ٣٣١

فِيهِ مَسَائِل ٣٣٣

عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٣٤

* * *

